الجرائم والعقوبات

في المجتمع الصليبي في بلاد الشام

في القرن ٦-٧هـ، ١٢-١٣م

الدكتور

أحمد عبد الله أحمد

مدرس تاريخ إسلامي جامعة فان هولند



الجرائم والعقوبات

في المجتمع الصّليبيّ في بلاد الشّام

في القرن ٦-٧ هـ ، ١٢-١٣م

أقام الصليبيون ببلاد الشام مدة قرنين من الزمان، وخلال تلك الفترة عملوا على تكوين نواة لمجتمع مختلف الأعراق، تباينت طبقاته ولغاته، حتى أهدافه إختلفت فيما بينهم، وكغيره من المجتمعات كانت له مشاكله الداخلية.

وهذا الكتاب دراسة أكاديمية لظاهرة الجرائم والعقوبات داخل المجتمع الصليبي ببلاد الشام خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، والقوانين التي سنها الصليبيون لمواجهة تلك الجرائم والحد منها.


9789773443061

الجرائم والعقوبات

في المجتمع الصليبي في بلاد الشام

في القرن ٦-٧ هـ، ١٢-١٣ م

الدكتور
أحمد عبد الله أحمد
مدرس تاريخ إسلامي
جامعة فان هولند

أحمد ،أحمد عبد الله
الجرائم والعقوبات فى المجتمع الصليبي فى بلاد الشام
فى القرن 6 -7 هـ ، 12 – 13 م
ط 1 ، القاهرة : دار الآفاق العربية 2016
259 ص ، 24 سم

1- الجريمة والمجرمون - الشام
2- الشام – تاريخ اسلامى
3- المجتمع الصليبى
4- العقوبات
أ. العنوان 364

تدمك : 978-977-344-306-1
رقم الإيداع : 2014/17948
الطبعة الأولى
2016/1437 م

نشر – توزيع – طباعة
55 شارع محمود طلعت من ش الطيران
مدينة نصر – القاهرة
تليفون : 22617339 -00202 تليفاكس : 22610164-00202
Email: dar.alafk@yahoo. Com
Email : selim.selim10@yahoo.com



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾

المجادلة: (١١)

إهداء

****

إلى من يسرا لي كل سبل النجاح

إلى من تناولاني برعايتهما وحبهما وحنانهما

إلى من لا أجد الكلمات التي تكفي لشكرهما

إلى والدي ووالدتي حفظهما الله برعايته

تقديم

بقلم أ.د.محمد مؤنس عوض

أستاذ تاريخ العصور الوسطى

بجامعتي عين شمس والشارقة

يسعدني أن أقدم للقارئ العربي العمل العلمي الأول لتلميذي النابه الدكتور أحمد عبد الله وهو بعنوان الجرائم والعقوبات في المجتمع الصليبي خلال القرنين ١٢ – ١٣م.

لقد عرفت المؤلف من خلال تدريسي له في الفرقة الثالثة وأشرفت على رسالته للماجستير بعنوان: (التجارة في الساحل الشامي في القرنين ١٣،١٢ م)، وقد أدركت جديته وحرصه على العلم.

ولا ريب في أن الدراسة المذكورة تسد ثغرةً في المكتبة العربية خاصة أن الموضوع شاق وأعتمد مؤرخه على قاعدة ضخمة من المصادر والمراجع العربية والأوروبية.

ألفت نظر القارئ إلى أن المؤرخ الراحل أ.د. أحمد رمضان بكلية الأداب- جامعة عين شمس أشرف على الدراسة المذكورة وترك بصماته العلمية عليها.

لا أغفل هنا الإشارة إلى أن الدكتور أحمد عبد الله يعد أحد أبناء سمنار العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى الذي أتشرف برئاسته والذي قدم لمصر عددًا من المؤرخين والمؤرخات الصاعدين في مجال تاريخ الحروب الصليبية.

ختامًا أجمل التهاني القلبية بصدور هذا الكتاب القيم وتمنياتي للمؤرخ النابه بمزيد من العطاء خدمةً لمصرنا الحبيبة الغالية التي تستحق منا الكثير والكثير.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد -خير مبعوث للعالمين-

وبعد، لقد شهدت منطقة بلاد الشام خلال القرنين الثاني والثالث عشر الميلاديين/ السادس والسابع الهجريين، حركة استخرابية من قبل الغرب الأوربي المظلم فكريًا تجاه الشرق الإسلامي المستنير، حملت تلك الحركة في طياتها مظاهر التخلف والتعصب الأعمى تجاه كل مذهب مخالف للكاثوليكية. فعلى الرغم من أن دعوة البابا أوربان الثاني أواخر القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري، للقيام بالحركة الصليبية لإنقاذ بيت المقدس من أيدي المسلمين، إلا أن الواقع العملي لمسير تلك الجيوش الصليبية من بداية خروجها من الغرب الأوربي مرورًا بالمدن الأوربية المختلفة، ثم بالقسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية، لم تترك تلك الجيوش مدينة إلا واقاموا بها أعمال السلب والنهب، مما جعل الأمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين يسارع بنقل تلك الجيوش المتبربرة خارج عاصمته اتقاء لشرهم.

وبعد اجتياز تلك الجيوش لبلاد الشام واستيلائهم على بيت المقدس من أيدي المسلمين، وبعد اقتحام تلك الجيوش بلاد الشام مستغلة ما نشب بين القوى الإسلامية من صراعات عرقية ومذهبية يسرت اختراق القوى الفرنجية الغازية لبلاد الشام مكونة الكيانات الصليبية الأربعة وهي: - الرها- أنطاكية- طرابلس- بيت المقدس. وما أن استقر المجتمع الصليبي في بلاد الشام حتى ظهرت مسالبه وأمراضه الاجتماعية التي أفرزت لنا الكثير من الجرائم التي أدرك عقلاء الصليبيين خطورتها على هذا المجتمع الجديد، ومن ثم قامت القوى الصليبية بسن القوانين للتصدى لهذه الجرائم أملاً في إطالة عمر هذا الكيان الغريب عن المنطقة الاسلامية، ومن هنا عزم الباحث مستعيناً بالله على اختيار هذا الموضوع لعوامل عدة منها:-

أن الدراسات العربية والأجنبية على حد علم الباحث قليلة عن تلك القضية، وإن كانت تناولتها بشكل أو بآخر لكنها بصورة غير شافية، لذلك كان الهدف من ذلك العمل هو دراسة ظاهرة الجريمة داخل الكيان الصليبي على مدى فترة تواجده ببلاد الشام، وعملت تلك الدراسة على تحليل تلك الجرائم، والأسباب التي أدت إلى

انتشارها داخل المجتمع الصليبي ببلاد الشام، والتي كانت بدورها عاملاً من عوامل النحر الداخلي التي ساعدت على انهيار المجتمع الصليبي نهاية القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري.

أما عن حظ الموضوع من الدراسات السابقة، فنقر حقيقة وهي قلة الإنتاج العلمي في هذا المجال خاصة في العالم العربي، وإن لم يخل الحقل من المهتمين بالموضوع، ومنهم/ الدكتور حسن عبد الوهاب حسين، وأبحاثه القيمة التي قدمها في هذا المجال، ومنها:- الجريمة والعقوبة في المجتمع الصليبي في بلاد الشام (١٠٩٥-١١٨٧م/٤٨٨-٥٨٣هـ)[١]، وبحث آخر عن الرشوة بعنوان:- الرشوة في المجتمع الصليبي في بلاد الشام منذ الحملة الصليبية وحتى سقوط بيت المقدس (١٠٩٥-١١٨٧م/٤٨٨-٥٨٣هـ)[٢]، وكما ترجم بحثًا آخر عن الزنا بعنوان:- الزنا والدعارة واختلاط الأنساب والأجناس والتطهير الجنسي في الحرب الصليبية الأولى[٣].

وقد ساهم الدكتور حسين محمد عطية ببحثين بعنوان:- «طبائع الفرنج في الحملات الصليبية في ضوء المصادر اللاتينية»[٤]، وبحث آخر بعنوان:- «قوانين مملكة بيت المقدس الصليبية في ضوء المصادر الصليبية المعاصرة»، غير أن تلك الإسهامات لم تتابع ظاهرة الجريمة بشكل كامل من بداية الوجود الصليبي وحتى نهايته.

أما عن مشاكل الدراسة، فقد واجهت الباحث العديد منها أثناء بحث وكتابة المادة العلمية، ومن هذه المشكلات:-

- أن مصادر الموضوع التي اعتمد عليها الباحث مصادر أوربية كتبت في الشرق اللاتيني، وبالتالي فإنه لا يوجد مصادر أخرى مغايرة يمكن من خلالها مقارنة

---

(١) حسن عبد الوهاب حسين، دراسات في تاريخ الحضارة الأوربية في العصور الوسطى، (المجتمع الصليبي في بلاد الشام)، ط. الأسكندرية، ٢٠٠٠م، ص.ص ٣-٦١.

(٢) حسن عبد الوهاب حسين، مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية، ط. الأسكندرية، ١٩٩٧م، ص.ص٩١- ١٥٥.

(٣) نفسه، ص.ص ١٦٩-١٨٨.

(٤) حسين محمد عطية، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، ط. الأسكندرية، ٢٠٠٠م، ص.ص ١١-٨٤.

الأحداث للتوصل لما هو أقرب للحقيقة التاريخية، ولذلك لجأت إلى المنطق التاريخي عسى أن يفيدنا في هذا.

- وليس لدينا من المصادر المسبوقة تناول وعرض لكافة الجرائم لدى الشريحة الدنيا للمجتمع الصليبي، وبالتالي فعلينا دراسة الموضوع من خلال نماذج مختارة.

- ندرة المادة العلمية عن الجرائم داخل المجتمع الصليبي، وقلة حديث المصادر التاريخية التقليدية عن هذا الجانب السلبي الذي شاع وانتشر في المجتمع الصليبي إلا فيما ندر، وهو ما حتم على الباحث التدقيق الشديد في المصادر المتاحة للحصول على المادة العلمية الخاصة بالموضوع.

- ذكورية التاريخ نتيجة تدوين جله أن لم نقول كله بأقلام ذكورية، ومن ثم لم تبرز هذه المصادر دور المرأة بشكل عادل، ومن ثم لم يبرز دور المرأة في الجرائم وهو دور لا يمكن إنكاره من الناحية المنطقية بحكم أن النساء كن أغلبية داخل المجتمع الصليبي.

- وبالرغم من أن الرقي التشريعي لدى الصليبيين والعديد من التشريعات التي جمع معظمها في مجموعة قوانين بيت المقدس، إلا أن جل هذه التشريعات ارتبط بالاقطاع وبعلاقة السيد بالتابع، إلا أن ندرة المادة العلمية حال دون الربط بين ما سبق من قوانين وبين الواقع الفعلي، وإن كنا نؤكد أن الصليبيين لم يكونوا يسنون القانون إلا بعد حدوث الجريمة.

وقد تم تقسيم هذا العمل إلى مقدمة ودراسة نقدية لأهم المصادر والمراجع وخمسة فصول وخاتمة وملاحق وقائمة بمصادر ومراجع البحث.

أما عن الفصل الأول فجاء بعنوان:- عوامل ظهور الجريمة فى المجتمع الصليبي، وتناول هذا الفصل بالدراسة تكوين المجتمع الصليبي، والذي تعددت جنسياته المتباينة بطباعها وأخلاقها، والتي اشتملت على الحجاج الذين وفدوا من الغرب مصاحبين للجيوش الصليبية واستقر بهم المقام ببلاد الشام مكونين نواة المجتمع الصليبي، بالإضافة إلى العناصر الشرقية التي اشتملت على المسلمين وقد مثلوا الغالبية بحكم أن بلاد الشام كانت تحت السيادة الاسلامية قبيل مجيء الصليبيين للمنطقة، بالإضافة إلى بقية عناصر السكان الآخرين من مسيحيين شرقيين وسريان وغيرهم،

وكيف أن المجتمع الصليبي قام على أساس طبقي من بدايته تمثل في طبقة النبلاء والفرسان، الذين مثلوا الطبقة الأرستقراطية داخل المجتمع الصليبي، ثم طبقة العامة من المحاربين الصليبيين، ثم طبقة المسيحيين المحليين، ثم الطبقات الأقل شأنًا بعد ذلك.

ثم تطرق الفصل إلى دراسة النزاعات التي قامت داخل المجتمع الصليبي ببلاد الشام، وكيف أنهم دخلوا فى نزاعات داخلية كثيرة مع بعضهم البعض ببلاد الشام، مما أدى إلى تصدع النظام الأمني داخل الإمارات الصليبية نتيجة تلك النزاعات من ناحية، ثم ناقش الفصل الصراعات الأوربية التي انتقلت من الغرب الأوربي إلى داخل الإمارات الصليبية ببلاد الشام، وما نتج عن ذلك من حروب أهلية كثيرة أنهكت القوى الصليبية، مما أدى إلى وجود بيئة مناسبة للمجرمين من أجل تنفيذ جرائمهم دون خوف من العقاب.

وحمل الفصل الثاني عنوان:- جريمة القتل، فتناول الفصل تعريف جريمة القتل ودوافعها المتباينة التي أدت إلى انتشارها داخل المجتمع الصليبي، ثم ناقش الفصل استخدام القتل من جانب الصليبيين لتصفية خلافاتهم السياسية فيما بينهم، فقد مثل القتل أسرع تلك الوسائل للتخلص من الخصوم والمعارضين في الرأي خاصة باستخدام الطرق المختلفة لتنفيذ تلك الجريمة، ومن أشهرها السموم التي انتشر استخدامها على نطاق واسع داخل المجتمع الصليبي وبالأخص بمدينة عكا في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري.

وتناول الفصل تورط رجال الدين الصليبيين في تلك الجريمة، متغاضين عن الهيبة والوقار التي كان من المفترض أن يتمتعوا بها، وقد كانت دوافعهم لذلك دنيوية، وقد كان للمرأة الصليبية نصيب من تلك الجريمة، مع اختلاف دوافعها، فقد كانت دوافع سياسية للمحافظة على الاستقلال السياسي أو دوافع عاطفية من أجل التخلص من الأزواج، وأخيرًا استخدام القتل كعقاب للتخلص من الخصوم أو لمجرد الشك في الولاء.

وجاء الفصل الثالث بعنوان:- جريمة الزنا، وجاء في هذا الفصل تعريف جريمة

الزنا، وناقش الأسباب والدوافع المتباينة التي أدت إلى ارتكاب تلك الجريمة، وتطرق الفصل لإلقاء الضوء على تفشي جريمة الزنا داخل الطبقة العليا للمجتمع الصليبي ببلاد الشام، وإقدام هذه الطبقة على تلك الجريمة دون مراعاة لمكانتهم الاجتماعية بين رعاياهم من الصليبيين. ويضاف إلى ذلك تورط رجال الكنيسة في اقتراف تلك الجريمة الأخلاقية، والتي كانت على النقيض تمامًا من المفروض عليهم القيام به تجاه الصليبيين من نصح وإرشاد والابتعاد عن الرذائل الأخلاقية بكافة أشكالها، ثم تاتي طبقة العامة والتي مثلت القاعدة العريضة من المجتمع الصليبي نظرًا لكثرة أعدادها، والتي تفشت بينها تلك الجريمة بشكل قبيح.

وحمل الفصل الرابع عنوان:- جريمة الرشوة، وقام الفصل بتعريف جريمة الرشوة ودراسة دوافعها المختلفة، ثم ناقش الفصل تورط رجال الطبقة العليا للمجتمع الصليبي سواء كانوا من الملوك أو النبلاء في تلك الجريمة، وتعددت الأسباب التي من أجلها قدموا على فعل ذلك، ثم مشاركة رجال الكنيسة بنصيب في تلك الجريمة، والتي دلت على تدني المستوى الأخلاقي لتلك الطبقة، ثم مساهمة طبقة العامة بنصيب من تلك الجريمة.

ثم الفصل الخامس والأخير وهو بعنوان القوانين والعقوبات ومدى تطبيقها داخل المجتمع الصليبي، فعرف الفصل بكيفية نشأة القوانين الصليبية وتطورها على مدى القرنين الثاني والثالث عشر الميلاديين/ السادس والسابع الهجريين، ثم عرف بالتنظيم القضائي عند الصليبيين وتعدد انواع المحاكم داخله، وكيف اختصت كل طائفة بمحكمة خاصة بها، ثم وضح القوانين الخاصة بالجرائم التي انتشرت داخل ذلك المجتمع.

وأخيرًا، فأحمد الله عز وجل على فضله وكرمه الذي مكنني من إتمام ذلك العمل، على الرغم مما به من نقصان، فالكمال لله وحده، لذلك لا يسعني إلا أن أشكر الله على فضله ونعمه التي لا تعد ولا تحصى.

وأتوجه بالشكر وعظيم الامتنان إلى أستاذي ومعلمي، الأستاذ الدكتور/ أحمد رمضان أحمد رحمة الله عليه، الأستاذ المتفرغ بقسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة عين

شمس، والذي شملني بالرعاية وشرفت بإشرافه على تلك الرسالة طوال فترة خمس سنوات متتالية، الذي لم يبخل فيها بوقته ولا جهده في الإشراف على تلك الرسالة، كما قام بتصحيح الكثير من المفاهيم التي لم يكن أدركها خلال فترة الدراسة، فجزاه الله عني وعن زملائي خير الجزاء.

كما أتوجه بخالص شكري وعظيم امتناني إلى إستاذي ومعلمي، الأستاذ الدكتور/ محمد مؤنس أحمد عوض، أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب، جامعة عين شمس، وكلية الآداب والعلوم بالشارقة، فقد كان صاحب فكرة الموضوع، وطول الخمس سنوات وهي فترة إعداد الرسالة، لم يكن يبخل أبدًا بجهده ووقته ومكتبته العامرة بشتى المصادر والكتب القيمة التى أثرت موضوع الرسالة، كما تفضل بتوجيهي إلى الكثير من وجهات النظر والأفكار التي قومت من مسارها، فله مني كل الشكر و الامتنان، وجزاه الله عني خير الجزاء، وجعله في ميزان حسناته.

كما أتوجه بالشكر إلى الدكتور/ محمد فوزي مصري رحيل، الذي لم يتركني طوال فترة إعداد الرسالة سواء بإمدادي بالمصادر والمراجع التي أثرت موضوع الرسالة، أو بمساهمته في استقامة ما اعوج من جوانب الرسالة، ولم يبخل بالنصح والإرشاد والخبرة التي لديه في ذلك المجال، فجزاه الله عني خير الجزاء، وجعله في ميزان حسناته.

كما أتوجه بشكري وعظيم امتناني إلى جميع زملائي الذين ساعدوني خلال تلك المرحلة من إعداد الرسالة، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

وبعد فتلك ثمرة عملي المتواضع، والذي أرجو من الله أن يتقبله، وبالله التوفيق.

دراسة نقدية لأهم مصادر البحث

لقد تعددت وتنوعت مصادر البحث من الجوانب الصليبية، ومن بدايات تلك المؤلفات التي تحدثت عن الكيان الصليبي، هو مؤلف فوشيه الشارتري (Foulcher of Chartres) بعنوان :- تاريخ الحملة إلى بيت المقدس- (Historia Heirosolymitana) - وقد تحدث الكتاب عن بداية دعوة البابا أوربان الثاني في كليرمونت بفرنسا، وتحرك الجيوش الصليبية وتوجهها إلى بلاد الشام، وانتهي مؤلفه في عام ١١٢٧م/ ٥٢١هـ، وكان فوشيه القس الخاص بالملك الصليبي بلدوين الأول، وقد نسب فوشيه إلى شارتر وهي المنطقة التي وفد منها[1].

وقد تميز مؤلف فوشيه أنه كان من بواكير المؤلفات التي تحدثت عن تدهور الوضع الأخلاقي للصليبيين، وذلك خلال تقدم الجيوش الصليبية من أسيا الصغرى مرورًا بالساحل الشامي، وحتى إسقاطهم لمدينة بيت المقدس ١٠٩٩م/ ٤٩٢هـ[2]، بل ويعد كتاب فوشيه الشارتري هو المؤلف الوحيد الذي كتبه مستوطن صليبي غطى المرحلة التكوينية المبكرة للإمارات الصليبية عقب الحملة الصليبية الأولى[3].

ثم يأتي بعد ذلك كتاب ألبرت دى أيكس Albert D'Aix وهو بعنوان: Historia Heirosolymitana Expedations ، ويقع هذا المؤلف في اثني عشر فصلاً، وقد كتبه ألبرت في الفترة من عام ١١٢٥-١١٣٠م/ ٥١٩-٥٢٤هـ، وينتمى ألبرت دي أيكس لمدينة أيكس الألمانية وليست البروفانسية على عكس ما كان يعتقد الكتاب القدامى، فقد كان ألبرت كاهنًا وأمينًا لكنيسة أيكس، ولم يعرف اسمه بالكامل، ولم تشر المصادر إلى تاريخ ولادته أو وفاته، وظل ألبرت شخصية غامضة إلى حد ما[4]، وعلى الرغم من أن ألبرت لم يحضر إلى بلاد الشام، فقد اعتمد في تدوين مؤلفه على روايات شهود العيان، وعلى مؤلفات أخرى اندثرت مع مرور الزمن[5]،

---

(١) فوشيه الشارتري، الاستيطان الصليبي في فلسطين، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس ١٠٩٥ – ١١٢٧م، ت. قاسم عبده قاسم، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص٢٦.

(٢) نفسه، ص١٠٢.

(٣) نفسه، ص٢٥.

(٤) صفاء عثمان محمد إبراهيم، مملكة بيت المقدس في عهد الملك بلدوين الثاني (١١١٨-١١٣١م/ ٥١٢-٥٢٥هـ)، دار العالم العربي، ط. القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٢٩، هامش (١).

(٥) علية الجنزوري، إمارة الرها الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. القاهرة، ٢٠٠١م، ص١٤،=

وقد تميز هذا المؤلف بوجهة النظر الناقدة للمجتمع الصليبي في بدايات تكوينه، وقد سجل بدايات ظهور الجرائم المختلفة منذ بداية زحف الجيوش الصليبية من الغرب الأوربي وصولاً إلى بلاد الشام، وقد أنكر على الصليبيين اقترافهم لتلك الآثام، التي كانت على النقيض تمامًا من أهدافهم المعلنة.

ومن المصادرالمهمة لموضوع الدراسة، مؤلف وليم الصوري William of Tyre بعنوان A History of Deeds Done Beyond The Sea، وقد تم الاعتماد على الترجمة العربية لذلك المصدر(٦)، وقد بدأ في تدوينه عام ١١٦٩م/٥٦٥هـ حتى عام ١١٨٤م/ ٥٨٠هـ. وقد تميز هذا الكتاب بأن مؤلفه قد ولد على أرض بلاد الشام، وشغل المناصب الدينية حتى وصل إلى رئيس أساقفة صور، ويضاف إلى ذلك قربه من القيادة السياسية ومركز صنع القرار الصليبي، وقد تميز مؤلف وليم الصوري بأن مادته جمعت بعناية ودقة، وقد تميز أسلوبه بالتحليل المنطقي للأحداث، وكذلك ندرت الإشارات التي تحدثت عن الخرافات، وتميز مؤلفه أيضًا بالنقد الاجتماعي للمجتمع الصليبي، وما كان يدور فيه(٧). وقد لمس وليم الصوري مواطن الضعف داخل المجتمع الصليبي، بل توقع وليم الصوري سقوط مملكة بيت المقدس، حيث توقع ذلك الحدث الخطير بناءً على ما شاهده وقام بتحليله وأنذر بحدوثه قبل غيره من المعاصرين، وكان تاريخ وليم الصوري بمثابة مؤشر واضح للجرائم التي كان يرتكبها الصليبيون، كما فصل تاريخ وليم الصوري المنازعات التي كانت تقع بين القادة الصليبيين، والتي كانت سببًا رئيسًا في الجرائم التي وقعت بينهم، ويضاف إلى ذلك وقوع وليم الصوري ضحية إحدى تلك الجرائم.

ومن الوثائق الهامة التي اعتمدت عليها الدراسة، وثيقة عرفت باسم مانسي-Mansi، تحت عنوان:- Sacrorum Concilorum nova et amplissma

---

=صفاء عثمان، المرجع السابق، ص ٢٩-٣٠.

(٦) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ت. حسن حبشي، ط. القاهرة، ١٩٩١م.

(٧) محمد مؤنس عوض، النقد الاجتماعي من خلال كتابات وليم الصوري (ت.١١٨٦م) وأبي شامة المقدسي (ت. ١٢٦٧م): دراسة في التاريخ المقارن لعصر-الحروب الصليبية، ضمن كتاب:- الحروب الصليبية دراسات في التاريخ المقارن، دار العالم العربي، ط. القاهرة، ٢٠١٠م، ص ١٢١-١٢٥.

Collectio[٨]، وقد تعرضت تلك الوثيقة لقرارات مجلس نابلس، والذي عقد عام ١١٢٠م/٥١٤هـ، تحت رعاية الملك الصليبي بلدوين الثاني (١١١٨-١١٣١م/٥١٢-٥٢٥هـ)، وقد تم عقد هذا المجلس من أجل مواجهة تفشي الجرائم داخل المجتمع الصليبي الناشيء ببلاد الشام، والعمل على الحد منها، وذلك من خلال فرض عقوبات قاسية على المذنبين سواء كانوا من الصليبيين أم من العناصر السكانية الأخرى التي خضعت للسيطرة الصليبية ببلاد الشام.

ويعد جاك دي فيتري Jacques de vitry (ت ١٢٤٠م/٦٣٨هـ)، الذي كان داعية للحملة الصليبية الخامسة، من أبرز مؤرخي القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري، فقد حضر أولاً إلى مصر مع مقدم الحملة، ثم استقر به المقام بمدينة عكا، فقد تم تعينه أسقفًا لها وذلك في عام ١٢١٧م/٦١٤هـ، وبعد ذلك بدأ في تدوين تاريخه بعنوان تاريخ مملكة بيت المقدس The History of Jerusalem ،وتم الاعتماد على الترجمة العربية لذلك المصدر[٩]،ويضاف إلى ذلك خطاباته التي بعث بها إلى البابا هونوريوس الثالث Honorius III (١٢١٦-١٢٢٧م/٦١٣-٦٢٤هـ)، التي كانت عبارة عن نقد اجتماعي لاذع للمجتمع الصليبي من شاهد عيان عاصر مرحلة انحطاط ذلك المجتمع في النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري[١٠]. وتناول جاك دي فيتري في تاريخه تكوين المتجمع الصليبي بنظره تحليلية ناقدة، وخاصة لعناصر البولان[١١] التي وجه إليها نقده اللاذع، وحملها مسئولية انحطاط المجتمع الصليبي، كما أمدنا تاريخ جاك دي فيتري بصورة من صور الحياة الاجتماعية التي كانت سائدة بمدينة عكا، وما كان يسود هذا المجتمع من خلل بين جنباته.

وفيما يتعلق بالمصادر التاريخية الأرمينية، فيعد تاريخ متى الرهاوي Mathien

---

(8)Mansi (J.D), Sacrorum Concilorum nova et amplissma Collectio, Vol. 21, Ahademishche druck –u Verlag , Sanstalt, Austria, 1961.

(٩) جاك دي فيتري، تاريخ مملكة بيت المقدس، ت. عبد اللطيف عبد الهادي السيد، ط. ليبيا، ٢٠٠٥م.

(١٠) نهي فتحي الجوهري، إمارة طرابلس الصليبية في القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري، دار العالم العربي، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ٢٦-٢٧.

(١١) للمزيد عن البولان، انظر الفصل الأول.

d'Edesse, Chronique de Mathien d'Edesse (962-1136), Avec la Continuation de Gregoire le Peter Jusq'en 1162 ed،وتم الاعتماد على الترجمة العربية لذلك المصدر[١٢]، التي أمدت البحث بمعلومات عن أحوال الأرمن الذين كانوا خاضعين للحكم الصليبي بمدينة الرها. وقد ولد متى بمدينة الرها، ويلاحظ ذلك من اسمه نسبة لمدينة الرها، وفيما يتعلق بحياته فليس لدينا معلومات عنها، وقد توفي عام ١١٤٤م/٥٣٩هـ، وذلك في نفس العام الذي سقطت فيه إمارة الرها على يد عماد الدين زنكي، وبذلك يكون قد عاصر نشأة تلك الإمارة الصليبية واسترداد المسلمين لها مرة أخرى[١٣]، وترجع أهمية ذلك المصدر إلى انه بمثابة مؤشر لما كان يدور داخل تلك الإمارة الصليبية من تقلبات سياسية واجتماعية أثرت على تماسك تلك الإمارة.

وفيما يتعلق بالمصادر السريانية المعاصرة لتلك الفترة، فيعد تاريخ ميخائيل السرياني Michael Le Syrien, Chronique[١٤]، من المصادر المهمة عن السريان خلال تلك الفترة، فقد كان ميخائيل السرياني هو البطريرك اليعقوبي لأنطاكية خلال الفترة من ١١٦٦- ١١٩٩م/٥٦٢-٥٩٦هـ، فقد كان تاريخه خاصًا بسوريا بصفة عامة[١٥]، وعلى الرغم من أن المؤلف كان رجلاً كنسيًا، إلا أنه كان له نظرة خاصة للمجتمع الصليبي، بالإضافة إلى نظرته الدينية، فقد كان ناقدًا للأوضاع التي كان يعيشها السريان تحت السيطرة الصليبية.

كما كان للمؤلفات القانونية التاريخية مثل مؤلف حنا دي أبلين John de Ibelin وهو بعنوان Le Liver de Assises أو كتاب الأسيس، وهو مؤلف قانوني من الدرجة الأولى، وهو ينتمي لأسرة أبلين، والذي يعد من أهم الشخصيات في تلك

---

(١٢) حولية متى الرهاوى، ضمن: الموسوعة الشامية فى تاريخ الحروب الصليبية، تأليف وتحقيق وترجمة: سهيل ذكار، الجزء الخامس، دمشق، ١٩٩٥م.

(١٣) علية الجنزوري، إمارة الرها، ص١٧.

(١٤) روايات ميخائيل السورى الكبير، ضمن: الموسوعة الشامية فى تاريخ الحروب الصليبية، تأليف وتحقيق وترجمة: سهيل ذكار، الجزء الخامس، دمشق، ١٩٩٥م.

(١٥) علية الجنزوري، إمارة الرها، ص١٩.

الأسرة، فقد كان كونتًا على كل من يافا وعسقلان. فقد كان حنا هو الابن الأصغر لفيليب أبلين وآليس مونتبليار، وحفيدًا لبليان أبلين وماريا كومنين أرملة الملك الصليبي عموري الأول، وابن حفيد باليان الفرنسي مؤسس تلك الأسرة، أي أنه ينحدر من سلالة الملوك والنبلاء. وقد ولد حنا في عام ١٢١٥م/٦١٢هـ، وتربى في قبرص حيث كان أبوه نائبًا بها، وفيما يتعلق بمؤلفه فقد كتبه لكي يوضح للملك والأمراء الصليبيين كيف ينبغي أن يحاكموا رجالهم في حالة ارتكابهم للجرائم، والذي أراد توضيحه حنا في ذلك المؤلف، هو أن سادة الصليبيين كانوا في حاجة إلى معرفة القانون، وإجراءات المحكمة العليا التي ينبغي أن تطبق في محاكمة باروناتهم، وكان هدفه من وراء ذلك هو تعليم زملائه من النبلاء والسادة اللاتين، وتقديم إجراء موحد للعمل به داخل المحاكم الصليبية[١].

وفيما يتعلق بالمصادر الإسلامية المعاصرة التي أمدت البحث بالمعلومات، على رأسها كتاب الاعتبار لمؤلفه أسامة بن منقذ، وقد ولد أسامة في أسرة توارثت حكم إمارة شيزر، وهي مدينة في الشمال الغربي لمدينة حماة، وقد نشأ أسامة على الفروسية، إلى جانب ثقافة الفكرية حيث درس الحديث والفقه والشعر[٢]. والذي ميز كتابات أسامة أسامة بن منقذ عن غيره، أنه كانت له علاقات وطيدة مع الصليبيين، ولذلك أفادت كتاباته في تسليط الضوء داخل المجتمع الصليبي ذاته كل ذلك ساعده على التعبير بأسلوب واضح، وقد أمد كتابه البحث بمعلومات من الناحية الاجتماعية، وذلك من خلال رؤية رحالة خبير، خالط الصليبيين لمدة طويلة من الزمن[٣]، فقد أبرز من خلال خلال كتابه الانحدار الأخلاقي الذي كان يعيش فيه المجتمع الصليبي، بالإضافة إلى ظاهرة التعصب التي كانت سائدة بين طبقاته المختلفة خاصة بين العناصر الجديدة الوافدة من الغرب الأوربي، وبين الصليبيين الذين ولدوا على أرض بلاد الشام، كما

---

(١) حسين عطية، قوانين مملكة بيت المقدس الصليبية في ضوء المصادر الصليبية المعاصرة، ص٢١-٢٢.

(٢) أحمد أحمد بدوي، الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط. القاهرة، ١٩٧٩، ص ١٧١-١٧٢.

(٣) محمد مؤنس، الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط. القاهرة، ١٩٩٥م، ص٢٧٤.

استفاد البحث من خلال كتابات أسامة عن المحاكمات التي كانت تتم بين الصليبيين، والطريقة القاسية التي كانت يتم بها معاقبة المجرمين.

ويأتي كتاب رحلة ابن جبير، بعنوان تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، والمعروف برحلة بن جبير،وقد كان بن جبير عربيًا أندلسيًا، واسمه أبو الحسين محمد بن جبير الكناني، وقد ولد في بلنسيه ١١٤٥م/٥٤٠هـ، وتعلم على يد أبيه وعلماء عصره[١]. وقد كان ابن جبير رائد من رواد عصره في مجال الرحلة، وقد نهج على منواله واقتبس منه الكثير من الرحالة والمؤرخين[٢]. والذي يهمنا من رحلة ابن جبير وصفه لمدن بلاد الشام التي مر بها أثناء رحلته، ومنها مدينة عكا وصور، واصفًا لمظاهر الحياة الاجتماعية والمشاهد التي رآها هناك، والعلاقات التي كانت قائمة بين المسلمين والصليبيين[٣]، حتى أنه أبدى أسفه وندمه على دخوله المدن والمناطق التي خضعت للسيطرة الصليبية واعتبرها زلة قدم، وقد دلت عبارته على مدى الانحلال الخلقي الذى رآه ابن جبير بعينيه داخل المدن الصليبية[٤]، ويرى الباحث أنه لولا حياء ابن جبير، لذكر لنا بالتفصيل عن مظاهر الفساد التي وجد عليها المجتمع الصليبي، غير أن ذلك الحياء حجب الكثير من المعلومات.

ومن المراجع الحديثة التي أمدت البحث بمادة خصبة عن الموضوع، بحث الدكتور حسن عبد الوهاب حسين، بعنوان :- الجريمة والعقوبة في المجتمع الصليبي في بلاد الشام (١٠٩٥-١١٨٧م/٤٨٨-٥٨٣هـ)[٥]، وقد تميز هذا البحث بأنه تمهيد

---

(١) ابن جبير، تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، تحقيق: محمد زينهم، دار المعارف، ط. القاهرة ٢٠٠٠م، ص٦.

(٢) أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، ط. القاهرة، ب.ت، ص٣٢٤.

(٣) زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، ط. بيروت، ١٩٨١م، ص٨٥.

(٤) محمد مؤنس، الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط. القاهرة،١٩٩٥م، ص٣٠٥.

(٥) دراسات في تاريخ الحضارة الأوربية في العصور الوسطى، (المجتمع الصليبي في بلاد الشام)، ط. الأسكندرية، ٢٠٠٠م، ص ٣- ٦١.

للموضوع الأساسي للرسالة، نظرًا لـما احتواه من معلومات قيمة عن طبيعة تلك الفترة، غير أن البحث كانت نهايته عام ١١٨٧م/٥٨٣هـ وهو عام معركة حطين التي انهزم فيها الصليبيون، وإضطربت أحوالهم ببلاد الشام، وبذلك لم يتابع البحث الموضوع لنهاية الوجود الصليبي ببلاد الشام.

وبحث أخر للدكتور حسن عبد الوهاب حسين بعنوان:- الرشوة في المجتمع الصليبي في بلاد الشام منذ الحملة الصليبية الأولى وحتى سقوط بيت المقدس (١٠٩٥-١١٨٧م/٤٨٨-٥٨٣هـ)[١]، وتناول البحث تفشي ظاهرة الرشوة داخل المجتمع الصليبي منذ الحملة الصليبية الأولى مارًا بتأسيس الإمارات الصليبية وحتى سقوط مملكة بيت المقدس الصليبية على يد صلاح الدين الأيوبي، غير أن البحث تناول تلك الجريمة من الجانبين الإسلامي والصليبي وتداخل الجريمة فيما بينهم، ويتوقف عند سقوط مملكة بيت المقدس الصليبية، ولم يتابع تطور تلك الجريمة بعد ذلك الوقت.

وبحث آخر للدكتور حسن عبد الوهاب حسين بعنوان:- الزنا والدعارة واختلاط الأنساب والأجناس والتطهير الجنسي في الحرب الصليبية الأولى[٢]، وهو مقال مترجم لصاحبة جيمس بروندیج، حيث تناول الحياة الجنسية عند الصليبيين والفضائح التي ارتكبوها فى أثناء رحيلهم من الغرب الأوربي مرورًا بالقسطنطينية ثم احتلالهم لمدن بلاد الشام حتى نهاية الحملة بتأسيس مملكة بيت المقدس، متناولاً للجرائم الجنسية التي ارتكبوها خلال زحفهم بمدن بلاد الشام، وأنهم لم يراعوا الأفكار التي كانوا ينادون بها، وتخلوا عنها لمجرد إشباع نزاوتهم ورغباتهم.

ويضاف إلى ذلك بحث متخصص للدكتور حسين محمد عطية، وهو بعنوان :- «طبائع الفرنج في الحملات الصليبية في ضوء المصادر اللاتينية»[٣]، ويعد هذا البحث

---

(١) مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية، ط. الأسكندرية، ١٩٩٧م، ص ٩١-١٥٥.

(٢) المرجع السابق، ص ١٦٩-١٨٨.

(٣) دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، ط. الأسكندرية، ٢٠٠٠م، ص.ص ١٣-٨٤.

من أهم البحوث التي اعتمدت عليها تلك الدراسة، فقد تناول أخلاق وطبائع الصليبيين، وما كان يبدو عليهم من وحشية همجية تعاملوا بها مع بعضهم البعض، بالإضافة إلى الجرائم المختلفة التي ارتكبوها فيما بينهم من ناحية، ومن ناحية أخرى الجرائم التي ارتكبوها بسكان المدن التي مروا بها، والتي خجل المؤرخون المعاصرون من ذكر تلك الآثام التي أقدم عليها الصليبيون، فقد استباحوا جميع المحرمات، وأتوا بجميع المنكرات أثناء زحف حملاتهم العسكرية، ولم يراعوا أية مشاعر دينية أو حتى الأهداف المعلنة التي أتوا من أجلها، وهي تحرير بيت المقدس من قبضة المسلمين.

وإلى جانب ذلك بحث آخر متخصص بعنوان، «قوانين مملكة بيت المقدس الصليبية في ضوء المصادر الصليبية المعاصرة»، بحث مقدم للجنة الترقية[1]، وهذا البحث له من الأهمية ما يجعله من البحوث التي أوضحت للباحث الطريقة التي سنت بها القوانين الصليبية، وكيفية عمل المشرعين القانونيين في تلك المرحلة، وكيفية نشأة القوانين الصليبية التي تم الأخذ بها في المحاكم الصليبية، بالإضافة إلى الكتب القانونية المتعددة التي ألفها مشرعون صليبيون، سواء كانت أعمال فردية أم جماعية، وقد أبرز ذلك البحث حرص الصليبيين على سن القوانين من أجل الحد من انتشار خطر الجريمة الذي ازداد مع طول فترة بقاء الصليبيين ببلاد الشام.

كما أفادت الدراسة من بحث الدكتور محمد مؤنس:- أضواء على الطب في المناطق الصليبية خلال المرحلة من ١٠٩٨ إلى ١١٧٤م/ ٤٩١-٥٧٠هـ[2]، وترجع أهمية ذلك البحث إلى أنه ألقى الضوء على جانب اجتماعي مهم داخل المجتمع الصليبي، وهو الجانب الطبي وطرق ووسائل علاجهم البدائية، والذي يهمنا في ذلك البحث هو تعرضه للسموم وأنواعها المختلفة التي انتشر استخدامها داخل المجتمع الصليبي لغرض القتل.

---

(١) بحث مقدم للترقية، ص.ص ١-٥٨.

(٢) عصر الحروب الصليبية بحوث ومقالات، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط. القاهرة، ٢٠٠٦م.

الفصل الأول

عوامل ظهور الجريمة في المجتمع الصليبي

❊ تكوين المجتمع الصليبي.

❊ الصراعات الداخلية في المجتمع الصليبي.

❊ انتقال الصراعات الأوربية إلى المجتمع الصليبي في بلاد الشام.

يتناول هذا الفصل بالدراسة عوامل ظهور الجريمة داخل المجتمع الصليبي، من حيث تكوين المجتمع الصليبي، التي تعددت طبقاته وجنسياته، وسوف يناقش اختلاف الطبقات الاجتماعية التي كونت ذلك المجتمع في منطقة الساحل الشامي، وكذلك سوف يعرض الفصل للصراعات الداخلية التي نشأت بين الصليبيين داخل الإمارات، والحروب التي دارت بينهم داخل الإمارات الصليبية، والتي أدت إلى ضعفها، وكذلك يناقش انتقال الصراعات والمشاحنات الأوربية داخل الإمارات الصليبية في بلاد الشام.

وفيما يتعلق بتكوين المجتمع الصليبي، فلقد اشترك عدد ضخم من الرجال من جنسيات وطبقات اجتماعية متباينة، وظهر ذلك التباين بشكل واضح في التجمعات الصليبية[1]، وضمت الجيوش الصليبية التي توجهت إلى بلاد الشام فئات من عناصر أوربية مختلفة، وأدى ذلك التجمع الكبير إلى تكوين المجتمع الصليبي ببلاد الشام، فضم ذلك المجتمع الطبقات المحاربة النبيلة، والأحرار ورجال الدين والتجار[2]، ومما لا شك فيه أن تلك المشاركة الجماعية في النزوح من أوربا، عبارة عن هروب من الظروف الاقتصادية والاجتماعية البائسة التي أصابت أوربا في تلك الفترة.

والذي ساعد على تباين طبقات المجتمع الصليبي ببلاد الشام، قرارات المجامع البابوية بغرب أوربا، ومنها على سبيل المثال قرارات مجمع لاتيران الأول Lateran I عام ١١٢٣م/٥١٦هـ، والتي تقرر فيها منح الذين يذهبون إلى بيت المقدس، والذين يقدمون العون للذين يدافعون عن المسيحيين، غفران جميع معاصيهم، بل وضعت البابوية جميع ممتلكاتهم تحت حمايتها[3]،

---

(1) Smith, Jonathan Riely, The Motives of the Earliest Crusaders and the Settlement of Latin Palestine, 1095-1100, E. H. R, Vol.98, No.389, Oct, 1983,p721.

(٢) محمود محمد الحويري، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد، ط. القاهرة ١٩٧٩م، ص ٤٩.

(3) The Canons of The First Lateran Council, 1123, Canon 11, , in: Medieval Sourcebook, Ninth Ecumenical: Lateran Council, 1123, in:=

وبـذلك كانـت تلـك القـرارات بمثابـة حـافز قـوي لتـدافع عنـاصر المجتمـع الأوربي المختلفة، مع مآربها المتباينة للذهاب إلى الأراضي المقدسة ببلاد الشام.

وبجانـب تلـك الطبقـات النبيلـة التـي وفـدت مـن أوربـا، ضـمت الجيـوش الصـليبية أعـدادًا كبـيرة مـن المجـرمين بمختلـف أنـواعهم، كـل أولئـك أتـوا تحـت شـعار الحـروب الصـليبية، وتركـزوا في المـوانئ السـاحلية لـبلاد الشـام[٤]، وبـذلك مثلت أوربا مركز طرد للسكان في تلك المرحلة.

ولقـد انتـشرت بأوربـا في أواخـر القـرن الحـادي عـشر المـيلادي/ الخـامس الهجـري، الحـروب الطاحنـة بـين كبـار الإقطـاعيين، وخاصـة في فرنسـا حيـث أوجـدت مـا عـرف بهدنـة الـرب Pax de Dei وهـى عبارة عـن فـترات زمنيـة يتوقـف فيهـا القتـال بـين المتصـارعين – ويـرجح أنهـم أخـذوا تلـك الفكـرة مـن المسـلمين المتعلقـة بالأشـهر الحـرم التـي حـرم فيهـا القتـال- وقـد لعبـت الكنيسـة دورًا كبـيرًا في الحـد مـن تلـك الحـروب المـدمرة، فكانـت الحـروب الصـليبية مـا هـي إلا محاولـة لإرسـاء السـلام، فلقـد تفـرغ الفرسـان للهـدف المسـيحي الجديـد، وبالفعـل نجحـت الكنيسـة وعـلى رأسـها البابـا أوربـان الثـاني Urban II (١٠٨٨ - ١٠٩٩م/ ٤٨١-٤٩٢هـ)[٥]، في الوصـول إلي ذلـك الغـرض[٦]، ويـرجح أن

=www.fordham.edu/hasall/basis/LateranI.

(٤) محمود محمد الحويري، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام، ص٤٩.

(٥) **أوربان الثاني**:- واسمه أودو دي لاجني Odo de Lagny، ولد بمدينة شاتيون Chatillon بفرنسا عام ١٠٣٥م/٤٢٦هـ وتلقى تعليمه الكنسي على يد القديس برونو St. Bruno ، ثم دخل السلك الكنسي حيث تدرج في مناصبه حتى صار رئيسًا لدير كلوني Cluny ، ثم كاردينالاً أسقفًا لأوستيا Ostia ، ثم التحق بخدمة البابا جريجوري السابع Gregory VII ، وفي عام ١٠٨٤-١٠٨٥م/٤٧٧-٤٧٨هـ صار نائبًا لهذا البابا، ثم خلف البابا فيكتور الثالث Victor III في رئاسة البابوية في ١٢ مارس ١٠٨٨م/ ١٦ ذي الحجة ٤٨٠هـ، وظل متقلدًا ذلك المنصب حتى وفاته في عام ١٠٩٩م/ ٤٩٢هـ بعد أسبوعين من سقوط بيت المقدس في يد الصليبيين، انظر:-

Kelly, Oxford dictionary of Popes, New York, 1996, pp. 165-166, Frederic Duncalf, " The Councils of Piacenza and Clermont", in A History of the Crusades, (ed): by: Setton, Vol.I, London, 1969, pp.225-226.

(٦) علية عبد السميع الجنزوري، الحروب الصليبية (المقدمات السياسية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط.=

الجهود التي قامت بها البابوية من أجل وقف نزيف الدماء الأوربي، قد باءت جميعها بالفشل، ولم ينجح سوى حل واحد، وهو توجيه طاقة النبلاء الحربية خارج المجتمع الأوربي، حتى تنعم أوربا بهدوء لم تنعم به من فترة طويلة.

ومن ناحية أخرى أدرك الناس في أوربا أن دعوة البابا أوربان الثاني ما هي إلا فرصة من أجل أن يعيشوا حياة أفضل في الشرق المقدس، وربما يكون الفقراء أرادوا الهرب من واقعهم الأليم الذي عايشوه في أوربا، ولذلك كان العامة من الفلاحين وفقراء أهل المدن يظنون أنفسهم أصفياء الرب لأنهم الفقراء، وكان هذا المظهر الديني العاطفي هو الذي ميز حركة الفقراء وموقفهم تجاه دعوة البابا[٧].

وقبل الموعد الذي حدده البابا أوربان الثاني لرحيل الصليبيين إلى الشرق، في ١٢ أبريل ١٠٩٦م/ ١٧ ربيع الآخر ٤٨٩هـ، أي قبل حوالي أربعة أشهر، احتشدت خمسة جيوش من الفقراء والمعدمين ومعهم زوجاتهم، وليس معهم سلاح إلا الهراوات والمناجل والفؤوس والمذاري، وقد انضم إلى أولئك الفقراء قطاع الطرق والأفاقون والمجرمون وغيرهم، لا لكي يكفروا عن خطاياهم، بل لكي يقترفوا خطايا جديدة[٨].

وقد رأى أحد الباحثين أن تلك الحركة جذبت رجالاً ونساءً من جميع الطبقات، وأن سرعة انضمام تلك العناصر للحملة الشعبية، ربما يرجع إلى انتشار الفوضى، والتسمم الوبائي الذي كان يجتاح غرب أوربا في تلك الفترة،

=القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٢٤٧.

John France, Victory in The East, Cambridge, 1994,p 11, Marshall Baldwin, Some Recent Interpretation of Pope Urban II's Eastren Policy, The Catholic Historical Review, Vol.25, No.4, (Jan., 1940).

(٧) قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط. القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ١١٠.

(٨) محمود محمد الحويري، بناء الجبهة الإسلامية المتحدة وأثرها في التصدي للصليبين، دار المعارف، ط. القاهرة، ١٩٩٢، ص ٣٧.

والـذي أدى إلى أزمـة اقتصـادية طاحنـة، وهـروب الفقـراء بنسـائهم وأطفـالهم، وكـان ذلـك عـلى عكـس رغبـة البابـا أوربـان الثـاني، الـذي لم يكـن يريـد انضـمام تلـك العنـاصر غـير المؤهلـة للجيـوش الصـليبية[1]. ومـن الواضـح أن البابـا أوربـان أراد عنـاصر بعينهـا تـذهب إلى الأراضي المقدسـة، وهـي الفرسـان، غـير أنـه فـوجئ بتلـك العنـاصر الشـعبية التـي تحركـت صـوب الأراضي المقدسـة، وهـي غـير مؤهلـة للقتـال وأعـمال الحـرب، غـير أنـه لم يكـن بيـده شيء ليمنـع تلـك العنـاصر مـن الذهاب.

وكـان بطـرس الناسـك[2] Peter The Hermit (١١١٣م/٥٠٧هـ)، هـو هـو أول مـن وصـل إلى القسـطنطينية في ٣٠ يوليـو ١٠٩٦م/ ٨ شـعبان ٤٨٩هـ، مـع جمـوع كبـيرة مـن الألمـان، ووجـد في انتظـاره صـليبين مـن شـمال وجنـوب

---

(١) جوناثان رايلي سميث، حالة الصليبين الذهنية تجاه الشرق (١٠٩٥ – ١٣٠٠م)، ضمن كتاب: " تاريخ أكسفورد للحروب الصليبية "، تحرير: جوناثـان رايلي سـميث، ت.قاسـم عبـد قاسـم، عـين للدراسـات والبحـوث الإنسـانية والاجتماعية، ط. القاهرة،٢٠٠٧م، ص١٠٥.

Walter Porges, The clergy, The poor and noncombatants on the first crusade, Speculum, Vol.II, No.I, Jan, 1946, p3.

(٢) بطـرس الناسـك:- هـو مبشرـ وقائـد أحـد جيـوش الحملـة الصـليبية الشـعبية، خـلال الفـترة مـن ١٠٩٦-١٠٩٩م/ ٤٨٩-٤٩٢هـ، ويعرف أيضًا باسم بطرس أوف أمينز نسبة إلى المدينة التي ولد بها والتي تقع جنوبي فرنسا، وقد كان أحد الدعاة للقيام بالحملات الصليبية إلى بلاد الشام من أجل إنقاذه من سيطرة المسلمين، ولم تذكر لنا الحوليات الصليبية أي شيء عن نشاط بطرس حتى وصوله إلى مدينة القسطنطينية، حيث قامت الفرق العسكرية التابعة له بعمليات سلب ونهب واسعة داخل العاصمة البيزنطية، حتى سارع الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين بنقل تلك الفرق إلى أسيا الصغرى عن طريق البسفور، حتى لاقت الهزيمة الساحقة على يد الجيوش السلجوقية في ٢٢ أكتوبر ١٠٩٦م/ ٢ ذو القعدة ٤٨٩هـ، ثم ظهر بطرس بعد ذلك كمبعوث للجيوش الصليبية لكربوغا أثناء حصاره لمدينة أنطاكية في مايو ١٠٩٨م/ جمادى الآخرة٤٩١هـ حيث كانت الجيوش الصليبية تعاني من المجاعة، وتوقف مصير تلك الجيوش على مهمة بطرس لكربوغا، وقد تولى بطرس الناسك عملية تسليم وتوزيع العشور على الجيوش الصليبية، وقد شارك في اختيار حاكم بيت المقدس من الصليبيين، وذلك في ١٥ يوليو ١٠٩٩م/ ٢٤ شعبان ٤٩٢هـ، وفي أغسطس ١٠٩٩م/ شوال ٤٩٢هـ، تولى بطرس عملية التنسيق بين البطاركة الصليبيين واليونانيين في بيت المقدس، وتوفي حوالي عام ١١١٣م/ ٥٠٧هـ، للمزيد من التفاصيل عنه، انظر:-

Alan, Encyclopedia, p.p 946-948.

إيطاليا، وقدم لهم الإمبراطور ألكسيوس كومنين المؤن بقدر ما تسمح به طاقة المدينة، ونصح قادة الجيوش بعدم عبور مضيق البسفور حتى تكتمل جموعهم، غير أنهم لم يستمعوا لنصائح الإمبراطور، وقاموا بأعمال النهب والحرق والسرقة[1]، ويتضح من ذلك أن الإمبراطور البيزنطي أراد التخلص من تلك الجموع الهمجية التي كادت تدمر عاصمته، وحتى يحفظ الأمن لممتلكاته.

وكانت أعداد الحملة الصليبية الشعبية كبيرة جدًا، حتى تم تقديرها بحوالى بمائتى ألف من المشاة، بينهم ثلاثة ألاف من الفرسان، واحتوت تلك الأعداد على العديد من الجنسيات الأوربية المختلفة واللغات المتعددة، منهم الفرنسيون والفلمنكيون والإنجليز وغيرهم كثيرون[2].

وكانت حماسة الناس التي انطلقوا مع بطرس الناسك ليس لها حد، فقد كانوا عديمي الخبرة بفنون القتال، وتصوروا أنهم سوف يقهرون أعداء المسيح كما صور لهم دعاة الحملة، غير أنهم بمجرد عبورهم لمضيق البسفور تلقفتهم سيوف السلاجقة، لتقضي على تلك الحملة غير المنظمة، ويرجح أيضًا أن الإمبراطور ألكسيوس كان يعرف ما سوف تواجهه تلك الحملة من هزيمة على أيدي السلاجقة، وعلى الرغم من ذلك سهل لهم عملية العبور حتى يتخلص من جرائمهم التي مارسوها ضد سكان القسطنطينية.

وفي تلك الأثناء كانت حملة الأمراء تنظم في أوربا، والتي تحركت وتقابلت مع فلول جيوش بطرس الناسك، وواصلوا طريقهم إلى بلاد الشام حيث استولوا على مدينة أنطاكية في شمال الساحل الشامي، ثم واصلوا طريقهم إلى جنوب الساحل، حتى حاصروا مدينة بيت المقدس، واستولوا عليها في ١٥ مايو ١٠٩٩م/ ٢٢ جمادى الآخرة ٤٩٢هـ، وبعد أن هزمت الجيوش الصليبية الجيش المصري في ١٢ أغسطس ١٠٩٩م / ٢٣ رمضان ٤٩٢هـ، قرر معظم الصليبيين العودة إلى بلادهم، بعد أن أتموا رحلة الحج، وقدر عدد العائدين

---

(١) بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ت. حسين عطية، الإسكندرية، ١٩٩٨م، ص ٦٢.

(2)Frederic Duncalf, The Peasants Crusade, A. H. R., Vol. 26, No.3, Apr.1921, P449.

بحـوالي عـشرين ألفًـا. وبحلـول عـام ١١٠٠م/٤٩٣هـ، لم يكـن في مملكـة بيـت المقـدس سـوى ثلاثمائـة فـارس، ونفـس العـدد مـن المشـاة الـذين تركـوا لحراسـة مملكـة بيـت المقـدس ويافـا والرملـة وحيفـا[١]، وقـد تصـورت العنـاصر التـي كونـت الحملـة الصـليبية المنظمـة، أنهـم بمجـرد الاسـتيلاء عـلى مدينـة بيـت المقـدس مـن أيـدي المسـلمين، أن مهمـتهم ورحلـة حجهـم قـد انتهيـا وعلـيهم الرجـوع مـرة أخرى إلى ديارهم من أجل أولادهم وممتلكاتهم.

وقـد نتجـت عـن قلـة أعـداد الصـليبيين في مدينـة بيـت المقـدس في بـادئ الأمـر، مـن جـراء السياسـة الأولى التـي اتبعهـا جـودفري البولـوني[٢] Godfrey of Boyillon (١٠٦٠/١١٠٠م/٤٥٢-٤٩٣هـ)، مـن تفريـغ المدينـة مـن أهـم عنـاصر سـكانها وهـم المسـلمون واليهـود، دون المسـيحيين المحليـين الـذين كـانوا موضـع شـك مـن حكامهـا المسـلمين نظـرًا لأن كثـيرًا مـن المسـيحيين سـاعدوا

(1) Jonathan Riely Smith, The Motives of the Earliest Crusaders, p 723, 724.

(٢) جودفري البولوني:- وهو جودفري الرابع البولوني، فقد انتمى إلى سلسلة نسب مشهورة في الغرب الأوربي، فهو ينحدر من جهة أبيه وأمه إلى شارلمانCharlemagne، غير أن موطن ولادته غير معروف على وجه الدقة، فيفترض أن يكون بولونيا Boulogen، وبعد وفاة جودفرى الأحدب Godfrey the Hunch Back ، الذي أوصى بأن يخلفه ابن أخته جودفري البولوني في حكم دوقيته من بعده، غير أن الإمبراطور هنري الرابع Henry IV ، قام بتقليد ابنه كونراد Conrad، حكم دوقية اللورين، الذي كان جودفري البولوني يترقب أن تكون من نصيبه، إلا أن ظنه خاب، ولعل الإمبراطور استند في قراره إلى أن جودفري لم يكن ابنا للدوق السابق، مما جعله في حل من وعد جودفري الأحدب، فما كان من جودفري البولوني إلا أن رضي بالأمر الواقع، وأصبح في خدمة الإمبراطور. وقد حكم جودفري دوقيـة اللـورين نتيجـة مشـاركته في حملـة الإمبراطـور هنـري في حملتـه عـلى إيطاليـا، وتـولى الحكـم حـوالي عـام ١٠٨٢م/٤٧٥هـ، غير أن ذلك الوضع لم يكن ليلبي طموحات جودفري، لضيق مساحة دوقيته، فسارع بالانضمام إلى دعـوة البابـا أوربـان الثـاني لتوجيـه الجيـوش الصـليبية إلى بـلاد الشـام، حتـى تـولى حكـم مدينـة بيـت المقـدس عـام ١٠٩٩م/٤٩٢هـ إلى أن توفي عام ١١٠٠م/٤٩٣هـ انظر:-

وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص ١٥٧، عبد القادر أحمد يوسف، علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر، ط. بيروت، ط. ١٩٦٩م، ص٥٨، رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص٢١١، صبري ناصر حمد مكين، جودفري البولوني ودوره في العدوان الصليبي على بلاد المسلمين (أسيا الصغرى وبلاد الشام) (٤٨٨-٤٩٣هـ/١٠٩٥-١١٠٠م)، جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٩هـ ص.ص ١٥-١٧.

الغـزاة. ممـا دفـع الكثـير مـن المسـلمين واليهـود إلى هجـرة المدينـة قبـل الغـزو الصـليبي لهـا، ومهـما قيـل عـن عـدد الصـليبيين الـذين سـكنوا المدينـة عقـب الغـزو، فـإن أعـدادهم كانـت قليلـة بسـبب سـكنى معظـم الصـليبيين المنـاطق التـي فتحوهـا في بـلاد الشـام، وعـودة الكثـير مـنهم إلى الغـرب الأوربي، ولهـذا افتقـدت المـدن الصـليبية إلى الأمـن وإلى مـن يحرسـها في العقـد الثـاني مـن القـرن الثـاني عشر الميلادي/ السادس الهجري[1].

وبالنسبة للعنـاصر الصـليبية التـي تكونـت منهـا طبقـة النـبلاء والفرسـان، فقـد كـان أغلبهـا مـن الـعنصر الـفرنسي الـذي كـان الـعنصر الغالـب عـلى عنـاصر الحملـة الصـليبية الأولى، نظـرًا لانطـلاق الـدعوة مـن جنـوب فرنسـا، ومشـاركة الكثـير مـن العنـاصر السـكانية الفرنسـية في تلـك الحملـة، ولـذلك فـإن الوحـدات السياسـية الصـليبية التـي تمخضـت عـن الحملـة الأولى، سـادتها الـنظم الإقطاعيـة المعمـول بهـا في فرنسـا، وبسـبب تغلـب الـعنصر الـفرنسي أضـحت لغـة التخاطـب في مملكـة بيت المقدس وإمارة أنطاكية وطرابلس لغة شمال فرنسا[2].

ويلاحـظ أن الفرنسـيين كـانوا الأكثـر اسـتجابة لـدعوة البابويـة للحـروب الصـليبية، وقـد دفعـتهم الرغبـة في الـذهاب إلى الأراضي المقدسـة إلى تـرك مـا لـديهم تحـت حمايـة البابويـة حتـى يتمكنـوا مـن تأديـة فريضـة الحـج مـن أجـل تطهـير أنفسـهم مـن الـذنوب والآثـام التـي ارتكبوهـا في أوطـانهم، غـير أن تلـك الفريضـة التـي قـاموا بتأديتهـا هـي أشـد أنـواع الخطايـا التـي قـاموا بارتكابهـا، فلـم يراعـوا حرمـة الأمـاكن المقدسـة التـي كـانوا يزورنهـا، فقـاموا بارتكـاب المعـاصي جهـارًا، ولم يكن هناك رادع لهم.

وقـد قـام المجتمـع الصـليبي عـلى أسـاس طبقـي واضـح، وكانـت أهـم عنـاصر

---

(1) علي السيد علي، القدس في العصر المملوكي، دار الفكر للدارسات والنشر والتوزيع، ط. القاهرة، ١٩٨٦م، ص٦٧.

(2) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، ط. القاهرة، ٢٠٠٩، ج١، ص ١٢٠، محمود الحويري، الأوضاع الحضارية، ص .ص ٤٩،٥٠.

ذلك المجتمع، هى طبقة الفرسان، فقد كان من نتائج النظام الإقطاعي في أوربا، أن تكونت قوة حربية منهم، وحرص السادة على ازدياد مواردهم، بما أبدوه من اهتمام من إصلاح الأراضي وإنشاء المدن، ووجدوا في اشتراكهم في الحرب ضد الشرق الإسلامي فرصة لإضافة أملاك جديدة إلى إقطاعاتهم أو تملك من تعوزهم الإقطاعات أراضي، يتخذون منها إقطاعات تكفل لهم المعيشة[1].

وقد مثلت الطبقة الأرستقراطية الطبقة الحاكمة على الرغم من قلة عددها، إذ لم يزد عددهم في مملكة بيت المقدس على ألف فارس من الرجال ومثلهم من النساء والأطفال، ومثل ذلك العدد كان موزعاً على إمارات الرها وأنطاكية وطرابلس، وذلك في السنوات الأولى من احتلال تلك المدن من قبل الصليبيين، وقد ظلت تلك الطبقة التي مثلت العمود الفقري للمجتمع الصليبي، تعاني نقصًا كبيرًا في العدد بسبب كثرة القتلى في الحروب[2].

وقد تشكلت طبقة عامة المحاربين الصليبيين من العناصر الصليبية الأدنى من الفرسان و النبلاء، فقد كانوا من العامة، الذين شاركوا في الزحف مع الجيوش الصليبية، وهم الذين ألفوا فرق المشاة، فقد كانوا نواة للمستوطنات الصليبية، وبعد استقرارهم ببلاد الشام تزاوجوا من المسيحيين الشرقيين المحليين، وبخاصة عنصر الأرمن، مما أدى إلى إفراغ طبقة جديدة وهى:

الفئة الأولى: التي تسميها المصادر العربية والأوربية بالإفرنج البلديين (البولان) وهم الأبناء الذين انحدروا من الزيجات المختلفة التي تمت بين الصليبيين والمسيحيين الوطنيين من أرمن ويعاقبة وسريان وغيرهم، وقد كثرت تلك الزيجات فيما بينهم وخاصة في المدن، واستقروا مع المسلمين وتعايشوا معهم جنبًا إلى جنب، وقد حلت تلك الطبقة محل طبقة العامة من

---

(١) علية عبد السميع الجنزوري، الحروب الصليبية، ص ٢٤٨.

(٢) محمود الحويري، الأوضاع الحضارية، ص ٧٥.

الحملة الصليبية الأولى.

أما الفئة الثانية:- فهم الوافدون الجدد من الصليبيين الذين جاءوا في فترات لاحقة، مع الجيوش المكونة للحملات الصليبية المختلفة مع بداية القرن الثالث عشر الميلادي، السابع الهجري، ويبدوا أن المسلمين حدث بينهم وبين العناصر الصليبية الأولى نوع من الانسجام حيث كانت في نظرهم أفضل من الفئة الثانية لتعصبها وجفاء أخلاقها[١].

ومع تلك الصفات التي وردت عن الصليبيين البلديين والوافدين الجدد، فقد كانت العلاقات بين الجانبين يسودها الحذر وعدم الثقة المتبادلة بين الطرفين، فقد حاول الصليبيون البلديون التقرب من العناصر الصليبية الوافدة أحياناً، غير أنهم وجدوهم جفاة الأخلاق متغطرسين، لذلك لم تبد تلك العناصر الوافدة في عيون الصليبيين البلديين إلا عناصر بربرية همجية[٢]، حتى أطلق عليهم أحد الباحثين لقب الصقور وخص بذلك العناصر الصليبية الوافدة، والحمام وخص به العناصر الصليبية البلدية[٣]، وهذا ما يحدث الآن داخل المجتمع الإسرائيلي، من حيث انقسام النخبة السياسية بنفس ذلك التقسيم.

وظهر هذا التناقض جلياً في القرن الثالث عشر الميلادي، السابع الهجري، من خلال وصف جاك دي فيتري للمجتمع الصليبي بمدينة عكا، فقد واصف العناصر البولانية بأنهم محبون للتراخي والكسل والخمول، وليس لهم

---

(١) جاك دي فيتري، تاريخ مملكة بيت المقدس، ص٢٢٠، إبراهيم القادري بوتشيش، " مجتمع الصليبيين في بلاد الشام من خلال الإسطوغرافيا الإسلامية المعاصرة للحروب الصليبية "، رؤية الآخر، التعارف والتعايش، مجلة التاريخ العربي، العدد: ١٧، ط. القاهرة، ٢٠٠١م، ص٢٩٥.

(٢) جاك دي فيتري، المصدر السابق، ص١٠٦، أسامة بن منقذ، الاعتبار، ص١٦٥، ميخائيل زابوروف، الصليبيون في الشرق، ت. إلياس شاهين، ط. موسكو، ١٩٨٦م، ص١٥٥، السيد الباز العريني، الشرق الأدنى، ص١٧.

(3) Peter W. Edbury, Propaganda and Faction in the Kingdom of Jerusalem, " The Background to Hattin", , in: crusaders and Muslims in Twelfth century Syria, Edited by: Maya Shatzmiller, New York, 1993.p.p 174,175.

هـم سـوى إشـباع رغبـاتهم وأهـوائهم، التـي تغلبـت عـلى الرغبـة في قتـال المسـلمين. ولاحـظ ذلـك عنـد انتهـاء الهدنـة بـين الصـليبيين والمسـلمين، ووجـه إلـيهم تهمـة الخيانـة بسـبب مـيلهم إلى التراخـي والاهـتمام بالتجـارة وأعـمال الغـش والاحتيـال ونهـب الحجـاج، الأمـر الـذي جعلهـم يثـرون ثـراء فاحشـاً، هـذا في الوقـت الـذي كانوا فيه ينقمون على المحاربين من بني جنسهم[1].

وقـد واجـه الصـليبيون مشـكلة كـبرى تمثلـت في العنـاصر التـي ولـدت عـلى الأراضي المقدسـة وبجميـع الإمـارات الصـليبية، وهـو أن تلـك العنـاصر اعتـبرت أن الأراضي المقدسـة هـي وطـنهم الأصـلي، وتناسـوا أصـولهم الأوربيـة التـي انحـدروا منهـا، وأدى ذلـك إلى بـروز مشـكلة كـبرى وهـي التنـافس والتشـاحن الـذي ظهـر بـين تلـك الطبقـة وبـين العنـاصر الصـليبية الجديـدة التي كانـت تفـد إلى الأراضي المقدسـة باسـتمرار، وكـان ذلـك مـن أهـم الأسـباب التـي سـاعدت عـلى انتشار الجريمة داخل المجتمع الصليبي[2].

فمـع نمـو الجيـل الثـاني مـن أبنـاء الصـليبيين في بـلاد الشـام، وإحلالـه تـدريجيًا محـل الجيـل الأول، وبالإضـافة إلى ذلـك تـأثرهم بـالكثير مـن الأفكـار الـشرقية، أدى ذلـك إلى اخـتلاف طبـائع أولئـك الصـليبيين المقيمـين بـبلاد الشـام، عـن الصـليبيين الـذين كـانوا يفـدون باسـتمرار في شـكل حجـاج، واسـتقروا في بـلاد الشـام، فـأدى ذلـك التغـير الثقـافي إلى حـدوث الخـلاف والنفـور وانعـدام الثقـة بـين الطـرفين، وغلبـت الكراهيـة المتبادلـة عـلى روح العلاقـة بيـنهم، فأصـيب ذلـك المجتمع الصليبي بالخلل الداخلي، الذي أدى إلى انهياره[3].

وبالمقارنـة بـين طبقـة الفرسـان وطبقـة العامـة، نجـد أن طبقـة الفرسـان كانـت

---

(١) جاك دي فيتري، تاريخ مملكة بيت المقدس، ت. عبد اللطيف عبد الهادي السيد، ط. ليبيا، ٢٠٠٥م، ص٢٢٠.
Thomas C. Van Cleve, The fifth crusade, in setton: The Later Crusades, 1189-1311,Vol.II, London, 1969, p 382.

(٢) فوشيه الشارتري، الاستيطان الصليبي، ص٢١٨.

(٣) حسـن أحمـد البطـاوي، " العلاقـة بـين الصـليبيين في الشرق والوافـدين الجـدد مـن الغـرب الأوربي(٤٩٢-٥٨٢هـ/١٠٩٩-١١٨٧م)، حوليات كلية آداب عين شمس، المجلد ٣٣، أكتوبر-ديسمبر، ٢٠٠٥م، ص١٩٧.

أسعد حظاً من طبقة العامة في الاستحواذ على الإقطاعات والنفوذ والسلطة، في حين أن طبقة عامة المحاربين وقع عليها عبء المهام الثقيلة في خدمة المجتمع الصليبي مقابل مهام أقل من طبقة الفرسان، ومن ناحية أخرى كانت طبقة الفرسان أكثر ثراء من طبقة العامة، والذي أساء موقف العامة هو الصراع الذي نشب بين المحليين والوافدين الجدد من الغرب الأوربي.

وواجه ملوك مملكة بيت المقدس الصليبية مشكلة معقدة منذ بداية احتلالهم لمدينة بيت المقدس الإسلامية، وكذلك بقية الإمارات الصليبية الأخرى، ألا وهى نقص العنصر البشرى فى المملكة، وقد حاول الملك الصليبي بلدوين الأول (١١٠٠-١١١٨م/٤٩٣-٥١٢هـ) معالجة تلك المشكلة، فقد إتبع سياسة هدفت إلى جذب العناصر السكانية من أجل تعمير بيت المقدس، فقام بالاتصال بالعناصر المسيحية المحلية والتي كانت تتمثل في اليونانيين الأرثوذكس والموارنة والنصاترة واليعاقبة، و الأرمن، فقد كانت تلك العناصر تشكل عشائر كبيرة العدد بالمقارنة بالعناصر الصليبية التي كونت الجيوش الصليبية. وقد تركزت تلك العناصر في المدن الشمالية لبلاد الشام، لذلك قام بلدوين الأول في عام ١١١٥م/ ٥٠٨هـ بجذب العناصر السريانية والمسيحيين العرب لكي يستوطنوا مملكة بيت المقدس، فأغراهم بحرية ممارسة الأنشطة التجارية من أجل أن يحمسهم لذلك[١].

و لقد قام الملك بلدوين الأول من أجل تدعيم المملكة الصليبية الناشئة بعمل ترتيبات للزواج السياسي بين القادة الصليبيين وبين المواطنين الأرمن، وكان أبرز مثال على ذلك زواج بلدوين الأول نفسه من أميرة أرمينية تدعى أردا تدعيما لمصلحة الصليبيين[٢]، وقد ضمن بلدوين الأول لتلك العشائر حرية ممارسة عقيدتهم، وسمح لليعاقبة باستخدام اللغة السريانية في القداس، وكذلك الطوائف الأخرى[٣].

---

(1) Aharon Ben Ami, Institutional Lag and Neofunctions:(The Case of The Latin Kingdom of Jerusalem), in: Comparative Studies in society and history, Vol.7, No.4, Jul, 1965, p416.

(2) Adrian Boas, Jerusalem in The Time of The Crusades, London, 2001, p.p38,39.

(3) Benvenisti (Meron), The Crusaders in The Holy Land, Jerusalem, 1976, p 17.

وكان نقص العنصر البشري من أهم أسباب ضعف الكيان الصليبي في بلاد الشام، حيث عاش الصليبيون في رعب دائم بسبب قلة عددهم بالمقارنة بأعدائهم المسلمين، فقد كانت إماراتهم محاطة بكيان إسلامي مترامي الأطراف من الشرق والشمال والجنوب، لذلك كانت تراودهم المخاوف دائماً من إطباق المسلمين عليهم ومحاصرتهم من جميع الجوانب، مستغلين في ذلك قلة عددهم(١).

وبمقارنة وضع طبقة المسيحيين الشرقيين وطبقة الصليبيين، نجد أن المسيحيين الشرقيين في وضع طبقي أقل من الصليبيين، حيث كان الصليبيون هم الطبقة المسيطرة على الأوضاع بالمدن المحتلة.

وكان للعنصر الإيطالي دوره في تكوين المجتمع الصليبي، وأول جالية إيطالية كانت موجودة هي الأمالفيون، فعلى الرغم من أنه ليس لدينا ما يثبت اشتراك الأمالفيين في الحملات الصليبية، إلا أنهم أشتركوا في التجارة المنحدرة منها، وربما كانت مشاركتهم ضئيلة بسبب تبعيتها للنورمانديين المشتركين في هذه الحروب، غير أن السبب الأهم والأساسي لعدم مشاركتهم في الحروب الصليبية بشكل فعال، هو العلاقة التجارية المتميزة مع مصر والتي جعلتهم لا يقدمون على هذه المغامرة غير المأمونة العواقب، فلقد تمكنوا من المحافظة على ممتلكاتهم القديمة في أنطاكية وبيت المقدس بعد الحملة الصليبية الأولى(٢).

ويلاحظ أنه على الرغم من سبق مدينة أمالفي Amalfi(٣) في ممارسة التجارة مع

---

(١) يوشع براور، الاستيطان الصليبي، ص٣٠.

(٢) سهير محمد إبراهيم نعينع، «علاقات مصر التجارية بمدينة أمالفي في العصور الوسطى»، ندوة: طرق التجارة العالمية عبر العالم العربي على مر عصور التاريخ، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، العدد (٨)، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٣٠٨.

(٣) أمالفي:- تقع المدينة في كامبانيا Campania، بإيطاليا في مقاطعة سالرينو Salerno، على بعد سبعة عشر ميلاً إلى الجنوب الغربي من مدينة سالرينو على الساحل الشمالي من الخليج الذي يحمل اسم المدينة Gulf of Salerno، وكانت أمالفي مستعمرة بيزنطية، وقد كانت موجودة في القرن الرابع الميلادي، إلا أنها لم تكن لها أهمية تجارية كبيرة حتى أواسط القرن السادس الميلادي، وقد شاركت مع المدن التجارية الإيطالية الأخرى مثل البندقية وجنوا في التجارة مع الشرق، وازدادت أهميتها في القرن التاسع الميلادي، وذلك بعد انتهاء ارتباطها بمدينة نابولي، وقد رجح بعض الباحثين أن تزايد نفوذ تلك المدينة إلى تلك الإعفاءات التي حصلت عليها من جانب الإمبراطورية البيزنطية، وقد حافظت أمالفي على تجارة مزدهرة مع كل من مصر والشام وصقلية، وانتشرت عملتها في التعامل التجاري في=

مدن الساحل الشامي، قبل المدن الإيطالية الأخرى، غير أن الحروب الداخلية في إيطاليا أنهكتها، وأضاعت جهودها التجارية النشطة، لذلك جاءت مشاركتها ضيئلة مقارنة بالمدن الإيطالية الأخرى.

وكان من أبرز المدن الإيطالية التي شاركت في تكوين المجتمع الصليبي مدينة البندقية، فقد كان وصول أول أسطول بندقي إلى مدن الساحل الشامي بمثابة حدث كبير، فقد شارك هذا الأسطول في فتح مدينة حيفا عام ١١٠٠م/ ٤٩٣هـ، حيث كان ميناءً ثانيًا بعد ميناء يافا لمملكة بيت المقدس الصليبية[١]، وقد فرح جودفري بوصول البنادقة كثيرًا، حيث أسرع لمقابلتهم نظراً لحاجته لدعم بحري، وقد وافقوا على مساعدته لمدة شهرين حتى ١٥ أغسطس من العام نفسه، وفي مقابل ذلك طلب البنادقة أن يكون لهم حق في حرية التجارة وممارستها في جميع الأراضي التي تخضع لسيادة جودفري، بالإضافة إلى أن يخصص لهم سوقًا وكنيسة في كل مدينة يخضعها الحاكم الصليبي، ويكون لهم الثلث من كل مدينة يقومون بمساعدته في الاستيلاء عليها[٢]، ويرجح أن مدينة البندقية أرادت أن تسبق غيرها من المدن التجارية الأخرى من أجل الحصول على امتيازات تجارية بمدن الساحل الشامي.

وكانت كل جمهورية من الجمهوريات الإيطالية بمجرد منحها حياً في إحدى المدن الساحلية الشامية، تبادر بتعيين مدير يشرف عليه، ولكن سرعان ما ازدادت اختصاصات هذا الموظف وأصبح ممثلاً لحكومة بلاده لدى السلطات الصليبية، وكانت سلطة هذا الموظف مطلقة على سكان المستعمرة

=مدن البحر المتوسط، وقد ساعدت أساطيلها البابا ليو الرابع LeoIV ضد هجمات المسلمين عام ٨١٨م، وقد حصلت على استقلالها منذ وقت مبكر من القرن الحادي عشر، وفي حوالي عام ١٠٧٣م، أرغمت على الاعتراف بالتبعية لروبرت جيسكارد Robert Guischard ، زعيم النورمان الذي هاجمها على رأس جيشه، وقد اعتبر البعض هذا التاريخ بداية حقيقية لتدهور مدينة أمالفي كقوة تجارية حيث صارت موضوعا للمنافسة من جانب جنوا وبيزا، للمزيد من التفاصيل انظر:- محمد مؤنس، الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩ - ١١٨٧م)، ط. القاهرة ١٩٩٢م، ص٦٦، حاشية رقم(٥٥).

(1) Joshua Prawer, " The Venetians in Crusader Acre (Reconsideration)", In:- Cross Cultural Convergences in The Crusader period, New York, 1995, P216.

(2) Reinhold Rohricht, Regesta Regni Hirosolymitani, Innsbruch, 1893, P4.

التي يشرف عليها، وكان يستمد هذه السلطة من حكومة بلاده رأسًا[1]، مما جعل سكان الحي يشعرون بأنهم يعيشون في وطنهم الأم.

كما كان هناك دور للقبارصة الذين استقروا في مدينة بيروت Baruth[2] الساحلية، في تكوين المجتمع الصليبي، حيث قاموا بتأسيس كنيسة لهم فيها، بالإضافة إلى الخانات والحمامات[3]، كما كان لتجار مارسيليا دور في تكوين المجتمع الصليبي بمدن الساحل الشامي، حيث قاموا بتأسيس كومون تابع لهم في مدينة *عكا Acre [4].

---

(١) أسامة سيد علي أحمد، الساحل الشامي في القرن الثاني عشر الميلادي/ السادس الهجري، رسالة ماجستير، كلية الأداب، جامعة عين شمس، ط. القاهرة ١٩٩٢م، ص.ص ١٠٥،١٠٤.

(٢) بيروت:- تعد مدينة بيروت من أعمال دمشق، وبينها وبين مدينة صيدا ثلاثة فراسخ، والمدينة عبارة عن رأس يدخل في البحر نحو ٩كم، وتقرب من نهر يسمى ماغوراس Magoras، الذي ساعد كثيراً على تخصيب تربتها، وقد امتازت بيروت بوجود ثغر جيد نشط، وهي تعد من أكثر الثغور نشاطًا على طول الساحل الشامي، الأمر الذي ساعد على وجود خليج طبيعي محمي من الرياح الغربية، وقد تكون هذا الخليج نتيجة وجود نتوء بري نحو البحر، للمزيد من التفاصيل عن بيروت انظر:-

ياقوت الحموي، ، معجم البلدان ، ط. بيروت ١٩٧٩م، ج١، ص ٥٢٥، لويس شيخو ، بيروت تاريخها وآثارها ، ط. بيروت ١٩٢٥م، ص٦، محمود جلال الدين الجمل ، الجبهة العربية في المشرق ، ط. القاهرة، ١٩٦٣م، ص ٢٢١.

(٣) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ط. بيروت، ١٩٩٠م، ص٢٤.

* عكا:- من مدن الساحل الفلسطيني، وتبعد عن قيسارية مسافة ستة وثلاثين ميلا، وقد تميزت تلك المدينة بكبر المساحة، بالإضافة إلى وجود غابة من أشجار الزيتون بها، وقد كانت المدينة شديدة التحصين، حتى لقد شبهت في قوة تحصينها وقوتها بمدينة القسطنطينية التي تقع في أسيا الصغرى، غير أنه وجد بها عيب خطير في مينائها، ألا وهو وجود صخور تمتد بطول الساحل، مما أدى إلى تحطم السفن عندها، فمثلت بذلك عيباً شديداً لهذا الميناء، للمزيد من التفاصيل انظر:- المقدسي المعروف بالبشاري ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، تحقيق دي جويه ، ط. ليدن ١٩٠٤م، ص ١٩٢، الحميري (محمد بن عبد المنعم) ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، ط. بيروت ١٩٨٠م، ص ٤١٠.

Richard Of Holy Trinity , Itinerary Of Richard I and Others To The Holy Land , (Formerly Ascribed To Geoffrey De Vinsauf) Trans. by A Classical= Schola And A Gentheman Well – Read In Mediaeval History , Cambridge 2001, p49.

(٤) هنري برين، تاريخ أوربا في العصور الوسطى(الحياة الاقتصادية والاجتماعية)، ت. عطية القوصي، ط. القاهرة، ١٩٩٦م، ص٣٤.

وبمقارنة أوضاع التجار الإيطاليين بالقبارصة، نجد أن الإيطاليين كانوا أسعد حظاً من ذويهم القبارصة، وذلك نظراً لقوة التجار الإيطاليين من الناحية الاقتصادية، بالإضافة إلى قوة أساطيلهم البحرية التي جابت أرجاء العالم القديم، بالمقارنة بصغر حجم التجارة القبرصية.

ومع مرور الزمن واستمرار تدفق الحجاج إلى بيت المقدس، برزت جنسيات متباينة ومتعددة، فمنها الفلمنكيون والبروفانسيون، وانضم إليهم الألمان والإنجليز والمجريون وسكان السويد والنرويج والدانمارك، كل تلك العناصر امتزجت بالمسيحيين الشرقيين، وبعد جيل واحد من استقرارهم بالإمارات الصليبية بطول الساحل الشامي، اعتبر هؤلاء أنفسهم شرقيين وتسموا بالبولان، ناسين في ذلك أصولهم الأوربية التي قدموا منها، مكونين مجتمعًا استطانيًا ولد فيها وراء البحار[1].

ولقد شكلت الهيئات العسكرية الدينية فئات اجتماعية متميزة بين سكان المدن الصليبية، فقد كانت طائفتا الداوية[2]،

---

(١) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة: زياد العسيلي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٠م، ص٢١٨ ، يوشع براور، الاستيطان الصليبي، ص٩٢، ميشيل بالار، الحملات الصليبية والشرق اللاتيني من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر، ت. بشير السباعي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط. القاهرة، ٢٠٠٣م، ص١٥٥.

(٢) **هيئة الفرسان الداوية:-** وهي هيئة دينية حربية، تأسست في عام ١١١٨م/٥١١هـ على يد فارس يسمى هيو باينHugh de Pyns ، وأعترف بهم الملك بلدوين الثاني، في العام نفسه، ومنحهم جناحا من القصر الملكي بالقدس بالقرب من المسجد الأقصى ليكون مقراً لهم، وحصلوا على اعتراف من البابا هونوريوس الثاني عام ١١٢٨م/ ٥٢١هـ، ثم اعتراف آخر بهم كهيئة نظامية عام ١١٤٦م/ ٥٤٠هـ على يد البابا يوجين الثالث، وكان زيهم أردية بيضاء عليها صليب أحمر، ونتيجة لأهدافها المعلنة وهي حماية الحجاج والزود عن الصليبيين، تدفقت عليهم المنح والهبات حتى صارت هذه الهيئة من أكبر وأغنى الهيئات الدينية العسكرية، وشيئاً فشيئاً صارت مستقلة تماماً عن مملكة بيت المقدس، وامتلكوا العديد من القلاع في شتى أنحاء بلاد الشام، وفي ظل ضخامة الثروات التي جمعوها، شاركوا مشاركة كبيرة في العمليات المالية في المملكة، واشتهروا بالجشع والأنانية في ظل القروض ذوات الفوائد العالية التي كانوا يقرضونها لمن يطلبها، وكانوا أشد الصليبيين ضراوة في قتال المسلمين، ومن ثم كان موقعهم في تنظيم الجيش الصليبي دائماً في المقدمة،لمزيد من التفاصيل انظر:- =

والإسبتارية(1)، اللتان جعلتا من مدينة بيت المقدس مقراً رئيساً لهما، ولم يكونا يشكلان جزءًا عضوياً مكملاً لبقية الفئات التي ضمها المجتمع الطبقي الذي أقامه الصليبيون في مدن الساحل الشامي، ككبار النبلاء والفرسان ورجال الدين على الرغم من الدور العسكري الكبير الذي كان لهما في خلال القرنين الثاني والثالث عشر

=وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص.ص ٣٤٦،٣٤٥.

Addison, The Knights Templars, London, 1852, Read, The Templar, Marin (Sean), The Knights Templar, Wales,1988.

إبراهيم خميس، جماعة الفرسان الداوية، الإسكندرية، ٢٠٠٢م، صفاء عثمان، مملكة بيت المقدس في عهد الملك بلدوين الثاني في الفترة ٥١٢-٥٢٥هـ(١١١٨-١١٣١م)، رسالة ماجستير غير منشورة، ٢٠٠٥م، ص.ص ١٥١-١٥٣.

(١) **هيئة الفرسان الإسبتارية:-** وهي أقدم الهيئات الدينية العسكرية التي تأسست في الساحل الشامي إبان فترة الاحتلال الصليبي، ويرى وليم الصوري أن تاريخ هذه الهيئة يعود إلى فترة طويلة تسبق التواجد الصليبي في صورة مستشفى أسسها عدد من تجار أمالفي في القدس لعلاج الحجاج المسيحيين، ومع الاحتلال الصليبي للقدس تطورت تلك الهيئة بصورة تدريجية، بفضل الخدمات الصحية التي قدمها أعضاء الهيئة للمشاركين في الحملة الصليبية الأولى، ومن ثم حين عادوا إلى أوطانهم أغدقوا المنح والهبات على الهيئة التي صار لها العديد من الفروع في جميع البلدان الأوربية، غير أنها لم تظهر في صورة الهيئة العسكرية قبل عام ١١٢٦م/٥١٩هـ، وبحلول عام ١٢٤٨م/٦٤٥هـ صار الدور العسكري للجماعة ملحوظا للجميع ومن ثم تدخل البابا ألكسندر الرابع Alexander IV وحدد لهم زيًا خاصاً بهم لا يرتديه غيرهم وهو عباءة سوداء ومعطف عليه صليب مثمن الأطراف، وقد توالت الهبات على هذه الهيئة حتى صارت تتحكم في عدة قلاع وتحوز عدة إقطاعات في شتى أنحاء المستعمرات الصليبية، وفي ظل تراكم الثروات تغلب الدافع الاقتصادي على الدافع الديني لدى فرسان الهيئة، وفي القرن الثالث عشر- في ظل ضعف المملكة الصليبية، استطاع الإسبتارية الاستيلاء على مزيد من الإقطاعات، بل والمدن الكاملة التي تنازل عنها أصحابها في ظل عجزهم عن الدفاع عنها أمام قوة المسلمين المتنامية خاصة بعد قيام دولة المماليك، لمزيد من التفاصيل انظر:-

Cartulaire Genera de l'Ordre des Hospitaliers de St. Jean de Jerusalem, 4 tomes, Paris, 1894-1906, Xorduim Hospitalairiroum, in R.H.C.O.cc., vol.V, pp401-435: Cf. also, King, The Knights Hospitallers, David Nicolle, Knight Hospitallerrs, Uxbridge, 2001.

راجع أيضًا:- محمود الحويري، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام، ص.ص ٥٦-٦٥، رايلي سميث، الإسبتارية فرسان القديس يوحنا، ترجمة: صبحي الجابي، ط. دمشق، ١٩٨٤م، مصطفى الحناوي، الفرسان الإسبتارية ودورهم في الصراع الصليبي الإسلامي، ط. الرياض، ٢٠٠٥م.

الميلاديين/ السادس والسابع الهجريين، وكان أبرز ما يميز هاتين الطائفتين وضعهما القانوني في المدن الصليبية أنهما لم تخضعهما لسلطة الملك المباشرة أو المؤسسات المختلفة التي أقيمت لتنظيم حياة المجتمع، وإنما خضعتا لمجموعة الأنظمة والقواعد التي وضعت لهما، من قبل الكنيسة الكاثوليكية أو حظيت بمصادقة البابوات، وحتى بطريرك كنيسة القيامة الذي كان بدوره تابعًا للبابا، لم يكن له نفوذ فعلي عليهما، وبذلك فقد شكلتا مجتمعين صغيرين داخل المجتمع الصليبي بمدن الساحل الشامي، وكان يمكنهما على هذا الأساس التعامل مع العالم الخارجي، مثل إقامة العلاقات مع الإمارات الإسلامية، بصورة مستقلة تماماً عن ملك بيت المقدس أو الإمارات الصليبية الأخرى[1].

وقد حدث هذا الاختلاف والتباين داخل المجتمع الصليبي، نتيجة تبادل الصليبيين للحديث مع رجال من ذوي العلم من المسلمين، لهذا كان من بين الأمراء والنبلاء الصليبيين كثير من المثقفين، لاسيما في بلاط بيت المقدس، وكان من أشهر هؤلاء النبلاء حنا دى ابلين Jean d' Iblen وكان نموذجًا للبارونات المتحضرين من الجيل الثاني، راعيًا للفنون مهتمًا بالأدب دارساً للقانون[2].

ومن زاوية أخرى يمكن تصور العناصر المكونة للجتمع الصليبي على أنها شملت كافة الأمم الأوربية ومثلت خليطًا عنصريًا مختلفًا وغير متجانس جمعته الرغبة في الحصول على الثروة والمغانم المتعددة، فإذا ما لاحظنا توافر عداءات متوارثة، فقد أدى إلى فقدان المجتمع الصليبي تماسكه البنائى الاجتماعي، وظل يعاني من عدم وجود التجانس على نحو عجل بانهياره في آخر المطاف[3].

---

(١) يوشع براور، الاستيطان الصليبي، ص.ص ٣٠٥-٣٣٨، مصطفى الحياري، مدينة القدس في عصر الفاطميين والفرنجة، ص.ص ٦٣،٦٤.

(٢) محمود الحويري، الأوضاع الحضارية ، ص ٢١٩.

(٣) محمد مؤنس عوض، الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩ - ١١٨٧م)، ط. القاهرة ١٩٩٢م، ص.ص ٢٣٧،٢٣٨.

وقد ظهر ذلك واضحًا خاصة بعد معركة حطين ١١٨٧م/ ٥٨٢هـ، فقد تجمعت العناصر الصليبية المتبقية بعد المعركة، واتخذت من عكا ومدن الساحل الشامى التابعة لها مستقراً ومقاماً، فقد تجمع بها الهيئات الدينية، والجاليات الإيطالية والإنجليزية والألمانية، ورؤساء الأسقفيات التي استولى عليها المسلمون، بالإضافة إلى ذلك الآلاف من عامة الصليبيين وسفهائهم[١].

وقد كان ذلك الاختلاف فى تكوين المجتمع الصليبي واضحًا للجغرافيين المسلمين وعلى رأسهم الشريف الأدريسي، الذي أدرك طبيعة البنية السكانية غير المتجانسة للمجتمع الصليبي. وظهر هذا الاختلاف أواخر القرن الثاني عشر الميلادي/السادس الهجري، حيث أدى ذلك الوضع إلى عدم تجانس المجتمع الصليبي، وتصارع عناصره على نحو ساعد على أن يسقط من الداخل، قبل أن يسقط من الخارج على أيدي القوى الإسلامية المجاهدة، وذلك فى أواخر القرن الثالث عشر الميلادي، السابع الهجري[٢].

ومع تنوع الأجناس والمذاهب الدينية التي شكلت المجتمع الصليبي في بيت المقدس والإمارات الصليبية الأخرى، إلا أنه كان يمكن التمييز بين الفئات المختلفة التى استوطنت المدن الصليبية بسهولة، وذلك عن طريق لباسها والأسلوب الذي كان يربون به لحاهم، فتقارير الحجاج التي وصفت السكان داخل المجتمع الصليبي، أعطت وصفاً دقيقاً لمعظم الجماعات الدينية التي كانت تقطن المدن الصليبية، بحيث أن أى متجول في شوارع المدن الصليبية كان يستطيع أن يميز بين مختلف الجنسيات والفئات الدينية التي كانت فيها، ويتضح لنا من تلك الأوصاف أن:-

اللاتين كانوا متمرسين في القتال، وكانت رؤوسهم عارية من أي لباس،

---

(١) محمد فوزي مصري رحيل، نهاية الصليبيين، (فتح عكا ٦٤٨-٦٩٠هـ/ ١٢٥٠-١٢٩١م)، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط. القاهرة، ٢٠٠٩م،ص. ص١٨٢-١٨٣. .

(٢) محمد مؤنس عوض، الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط. القاهرة،١٩٩٥م،ص ٢٤.

والوحيدين الذين يحلقون لحاهم، أما اليونانيون فأذكياء ويربون شعر لحاهم طويلاً وبأسلوب معين خاص بهم، غير أنهم لم يكونوا متمرسين في استعمال الأسلحة، ويختلف النصارى السوريون عن الجماعات الأخرى فهم عديمو الفائدة في الحرب من ناحية، ومن ناحية أخرى كانوا على الأغلب لا يتركون لحاهم تنمو طويلة كاليونانين، إنما يقصورنها بأسلوب معين، وكانوا تابعين في كل مكان للشعوب الأخرى وكانوا يتحدثون اللغة العربية، وكانوا مع ذلك يشبهون اليونانيين في جوانب أخرى من حياتهم، وأما الأرمن الذين كان عددهم كبيرًا في المدن الصليبية، فيختلفون في كثير من المجالات عن اللاتين وعن اليونانيين، فلهم لغتهم الخاصة بهم، كما كان لديهم بعض الخبرة في استعمال الأسلحة، وأما الكرج[1] فلهم أيضًا لغتهم الخاصة بهم وأسلوب خاص في تربية لحاهم وترتيبها، ويلبسون نوعًا خاصًا من القبعات، فقد كانوا يتركون شعورهم تطول كثيرًا ويلبسون قبعات مكعبة وطويلة، وجميع الكرج من رجال الدين ومن الرجال العاديين كانوا يلبسون التنسور Tonsure[2]، حيث كان مدورًا عند الفئة الأولى، ويكون مربعًا عند الفئة الثانية، وكانوا يقلدون اليونانيين في كل ما عدا ذلك[3].

والمسلمون وهم سكان البلاد الأصليون، التي قام الصليبيون باحتلالها، وعلى الرغم من أن بعض تلك المدن التي قام الصليبيون باحتلالها، قام أهلها

---

(١) الكرج:- هم الجورج مع إبدال الجيم بالكاف الفارسية، وهم يدعون أنهم أحفاد قارتلوس، وأن اسمهم الأصلي قارقول نسبة إلى قارتلوس رأس الأمة الكرجية التي كان مقرها مفرق نهري كر وآراغوي من ٢١٠ قزم، ومع أن الكرج عاشوا قديماً في أواسط القرن السابق للميلاد باسم قارقول، وكانوا قبائل متفرقة كل قبيلة تحت إمرة رئيس يعرف باسم (ماماسحليس)، إلا أنه لا يوجد في بطون التاريخ حوادث مهمة تثبت وجودهم قبل هذا العهد، لمزيد من التفاصيل انظر:- =عفاف سيد صبره، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، دار الكتاب الجامعي، ط. القاهرة، ١٩٨٥م، ص ٤٢٢، يوسف عزت، تاريخ القوقاز، ترجمة: عبد الحميد غالب، ط. القاهرة، ١٩٤٠م، ص٢٨.

(٢) التنسور:- يرجح أنه نوع من أنواع غطاء الرأس، تم إستخدامه فى منطقة بلاد الشام من قبل الكرج الذين إستقروا بتلك المنطقة.

(٣) مصطفى الحياري، مدينة القدس في عصر الفاطميين والفرنجة، ط. عمان، ١٩٩٤م، ص.ص ٥٦، ٥٧، ٥٨.

بمغادرتها عقب غزوها، إلا أنه من الثابت أن الكثير من المسلمين ظلوا تحت الحكم الصليبي، وقد انقسم المسلمون إلى سنة وشيعة، فدانت الأولى بالولاء للخليفة العباسي ببغداد، ودانت الثانية للخليفة الفاطمي بالقاهرة، وقد انقسمت طائفة الشيعة إلى العديد من الفرق والمذاهب المختلفة التي تصارعت مع بعضها البعض[١]. وقد كانت أغلبية المسلمين تشتغل بالزراعة وفلاحة الأرض، وبذلك ظلوا على أنشطتهم الأولى التي كانوا يمارسونها قبل الغزو الصليبي لبلاد الشام، فقد قام الصليبيون بتقسيم الأراضي التي كانت بحوزة المسلمين فيما بينهم، واستخدموا المسلمين في زراعتها[٢]، ويضاف إلى ذلك قبائل البدو الرحل الذين كانوا يتنقلون وراء قطعانهم، وينتهزون الفرص للانقضاض على قوافل الصليبيين وممتلكاتهم[٣].

أما فيما يتعلق بالعناصر اليهودية، فانه مع مرور الوقت، واستقرار الصليبيين في مدن الساحل الشامي، ومع تطور النشاط التجاري في القرن الثاني عشر الميلادي- السادس الهجري، بدأت تجمعات من اليهود في الظهور مرة أخرى في مدن الساحل الشامي، وذلك سعيًا وراء ممارسة النشاط التجاري، غير أنهم حرم عليهم دخول مدينة بيت المقدس، وذلك في الوقت الذي بدأت العلاقات بين اليهود والبابوية تعود إلى سابق عهدها[٤].

وكانت مدينة صور Tyre إحدى المدن التي كانت مركزاً لاستقرار اليهود ببلاد الشام[٥]، فعلى سبيل المثال، حيث وجد بها ما يقارب من أربع مائة يهودي، بعضهم

(١) يوشع براور، الاستيطان الصليبي، ص٦٨، ناجلا محمد عبد النبي، "المسلمون في مملكة بيت المقدس الصليبية"، مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة المنوفية، العدد: ٢١، ١٩٩٦م، ص.ص ٥٧-٥٨.

(٢) ناجلا محمد، "المسلمون في مملكة بيت المقدس الصليبية"، ص٥٨.

(٣) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٣٩٥.

(٤) ميشيل بالار، الحملات الصليبية، ص١٦٥.

(٥) صور Tyre:- تعد مدينة صور من أحصن المدن التي تقع على الشريط الساحلي لبلاد الشام، وقد جاءت في المركز الثاني من الناحية التجارية بعد مدينة عكا، فقد تميزت بخصوبة تربتها، وقيل إنها من أقدم مدن الساحل الشامي التي شيدت، كما تمتعت المدينة بميناء يشبه ميناء عكا، لأنه منقسم داخلياً إلى ميناءين داخلي وخارجي، فالداخلي=

اشتغل بالتجارة، وامتلك السفن التي قامت برحلات تجارية في موانيء البحر المتوسط المختلفة، والبعض الآخر اشتغل بصناعة الزجاج النفيس، والذي عرف بالزجاج الصوري، وقد نال شهرة كبيرة في مدن البحر المتوسط ذلك الوقت(١).

وإلى جانب مدينة صور، ظهرت تجمعات أخرى لليهود في مدينة جبيل(٢)، ومدينة طرابلس Tripoli (٣)، فقد اجتذبت هاتان المدينتان عددًا

=خصص للسفن المحلية التابعة للمدينة، والخارجي تم تخصيصه للسفن الخارجية، بالإضافة إلى مرسى جيد للسفن، ذى تحصين كبير محكم، ويوجد به قنطرة عليها سلسلة تمنع السفن من الدخول أو الخروج، من الميناء إلا عند رفعها، وقد عدت مدينة صور مخرجا لتجارة مدينة دمشق ومنتجاتها، بالإضافة لامتلاكها العديد من الثروات الطبيعية، للمزيد من التفاصيل انظر:-

Theoderichs , Description Of The Holy Places, Trans. by Aubrey Stewart, London 1896, p73, Joannes Phocas , The Pilgrimage Of Joannes Phocas In The Holy Land (in the year 1185 A..D) , Trans. by Aubrey Stewart , London 1896, p10,

مارينو سانوتو ، كتاب الأسرار للمؤمنين بالصليب في استرجاع الأراضي المقدسة و الحفاظ عليها ، مراجعة: بلليغرنيور ونكاليا و سمير الخادم ، ت. الأب سحيم رزق الله ، ط. بيروت ١٩٩١م، ص٢٤١، ابن حوقل (أبو القاسم بن حوقل النصيبي) ، صورة الأرض ، ط. القاهرة ب.ت ، ص ١٦٠، أبو الفداء، تقويم البلدان ، تحقيق رينود ، ماك كوكين ديسلان ، ط. باريس ١٨٤٠م، ص ٢٤٩، ابن جبير، الرحلة، ٢٤١.

Kamal (T) , The Saljuqs Of Syria During The Crusades 463-549/1070-1154A.D , Berlin 1997, p183,

أحمد عبدالله أحمد، التجارة في الساحل الشامي في القرنين١٢،١٣م/٦،٧هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس، القاهرة،٢٠٠٦م، ص.ص ٩٠-٩٣.

(١) بنيامين التطيلي، رحلة بنيامين التطيلي، ت. يحيى الخشاب، ط. بغداد، ١٩٤٩م، ص.ص ٩٢،٩١.

(٢) جبيل:- تقع مدينة جبيل على الساحل الشرقي لحوض البحر المتوسط، فيما بين طرابلس جنوباً وبيروت شمالاً، على بعد عشرين ميلاً من بيروت، وأحد عشر ميلا من البرتون، وعشرين ميلاً من طرابلس،وهذه المدينة تحتضن المرفأ الصغير التابع لها كلية، وهي ذاتها محاطة بسور خارجي صغير معزز بالأبراج، وتنتصب القلعة في الزاوية الجنوبية الشرقية للمدينة الصغيرة، وأحيط البرج المشيد من حجارة كبيرة متداخلة بجدار ساتر من جميع جوانبه، وقوي بأبراج صغيرة في= الزوايا، أما البوابة فمحمية ببرج خاص متميز في منتصف الواجهة الشمالية، وللمزيد من التفاصيل عن مدينة جبيل انظر:- سامية عامر، الصليبيون في فلسطين، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص.ص ٧-١٠، مولر فيز، القلاع أيام الحروب الصليبية، ت. محمد وليد الجلاد، مراجعة. سعيد طيان، ط. دمشق، ١٩٨٤م، ص٨٢.

(٣) طرابلس Tripolis:- وتقع تلك المدينة على شريط الساحل الشامي، وتألفت من تجمعين رئيسين هما: الميناء=

كبيرًا من اليهود الذين قدموا إليها من فرنسا، فاندمجوا مع اليهود المحليين الذين كانت إمارة بني عمار في مدينة طرابلس تدين بثرائها وتقدمها الاقتصادي إلى حد ما للدور التجاري الذي لعبه اليهود في المدينة، حتى قام أحد الباحثين بإحصاء عدد الأسر اليهودية في إمارة طرابلس الصليبية بما يقرب من مائة وخمسين أسرة، اشتغلوا بأعمال الصيرفة وصناعة الأصباغ والدباغة[1].

ومن الجلي البين أن ظهور تلك المجموعات اليهودية، كانت سعيًا وراء النشاط التجاري، على الرغم من المذابح التي أقامتها الجيوش الصليبية لتلك الطائفة، إلا أنها مع مرور الوقت بدأت تعود لمراكزها وممارسة أنشطتها التجارية مرة أخرى، وقد تبدلت نظرة الصليبيين تجاههم، وسمحوا لهم بالعودة مرة أخرى إلى مراكزهم القديمة، بمدن الشام.

على أنه لم يكد يمضي على قدوم الصليبيين إلى بلاد الشام ثلاثون عاما، حتى تأثروا بالحياة فى الشرق الإسلامى، وتطبعوا بعادات أهل البلاد الذين يعيشون بينهم، وقد لاحظ أسامة بن منقذ ذلك في أثناء حديثه عن المجتمع الصليبي، وأورد أمثلة للعلاقات السلمية التي قامت بين المسلمين والصليبين[2].

=والمدينة، وتبعًا لذلك فإنه يوجد ترابط وتلاحم بين جزء الميناء وجزء المدينة خاصة مع امتداد العمران والمناطق السكنية على طول الطريق الرئيسي الذي يربط الميناء بالمدينة، وتقع مدينة طرابلس على رأس ممتد في البحر يعرف باسم رأس الميناء، ومن المرجح أن هذا الرأس كان يتألف من جزيرة كبيرة وعدة جزر صغيرة متجاورة، ثم سرعان ما التحمت بمرور الوقت، وإتصلت بالشاطيء المجاور، وقد اشتهرت مدينة طرابلس بانتشار البساتين التي تنتج الحمضيات والرمان، بالإضافة إلى ذلك إرتبطت مدينة طرابلس بمعظم مدن الظهير الشامي عن طريق عدة طرق برية، للمزيد من التفاصيل عن مدينة طرابلس انظر:-

حسن سيد أحمد أبو العينين، دراسات في جغرافية لبنان، ط. بيروت، ١٩٦٨م، ص ٥٠٨، طه عبد العليم رضوان ، في جغرافية العالم الإسلامي ، ط. القاهرة ١٩٨٩م، ص٢٩٧.

(1) Richard (J), Le Conte de Tripoli Sous La Dynastic Toulousaine, Paris, 1945, P33.

(٢) السيد الباز العريني، الشرق الأدنى في العصور الوسطى – الأيوبيون، دار النهضة العربية، ط. بيروت، ١٩٦٧، ص ١٦.

ولقد أرجعت الكنيسة سبب فشل الحروب الصليبية إلى الصراع الذي نشب بين قادة الجيوش الصليبية، والذي استمر من نشأة الإمارات الصليبية أواخر القرن الحادى عشر الميلادي- الخامس الهجري، وحتى سقوطها في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي- السابع الهجري، حيث عمل المبشرون على إرساء الوحدة بين صفوف الصليبيين، ولكن دون جدوى[1].

فبرغم حرص المؤرخين الصليبيين على تسجيل كل ما ينم عن التقوى والورع، فإن هؤلاء المؤرخين أنفسهم قد سجلوا في مدوناتهم التاريخية التي روت تاريخ الحملات الصليبية، ما ينم عن حقيقة طابع الصليبيين وسلوكهم وأخلاقهم، فبينما اجتمعت الجيوش الصليبية على هدف واحد معلن وهو تحرير بيت المقدس من أيدي المسلمين، إلا أن الخلافات ما لبثت أن نشبت بينهم وذلك تحت رايات الصليب، فكثيرًا ما اختلف الصليبيون على أنفسهم بسبب تقسيم الغنائم، أو من أجل الاستيلاء على المدن الشامية[2].

وقد كان أول ظهور لتلك الخلافات بعد الاستيلاء على مدينة أنطاكية عام ١٠٩٨م/ ٤٩١هـ، حيث ساد الصراع بين قادة الجيوش الصليبية من أجل فوز أحدهم بالمدينة، والسيطرة عليها، وانخرط في ذلك الصراع معظم قادة الحملة الصليبية الأولى، عدا قلة قليلة حاولت تجنب الدخول في تلك الصراعات الطاحنة، ومع غياب قوة دستورية تفصل بين المتنازعين، أصبح لكل قائد من القادة قانون خاص به وحده يعامل به الآخرين[3].

وبعد الاستيلاء على مدينة بيت المقدس، وتأسيس مملكة بيت المقدس الصليبية، لم تستقر الأوضاع أيضًا داخل المملكة الوليدة، فبعد وفاة جودفري

---

(1) Palmer A. Throop, Criticism of Papal crusade policy in old French and provencal, Speculum, Vol.XIII, No.4, October, 1938, p 380.

(٢) حسين عطية، " طبائع الفرنج في الحملات الصليبية في ضوء المصادر اللاتينية "، ضمن كتاب، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، ط. الأسكندرية، ٢٠٠٠م، ص٢١.

(٣) ريموندا جيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ت. إنجليزية: جون هيوم جيل - لوريتال جيل، ت. عربية: حسين محمد عطية، ط.الإسكندرية، ١٩٩٠م، ص ١٥١.

حاكم مملكة بيت المقدس عام ١١٠٠م/ ٤٩٣هـ، نشب صراع عنيف بين كل من تنكرد أحد قادة الحملة الصليبية الأولى، وبين جالدهامر بطريرك مدينة بيت المقدس، وتدخل الملك بلدوين الأول في هذا الصراع، وأيد جالدهامر على عدوه «تنكرد»[١].

بل إن الصراع بين القادة الصليبيين وصل ذروته وذلك عام ١١٠١م/٤٩٤هـ، عندما قدم رايموند على رأس حملة صليبية جديدة، غير أنه كان على خلاف مع تنكرد، وتمكن تنكرد من أسره وإلقاءه في السجن، وعندما قدم صليبيو حملة عام ١١٠١م/ ٤٩٤هـ إلى مدينة أنطاكية ناشدوا تنكرد إطلاق سراح رايموند[٢]، فوافق تنكرد على ذلك بعد أن تنازل رايموند عن حقوقه في أنطاكية واللاذقية[٣].

ويتضح لنا من تلك المعلومات أن المصالح الشخصية تغلبت على المصلحة العامة، وبدلاً من أن يقوم قادة الصليبيين بالتحالف لمواجهة المسلمين، تشاحنوا وتشاجروا فيما بينهم، وكان سبب ذلك هو الصراع على الزعامة.

وكان لرجال الدين دورهم في تلك الصراعات أيضاً، فقد نشب صراع عنيف بين كل من أرنولف Arnulf de Chocques (١٠٩٩م - ٤٩٢هـ)[٤]،

---

(1) Jonathan Riely Smith, The Motives of the Earliest Crusaders, p729.

(2)John Hugh Hill, Raymond of Saint Gilles in Urban's plan of Greek Latin Friendship, Speculum, Vol.26, No.2, Apr.1951, P272.

(3) James Lea Cate, The Crusade of 1101, in:- setton, vol.I, p352.

أحمد فرج، الحملات الصليبية الفرعية على الشرق الأدنى الإسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ٢٠٠٦م، ص١٠٥

(٤) أرنولف:- كان أرنولف من المرافقين للأمير روبرت النورماني Robert of Normandy، حيث كان قسيساً له، وقد كان أرنولف معلمًا لسيسليا Cecilia ابنة وليم الفاتح ملك إنجلترا، وقد كان أرنولف شخصية مثيرة للجدل، ففي الوقت الذي أجمع فيه كل من ريموند جيل ووليم الصوري على أنه كان صاحب سمعة سيئة، رأى فيه مؤلف الجيستا شخصية عاقلة شريفة، بينما لاذ فوشيه الشارتري بالصمت، فلم يذكر أدنى إشارة عنه، وبذلك أصبحت شخصية أرنولف مثيرة للجدل بين المؤرخين والباحثين، للمزيد عنه، انظر:- =

بطريـرك مملكـة بيـت المقـدس الأسـبق، وبـين دايمـبرت Daimbert of Pisa (١٠٩٩ - ١١٠١م/٤٩٢ - ٤٩٤هـ)، بطريـــرك مملكـــة بيـــت المقـــدس، فقـــد تنـــازعتهم الأحقـــاد وحـــب الســـيطرة، فقـــد جـــاء أرنولـــف طامعـــاً في كـــرسي البطريركيـة، وعنـدما وجـد دايمـبرت بطريركـا لبيـت المقـدس لم يروقـه ذلـك، فعمـل عـلى اثـارة المتاعـب في وجـه دايمـبرت، وأوقـع بـين دايمـبرت والملـك بلـدوين الأول، طامعًـا مـن وراء ذلـك في الوصـول لكـرسي بطريركيـة مملكـة بيـت المقـدس، مـن أجـل الحصـول عـلى النفـوذ والثـروة الفاحشـة التـي كانـت تـأتي مـن أمـوال التبرعـات، ونجـح أرنولـف في قلـب الأوضـاع في وجـه دايمـبرت، حتـى استطاع خلعه من منصبه، والاستيلاء عليه[١].

ويلاحـظ أن منصـب بطريـرك مملكـة بيـت المقـدس كـان لـه مـن الأهميـة مكـان، حيـث كانـت لـه الهيمنـة عـلى جميـع الأسـقفيات التـي كانـت تحـت السـيطرة الصـليبية، وكـان بطريـرك المملكـة لـه مـن القـوة والنفـوذ، التـي أدت إلى احتـدام الـصراع بـين رجـال الـدين، وتـدبير المـؤامرات لبعضـهم الـبعض مـن أجـل الفـوز بهذا المنصب الرفيع.

وقـد كـان الانقسـام داخـل المجتمـع الصـليبي لـه المعـالم واضـحة، منهـا أن أهـل مدينـة الرهـا مـن الأرمـن، عملـوا عـلى إثـارة المتاعـب في وجـه بلـدوين دي بـورج، وخـافوا مـن عـودة تنكـرد إلى حكـم المدينـة مـرة أخـرى، فقـد كانـت المدينـة تحـت

=مجهول، أعمال الفرنجة حجاج بيت المقدس، ت. حسن حبشي، ط. القاهرة ١٩٥٨م، ص١٢٠، ريموندا جيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ت. إنجليزية: جون هيوم جيل – لوريتال جيل، ت. عربية: حسين محمد عطية، ط.الإسكندرية، ١٩٩٠م، ص.ص٢٥٨-٢٥٩، وليم الصوري، الحروب الصليبية، ت. حسن حبشي، ط. القاهرة، ١٩٩١م، ج٢، ص.ص ١٤٤-١٤٥، جوناثان رايلي سميث، الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية، ترجمة: محمد فتحي الشاعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. القاهرة، ١٩٩٩م، ص١٥١، ياسر كامل محمود، مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الرابع، (١١٧٤-١١٨٥م/ ٥٧٠-٥٨١هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة، أسيوط،٢٠٠٨م، ص٣٧، (حاشية رقم (٢)).

(١) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص٢٠٧، سعيد عاشور، الحركة الصليبية، صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، ط. القاهرة، ٢٠٠٩، ج١، ص٢٤٣.

وصـايته وهـو أمـيرًا لأنطاكيـة، لـذلك عقـدوا اجـتماع بكنيسـة القـديس حنـا بمدينـة الرهـا، ودعـوا إلى ذلـك الاجـتماع رئـيس الأسـاقفة الكـاثوليكي، ووجهـوا إليـه الاتهامـات المشـينة ممـا أنـذر بحـدوث صـدام بـين الأرمـن والصـليبيين داخـل المدينة[1].

وفي الوقـت نفسـه اتصـل بعـض الأرمـن بـالأتراك طـالبين مسـاعدتهم في الـتخلص مـن الحكـم الصـليبي للمدينـة، وتـم الاتفـاق بـين عنـاصر مـن الأرمـن والأمـير مـودود عـلى أن يقومـوا بتسـليمه قلعـة مـن الجانـب الـشرقي للمدينـة، ممـا يسهل عليه بعد ذلك الاستيلاء على بقية المدينة[2].

وقـد فعـل الأرمـن ذلـك ظنًـا مـنهم أن بلـدوين دي بـورج قـد هلـك في الـصراع ضـد تنكـرد، ولم يشـعروا إلا وبلـدوين يـدخل المدينـة سـالمًا، وأحـاط علـمًا بـما فعلـه الأرمـن أثنـاء فـترة غيابـه عـن الإمـارة، فانقلبـت سياسـته تجـاه الأرمـن تمامًـا، وبـدأ في اضـطهادهم وتـشريدهم وإذلالهـم، بـل لقـد بـالغ في إذلالهـم، واعتـدى عـلى حريـاتهم الدينيـة، كـما تعسـف في إنـزال العقـاب بالمـذنبين مـنهم، حتـى بلغـت العقوبـة الحـبس والطـرد وسـمل الأعـين، ولم يسـلم الأسـقف الأرمينـي مـن ذلـك إلا بعد أن قام بافتداء نفسه بمبلغ من المال[3].

ومـن الجـدير بالـذكر أن موقـف جماعـات الأرمـن قـد تبـدل تجـاه الصـليبيين بعـد فـترة قليلـة مـن احـتلال الصـليبيين لمـدن بـلاد الشـام، فبعـد أن رحبـت تلـك الجماعـات بـالوجود الصـليبي في بـادئ الأمـر، اكتشـفت حقيقـة ذلـك الوجـود الـذي كـان يسـعى لتحقيـق أطـماع قادتـه الشخصـية، فتحـول مـوقفهم مـن مسـاند لهم إلى موقف معارض للوجود الصليبي ببلاد الشام.

---

(1)The Caxtom Eracles, Vol. I, in: A Middle English Chronicle of the first crusade, edited and with an introduction by: Dana cushing, Toronto, 2001, p549.

سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٣٦٣.

(٢) علية الجنزوري، إمارة الرها، ص١٠٩، سعيد عاشور، المرجع السابق، ج١، ص٣٧٤.

(٣) حسـن عبـد الوهـاب حسـين، مقـالات وبحـوث في التـاريخ الاجتماعـي للحـروب الصـليبية، ط. الأسـكندرية، ١٩٩٧م، ١٧، سعيد عاشور، المرجع السابق، ج١، ص ٣٦٣.

ولم تكن عناصر الأرمن وحدها هى التي عانت من جور الحكم الصليبي، فقد تعرض لظلمهم أيضًا جماعات المسلمين التي ظلت مستقرة في المدن التي استولى عليها الصليبيون، ولم يهاجروا إلى مناطق أخرى، واشتغلوا بالزراعة تحت السيطرة الصليبية، فقد بدأت عناصر من تلك الجماعات في النزوح بعيدًا عن السيطرة الصليبية، وانتقلت إلى الجانب الإسلامي، ولم تقتصر تلك الهجرات على العناصر المسلمة فقط، بل امتدت أيضًا إلى مختلف الشرائح الاجتماعية ومن الملل المختلفة، ولم يسلم من ظلمهم العناصر المسيحية المحلية التي سكنت تلك المناطق(١).

ولذلك واجه المجتمع الصليبي صعوبات داخلية، نتيجة لطبيعة السكان الصليبيين أنفسهم، التي غلب عليها طابع التناقض الأخلاقي، فبعد أن كان العدو الأساسي للصليبيين هو المسلمين(٢)، أصبح الصليبيون يوجهون عداء أنفسهم، ويعتدون على بعضهم البعض، وينهبون أراضيهم بأيديهم، وذلك نتيجة لطمعهم الذي أعماهم، وتحدث عن تلك الأوضاع التي يواجهها المجتمع الصليبي(٣).

ونستنتج من ذلك، أن القيم التي كان يدعو إليها الصليبيون من وجهة نظرهم الصليبية، تلاشت تمامًا بعد فترة قصيرة من تواجدهم ببلاد الشام، وتصارعت شرائح مجتمعهم المختلفة التي ضمت أهل بلدان أوربا المتعددة، كلاً حسب تقاليده وعاداته، وسعى الجميع لتحقيق أهدافه، وأصبح الصليبيون أعداءً لأنفسهم.

ولم تكن الاضطرابات فى الإمارات الصليبية اجتماعية فقط، بل كانت سياسية أيضاً، فقد نشأت بعض الصعوبات في إمارة أنطاكية ففي عام

---

(١) عبد المجيد بهيني، «أوضاع المسلمين تحت الإدارة الصليبية من خلال رحلة ابن جبير»، (النصوص – التوظيف – الواقع التاريخي)، مجلة التاريخ العربي، العدد: ١١، ط. القاهرة، ١٩٩٩م، ص١٩٥.

(٢)حسين عطية، طبائع الفرنج في الحملات الصليبية، ص١٦.

(٣) فوشبه الشارتري، الاستيطان الصليبي في فلسطين، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس ١٠٩٥ – ١١٢٧م، ت. قاسم عبده قاسم، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص٢٣٢.

١١٣٠م/ ٥٢٤هـ، قتلت عناصر تركمانية الأمير بوهيمند الثاني، ومثل مقتله أزمة سياسية خطيرة في إمارة أنطاكية، حيث أرادت أرملته أليس ابنة الملك بلدوين الأول، أن تمارس الوصاية على الإمارة باسم ابنتها كونستاس، حتى تظل محتفظة بالإمارة لنفسها لا ينازعها أحد في حكمها، وقامت بطلب المساعدة من عماد الدين زنكي عن طريق إرسال رسالة له، غير أنه تم اعتراض الرسول وقتله، وقام الملك بلدوين الثاني بالإسراع إلى إمارة أنطاكية، حيث قام بإسناد الوصاية إلى جوسلين أمير الرها[1].

واستمر تردي الأوضاع في إمارة أنطاكية، خاصة عندما بلغت الأميرة كونستاس سن الزواج، وأراد رينو دي شاتيون الزواج منها، غير أن عموري دي ليموج بطريرك أنطاكية وقف في وجهه، وحاول إثناء الأميرة عن الزواج من رينو دي شاتيون وذلك في محاولة منه للحفاظ على نفوذه في المدينة، غير أن رينو علم بالأمر فقام بالانتقام من البطريرك وإنزال أشد ألوان العذاب به، حيث بلغ الأمر حد الضرب وإلقاء البطريرك عارياً تماماً في حر الشمس المحرقة[2].

ونستخلص من ذلك، أن القادة الصليبيين لم يترددوا في الاستعانة بقادة المسلمين من أجل تحقيق رغبتهم في تولي شئون الحكم، وتعدوا على الرموز الدينية وأهانوهم من أجل أطماعهم السياسية.

وتظهر مشكلة الوصاية على العرش مرة أخرى، غير أنها هذه المرة في مملكة بيت المقدس، فبعد وفاة الملك بلدوين الثاني Baldwin II (١١١٨-١١٣١م / ٥١٢-٥٢٥هـ)، ترك اثنين من أبنائه وهم بلدوين الثالث وعموري، وكانوا صغار السن، وكان الملك هو بلدوين الثالث بحكم كبر سنه عن عموري، وتولت الملكة مليزندا الوصاية على العرش حتى يتسنى لها

---

(١) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٣، ص.ص ٧٣،٧٤، نيكيتا أليسيف، السلطان نور الدين محمود بن زنكي (٥١١-٥٦٩هـ/١١١٨/١١٧٤م)، ت. سليم قندلفت، مراجعة: علي القيم، ط. دمشق، ١٩٩٨م، ص ٨١.

(٢) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٥١٤.

تدبير شئون المملكة تحت اسم ابنها بلدوين الثالث، على أن المشكلة ظهرت بوضوح عند بلوغ بلدوين الثالث سن الثانية والعشرين من عمره، وطالب بحقه في حكم المملكة، فلم توافق أمه على أن تتنازل له عن السلطة، وعز عليها تتويج ابنها وحده ملكاً لبيت المقدس، فاتفقت سراً مع بطريرك مملكة بيت المقدس على إعادة تتويجها مع ابنها إشارة إلى مقاسمتها له النفوذ والحكم، بل إن البعض أقترح تقسيم المملكة بين الملك بلدوين الثالث وأمه فيكون لها حكم مملكة بيت المقدس ونابلس ومتعلقاتها، وتترك لولدها الأطراف الساحلية مثل صور وعكا وملحقاتها، غير أن الملك بلدوين الثالث رفض ذلك العرض تماما، وأجل موعد تتويجه ، حتى إذا ما مضت بضعة أيام دخل خلسة إلى كنيسة القيامة فجأة، وطلب من البطريرك تتويجه بمفرده، وقد استاءت مليزندا من تصرف ولدها، مما أدى إلى غضب أشياعها وقيام حرب أهلية طاحنة بين الطرفين، انتهت بهزيمة مليزندا وحلفائها عام ١١٥٢م/ ٥٤٦هـ، وعقد صلح بين الملك بلدوين الثالث وبين أمه[١].

ونتيجة لتلك الأوضاع المتردية التي عاشتها الإمارات والمدن الصليبية خلال تلك الفترة، فقد السكان الشعور بالأمان، فلم يعد الخطر الإسلامي هو شاغلهم الأول، بل جاء الخطر أيضًا من الصليبيين أنفسهم، من داخل المجتمع الصليبي ذاته، فلم يشعر المواطنون الصليبيون بالأمان على أنفسهم وممتلكاتهم، ويرجع ذلك إلى كثرة المشاحنات الداخلية، وقلة عدد السكان وبعثرتهم في عدة أماكن مختلفة، ويضاف إلى ذلك أسوار المدن التي تهدمت ولم يعد ترميمها، مما جعل تلك المدن مكشوفة أمام المسلمين بدون دفاعات، فكثرت الغارات على الصليبيين، مما أدى بالكثيرين إلى ترك ممتلكاتهم والرحيل عنها[٢]، وذلك خوفاً على أرواحهم، ولشعورهم بعدم جدوى

---

(١) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٣، ص ٢٣٤، سعيد عاشور، الحركة الصليبية،ج١، ص.ص ٥١٢،٥١١، R.C.Smail, Latin Syria and The West, 1149-1187, in: The Royal Historical Society, Fifth Series, Vol.19, 1969, P5.

(٢) وليم الصوري، المصدر السابق، ج٢، ص ١٨٠.

الشعارات الصليبية، التي جلبت عليهم تلك الكوارث.

واستمرارًا للتوتر الذي ساد في الإمارات الصليبية، والعلاقات المتردية بين الملك الصليبي وبين حكام الإمارات الصليبية والنبلاء، فقد جاء جاسوس إلى الأمير رينو دي شاتيون، وأخبره بأن هناك قافلة كبيرة قادمة من القاهرة إلى دمشق، وأنها سوف تمر بالكرك، فجمع فرسانه وانقض سريعاً على القافلة واستولى على ما بها، وأسر العديدين ومنهم أخت السلطان صلاح الدين الأيوبي، الذي استشاط غضباً، وأرسل إلى الملك جاي لوزجنان يأمره بإعادة القافلة، وبادر جاي يأمر رينو برد القافلة، غير أن رينو رفض ذلك تماماً، مدعياً أنه هو صاحب الأمر والنهي في أرضه، مثلما للملك في أرضه، وأنه ليس بينه وبين المسلمين هدنة، وكان ذلك سبباً من الأسباب المباشرة لمعركة حطين ١١٨٧م/٥٨٣هـ[1].

ونستنتج من ذلك أن مخالفة القرار الجماعي الذي اعتاده الصليبيون منذ بداية غزوهم لبلاد الشام، وانفراد أحد قادتهم بالرأي، أدى إلى كارثة حقيقية للصليبيين، والتى أدت بدورها إلى فقدانهم مراكزهم وزعزعة موقفهم ببلاد الشام.

وفي ظل تلك الأجواء المتوترة التي مرت بها الإمارات الصليبية في الساحل الشامي، لم تتوقف الدعوة إلى الحروب الصليبية في الغرب الأوربي في الفترة الواقعة بين عامي ١١٤٩-١١٨٧م/ ٥٤٤-٥٨٣هـ، بسبب طلبات المساعدة الكثيرة التي أتت من الصليبيين؛ لأن في تلك الفترة حقق كل من نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي العديد من الانتصارات على الصليبيين، نتيجة للأوضاع الداخلية غير المستقرة في مملكة بيت المقدس والإمارات الصليبية الأخرى، بسبب النزاع على السلطة، وبسبب الفرقة بين الصليبيين في بلاد الشام[2].

---

(١) مجهول، ذيل وليم الصوري، ت. حسن حبشي، ط. القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٥٢.

(٢) عبد السلام محمد زيدان، الدعوة للحروب الصليبية على بلاد الشام (١٠٩٥-١١٨٩م)، رسالة دكتوراه، كلية=

ويدلل ذلك على معرفة الغرب الأوربي بالأوضاع التي كان يمر بها الشرق اللاتيني أولا بأول وذلك عن طريق رحلات الحج وبعثات البابوية، التي كانت تذهب لبلاد الشام باستمرار، وكانت تمد الغرب الأوربي والبابوية بتقارير مستمرة عن أوضاع الإمارات الصليبية.

وبعد معركة حطين ١١٨٧م/٥٨٣هـ، وانتصار صلاح الدين على الصليبيين، واسترداده للمدن التي خضعت للسيطرة الصليبية الواحدة تلو الأخرى، ورحيل سكانها الصليبيين عنها، قامت تلك الجموع الصليبية بالتوجه شمالاً إلى إمارة طرابلس، بعد أن زودهم صلاح الدين بالمؤن وأمر أن تصحبهم قوة من الجيش الإسلامي لحراستهم حتى يبلغوا مأمنهم، خوفًا من تعرض قبائل البدو لهم[1].

وقد قسمهم صلاح الدين إلى ثلاث مجموعات، مجموعة قادتها فرقة الداوية، والثانية قادتها فرقة الإسبتارية، والثالثة قادها باليان أوف إبلين Balian of Ibelin[2] نفسه[3]، وبمجرد أن اقتربت تلك المجموعات من حدود إمارة طرابلس، حتى واجهوا هجمات ومعاملة سيئة من أهل نيفين

=الآداب، جامعة أسيوط، ٢٠٠٤م، ص٢٣٤.

(١) حسين محمد عطية، إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون (١١٧١-١٢٦٨م/٥٦٧-٦٦٦هـ)، دار المعرفة الجامعية، ط. الأسكندرية، ١٩٨٩م، ص.ص ٢٠٩، ٢١٠.

(٢) باليان أوف إبلين:- الابن الثالث لبارزيان كونستابل يافا، وكان ضمن أمراء أسرة إبلين، وذلك في عهد الملك الصليبي بلدوين الرابع Baldwin IV، وقد تزوج من ماريا كومنين Maria Komnene أرملة الملك الصليبي عموري Amalric وذلك في عام ١١٧٧م/٥٧٣هـ وكانت تلك الزيجة أحد الدعائم المؤسسة لأسرة إبلين ببلاد الشام في القرن الثالث عشر الميلادى، السابع الهجري، وبعد معركة حطين ١١٨٧م/٥٨٣هـ فقدت أسرة إبلين معظم ممتلكاتها ببلاد الشام، ثم قام بالسفر إلى أوربا من أجل دعم الصليبيين ببلاد الشام، ثم أصبح المستشار الخاص لهنري أوف شامبيني Henry of Champgane، وتوفي في عام ١١٩٣م/٥٨٩هـ، للمزيد:-

Peter Edbury, " The Ibelin Counts of Jaffa: A Previously Unknown Passage from the Ligages d'Outremer", English Historical Review, 89, (1974), pp.604-610, An Encyclopedia, pp623-624.

(٣) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٦٤٨.

وطرابلس، لم يلاقوها من المسلمين الذين كانوا يزودونهم طوال الطريق بالطعام الوفير[١].

وواجهت تلك المجموعات أسوأ معاملة من جانب إخوانهم الصليبيين، حيث أمر رينالد صاحب البترون Botron ونيفين Nephin - وهي من المناطق التابعة لطرابلس - رجاله بالترصد لتلك المجموعات الصليبية، واعتراضها والقيام بنهب أموالهم وسرقتهم، واغتصاب كل ما يملكونه[٢]، وبعد ذلك لجأت تلك المجموعات إلى مدينة طرابلس، غير أن أميرها رفض فتح أبواب المدينة لهم، وخشى سكان المدينة على أنفسهم وعلى مدينتهم من تلك الجموع الخاوية الوفاض، فأغلقوا أبواب مدينتهم فى وجههم، وتعدى الأمر ذلك بهجوم أهل طرابلس على تلك المجموعات، ونهب ما بقي بأيديهم من أموال تركها لهم صلاح الدين[٣]، ويدل ذلك على مدى التفكك الذي حل بالصليبيين، وأن المصلحة الشخصية تغلبت على أية اعتبارات أخرى على نحو دل بجلاء على عدم وجود ما يمكن وصفه بقضية صليبية، يمكن أن تجمع الصليبيين حولها.

وفيما يتعلق بانتقال الصراعات الاوربية إلى المتجمع الشامي، فقد كان الصليبيون هم السبب الرئيسي وراء ضعف الإمارات الصليبية، فعندما تمكنت الجيوش الإسلامية من هزيمة الجيوش الصليبية، ويضاف إلى ذلك النزاعات والمشاحنات التي كانت تقع بين كل من الفرنسيين والألمان، والفرنسيين والإنجليز والألمان، وبين القادمين الجدد من الصليبيين وعناصر البولان، كل ذلك جعل التعاون بين هذه العناصر مستحيلا وسط تلك الصراعات[٤].

(١) مجهول، ذيل وليم الصوري، ت. حسن حبشي، ط. القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ١٢٧.

(٢) مجهول، نفسه، ص ١٢٦.

(٣) سعيد عاشور، الحركة الصليبية ج٢، ص ٦٤٨.

(4) Virginia G. Berry, The Second Crusade, In setton, The first hundred years, vol. I, London, 1969, p466.

ومن أمثلة تلك الصراعات التي كانت أحد أسباب انهيار المجتمع الصليبي ببلاد الشام، ما وقع من حرب بين كل من البنادقة والجنوية ببلاد الشام، وما نتج عنها من أثار مدمرة، فلقد انحاز الجنويون إلى المركيز كونراد، وسانده الملك فيليب أوغسطس، أما البيزيون فعلى العكس من ذلك جهروا بتأييدهم لجاى لوزيجنان وكان لهم علاقة مودة بنوع خاص مع الملك ريتشارد قلب الأسد، وقد أدى هذا الموقف إلى الانفجار، ففي شهر فبراير من عام ١١٩٢م/٥٨٧هـ، شن الطرفان حربًا صريحة ضد بعضهم البعض، وكان سبب ذلك أنه تناهى إلى مسامع البيزيين في عكا نبأ مؤامرة دبرها الجنويون لتسليم الموقع لكونراد دى منتفرات، فبادروا إلى حمل السلاح، وأغاروا على الجنويين وحلفائهم الفرنسيين ودحروهم، وعندما وصل المركيز متوقعًا أن يستولي على المدينة على حين غرة، وجدها متأهبة للدفاع وبعد انقضاء ثلاثة أيام في غارات فاشلة، اضطر إلى التحول عنها والهجوم مع الفرنسيين على صور، ووصل في ذلك الوقت ريتشارد قلب الأسد الذي استنجد به البيزيون[١].

ورغم الجهود التي بذلت من أجل أن ترث عكا – القلب التجاري للصليبيين- مملكة بيت المقدس وتعيد ما استولى عليه صلاح الدين بالقوة، لم تتمكن من تحقيق ذلك الهدف لتغير الظروف؛ لأن الصليبيين أصبحوا في وضع لا يسمح لهم بالاستمرار في الحرب، ولم تتمكن الحملة الصليبية الثالثة من تحقيق نصر عسكري حاسم على صلاح الدين؛ لأن ما حققه صلاح الدين من انتصارات متتالية على الصليبيين يحتاج إلى استعداد أكبر ووقت أطول، وبسبب تجدد النزاع بين جاى لوزجنان وكونراد مونتفرات على عرش مملكة بيت المقدس في عكا وانقسام الصليبيين على أنفسهم[٢].

وقد كان القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري، قرن المشاحنات

---

(١) هايد، تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى، ترجمة: عز الدين فوده، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. القاهرة، ١٩٨٥م، ج١، ص.ص ٣٢٢،٣٢١.

(٢) جرجس فام ميخائيل، الأحوال السياسية لمملكة بيت المقدس لصليبية وعلاقاتها الخارجية (١١٩١-١٢٩١م/ ٥٨١- ٦٩٠ هـ)، رسالة دكتوراه، جامعة الزقازيق، ١٩٨٩م، ص.ص ١٠٦،١٠٥.

والـصراعات المسـتمرة التـي أدت في نهايـة المطـاف إلى طـرد الصـليبيين مـن مـدن السـاحل الشـامي واسـتعادة الأراضي المقدسـة مـرة أخـرى، وكـان أبـرز مثـال عـلى ذلـك هـو الحملـة الصـليبية الخامسـة، فقـد كـان طبيعيـاً أن يصـطحب الجيـوش الصـليبية منـدوب أو أكثـر عـن البابـا في رومـا، وقـد تعمـد أولئـك القـادة تجاهـل تعليماته وتخطي ممثليه[١].

وكـان مبعـوث البابويـة لهـذه الحملـة هـو الكاردينـال بلاجيـوس Cardinal Pelagius ، فقد كان هو المسئول الأول والرئيسي عن فشل الحملة الصليبية الخامسة على مدينة دمياط، فلم يكن قادة الجيوش الصليبية يعتدوا كثيرًا أو يهتموا بمبعوث البابويـة[٢]، ويرجـع السـبب في ذلـك إلى أن رجـل الـدين أصبح يسـتخف بالمناصب والألقاب الدنيوية ويطالب بالسبق على رجال الدنيا، وهو يعتقد أن الكنيسة إنما هى صاحبة الأمر، وعلى الأمراء والحكام السمع والطاعة، أما الإقطاعي من رجال الدنيا والذي ولد وغذى بلبان قوم توارثوا العسكرية، فقد كانت الحرب عنده أعلى درجات الـشرف لإنسـان ذي شرف ومجد، وهـو يضيق ذراعًا بعجرفة رجل الـدين ويعتقد في قرارة نفسه أن الكنيسة لا يحق لها أن تتدخل في السياسة[٣].

فعندما بدأت الحملة الصـليبية الخامسة على مصر، والتي انتهت بالاستيلاء على مدينة دمياط، غير أنه سرعان ما فقد الصليبيون هذه المدينة المهمة، وقد ألقى الكثيرون بالذنب على بلاجيوس Pelagius، ذلك المندوب البابوي الذي كان عنيداً في قيادته، بالإضافة إلى نزاعه مع القيادات الأخرى للحملة الخامسة، وأن أسباب فشل الحملة يعود إلى الكنيسة، فقد نسب إلى رجال الدين المصاحبين للحملة حبهم للمال الذي كان القضية الأساسية، بالإضافة إلى غدر بلاجيوس بحنا دي برين قائد الحملة[٤].

---

(١) ديفز، أوربا فى العصور الوسطى، ترجمة: د/ عبد الحميد حمدى محمود، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٥٨م،ص ١٩٤.

(2) Dana Munro, The Popes and The Crusades, Proceedings of The American Philosophical Society, Vol. 55, No.5, 1916, p353.

(٣) ديفز، المرجع السابق، ص ١٧٩.

(4) Palmer A. Throop, Criticism of Papal crusade policy, p.p 31,32.

ويضاف إلى ذلك أن عناصر الحملة الصليبية التي احتلت مدينة دمياط الذين وصفوا بأنهم ملوثين بالطمع، وسكارى وزناة وفساق ولصوص ومقامرين، على حد تعبير المؤرخ الصليبي أوليفر[1]. ولذلك يرى أحد الباحثين أن البابوية أرادت تصدير العنف الذي كان دائرًا في أوربا إلى الشرق الإسلامي، بدلاً من تناحر المسيحيين فيما بينهم في أوربا، غير أن الصليبيين الذين خرجوا من بلادهم يحدوهم الأمل في قتل أعداء المسيح – على حد اعتقادهم- سرعان ما تناسوا هدفهم وضعفت حماستهم الدينية فاشتعلت بينهم الانقسامات والخلافات الدموية، ونشبت بينهم صراعات حول المصالح السياسية والمنافع الاقتصادية[2].

ويعد النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري، كارثة حقيقية على الصليبيين، لم يكن الدعم الذي يصل من أوربا يصل إلى مستحقيه من البقية الباقية من مملكة بيت المقدس الصليبية، التي تبعثرت على امتداد الساحل الشامي والتي تم القضاء عليها من قبل المسلمين، فبعد الحملة الصليبية الأخيرة للويس التاسع ملك فرنسا، لم يعد الأوربيون يهتموا بمصير إخوتهم الصليبيين في الشرق الإسلامي[3]. ومن الجلي البين أن الغرب الأوربي أدرك أن الصليبيين في بلاد الشام، أصبحوا عبئًا حقيقيًّا عليهم على المستويات السياسية والعسكرية والاقتصادية، ناهيك عن انشغاله بقضاياه الخاصة.

وشهد النصف الثاني من القرن الثالث عشر حرب طاحنة عرفت باسم حرب القديس سابا Sabas [4]، كان طرفاها التجار الإيطاليين، من البنادقة

---

(١) أولفر أوف بادربورن، الإستيلاء على دمياط، ت. سهيل ذكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج ٣٣، ط. دمشق، ١٩٩٨م، ص٨٣،

Thomas C. Van Cleve, The fifth crusade, p422.

(٢) محمد عبد الله محمد مهيوب المقدم، الإغتيالات في بلاد الشام والجزيرة زمن الحروب الصيبية، رسلة ماجستير، ط. المنصورة، ٢٠٠٥م، ص١٧٨.

(3) Palmer A. Throop, Criticism of The Crusade, Philadelphia, 1975, p1.

(٤) القديس سابا:– ولد في موتالاسكا Mutalaska في قبادوقيا قرب قيصارية عام ٤٣٩م، كان أبناً لأحد الضباط، ويعد أحد البارزين من الجيل الأول من الرهبان، وقد صار قدوة لغيره على نحو صارت معه تعاليمه تؤثر تأثيراً كبيراً=

والجنوية والبيازنة، والتي اندلعت بينهم لأسباب اقتصادية أدت إلى تحاسدهم وتنازعهم[1]، وكان الموقع الرئيسي لتلك الحرب مدينة عكا، وقد اشترك في ذلك النزاع كل من الداوية وفرسان القديس لازروس[2]، وفرسان القديس توماس[3]، والإسبتارية وأتباعهم[4].

=على الحركة الديرية الشرقية، وعندما كان صغيراً لازم القديس أيوثيميوس الكبير Euthymius the Great، وفي عام ٤٥٦م، دخل دير القديس= ثيوكيتستس St. Theoctistus في القدس وحين بلغ الثلاثين صار راهباً، أسس في القدس دير خاص به، وجذب كثير من المريدين من مصر- وأرمينيا وبنى عدة مستشفيات وأديرة، وفي عام ٤٧٨م أسس جماعة ديرانية في منطقة مقفرة فيما بين بيت المقدس Jerusalem والبحر الميت]Dead Sea، وقد إزدهر أمرها من بعد ذلك بصورة كبيرة، وفي عام ٥١١م، كان ضمن وفد الرهبان الذي ذهب إلى الإمبراطور أنستاسيوس الأول Anstsius لمناقشة بعض أمور العقيدة، وحين بلغ الواحد والتسعين ذهب ثانية إلى القسطنطينية لزيارة الإمبراطور جستنيان عام ٥٣١م، وتوفى عقب عودته بقليل في ٥ من ديسمبر ٥٣٢م، لمزيد من التفاصيل عن سان سابا انظر:-

Delaney, Dictionary of Saints, London, 1980, p543, Attwater, The Penguin Dictionary of Saints, London, 1983, p291.

(1) Anonymous Pilgrim V.2, (1187 – 1198), Trans. by Aubrey Stewart,= P.P.T.S London, 1894, p29.

(٢) هيئة القديس لازروس:- كانت مخصصة لرعاية مرضى الجذام، وكان تأسيسها سابقًا للغزو الصليبي للشرق، واتخذوا لأنفسهم شعارًا خاصًا بهم ممثل في الصليب الأخضر المثمن الأطراف، وقد شاركت بدور عسكري يرجح أنه بدأ مع حملة لويس التاسع على مصر، وكان دورها محدودا للغاية، ومن ثم لم تلتفت إليها المصادر كثيرًا، لمزيد من التفاصيل انظر:- محمود الحويري، الأوضاع الحضارية، ص ٧٣، محمد مؤنس، التنظيمات الدينية، ص ٣٩١

King, The Knights Hospitaller, in The Holy Land, London, 1931, pp 303, 304.

(٣) هيئة القديس توماس:- كانت هيئة إنجليزية أسسها راهب إنجليزي عام ١١٨٩م/ ٥٨٤هـ وكرس وقته لدفن الموتى في مدينة عكا، وتذكر بعض الحوليات الإنجليزية أن التأسيس كان على يد الملك ريتشارد قلب الأسد، ولم يكن للهيئة عدد كبير من الفرسان، ولقيت دعما من من بيتر دي روش Peter de Roche عام ١٢٣١م/٦٢٨هـ ووضعها تحت إشراف الداوية، كما غمرها الأمير إدوارد حين جاء إلى الشرق بعطفه، وبقيت الهيئة في مدينة عكا حتى عام ١٢٩١م/ ٦٨٩هـ، واتخذت لنفسها زيًا تمثل في رداء أبيض وصليب أحمر فضيًا، لمزيد من التفاصيل انظر:-

محمود الحويري، المرجع السابق، ص.ص ٧٢،٧٣، محمد مؤنس، المرجع السابق، ص ٣٩٦.

King, The Knights Hospitallers, p 306, forey, " The Military Order of St. Thomas of Acre", in English Historical Review, Vol.92, No. 346(Jul.1977).

(4) Mathew of Paris, English History from the year 1235 to 1273, Trans, From The=

بل يضاف إلى ذلك قدوم البنادقة من مدينة القسطنطينية - وهي التي سقطت في أيديهم عقب كارثة عام ١٢٠٤م- ٦٠١هـ من أجل نصرة إخوانهم في الحرب ضد الجنويين(١)، واستمرت تلك الحرب بين الصليبيين يحاربون بعضهم بعضًا بطريقة تثير الألم وتجلب العار لكلا الطرفين، وظلت تلك الحرب ما يقرب من عام قتل بعضهم البعض وتعاملوا فيها بينهم بقسوة وعنف لعلها أعنف مما تعاملوا به مع أعدائهم المسلمين آنذاك(٢)، بل لقد كانت تلك الحرب أحد أهم عناصر الضعف التي أصابت الإمارات الصليبية في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي- السابع الهجري، حتى أصبحت الشوارع الداخلية في قلب المدن الصليبية غير آمنة(٣).

وفي خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري، ونتيجة لتلك الحروب المستمرة، أخذت الإمارات الصليبية في الضعف والانحلال والسقوط في يد القوات المملوكية، فأدركت العديد من العائلات الصليبية التي استقرت في مدن الساحل الشامي، أنه ليس هناك مستقبل لهم في هذه المنطقة، لذلك بدأت بالفعل العديد من المجموعات بالتحرك مع القوافل التجارية المتجهة إلى أوربا، وترك مدن الساحل الشامي إلى الأبد(٤)، وبالتالي صارت تلك المدن بمثابة مناطق طرد سكاني صليبي بعد أن كانت مناطق جذب في مرحلة سابقة خاصة خلال النصف الأول من القرن ١٢م/ ٦هـ.

=Latin By, J.A.Giles, London, 1853, vol.3, p327.

(١) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، تحقيق: خليل منصور، ط. بيروت، ١٩٩٦م، ص ٢٣٥.

(٢) تتمة كتاب وليم الصوري لمؤلف مجهول والمنسوب خطأ إلى روثلان (١٢٢٩-١٢٦١م)،ت. أسامة زكي زيد، جامعة طنطا، ١٩٨٩م، ص.ص ٢٣٣، ٢٣٤.

(3) David Nicolle, Acre 1291, Bloody Sunset of The Crusader States, Oxford, 2005, P15.

(4) David Nicolle, Acre 1291, P9.

الفصل الثاني

جريمة القتل

* دوافع جريمة القتل.
* القتل كوسيلة لتصفية الخلافات السياسية.
* تفشي القتل في المجتمع الكنسي.
* العقاب بالقتل.

تبينا في الفصل الأول عوامل ظهور الجريمة داخل المجتمع الصليبي ببلاد الشام بشكل عام، وكيف تكونت عناصره المختلفة من شتى بلدان الغرب الأوربي، حيث كان لتباين طبقات المجتمع الصليبي ثقافياً واجتماعيًا ودينيًا، دور كبير في انتشار الجريمة فيه.

ويتناول هذا الفصل بالدراسة جريمة القتل داخل المجتمع الصليبي ببلاد الشام، من حيث دوافع تلك الجريمة الخطيرة التي انتشرت بشكل واضح بين الصليبيين، وتنوع تلك الدوافع ما بين سياسية واجتماعية واقتصادية وغيرها من الدوافع الأخرى المختلفة، كما يناقش الفصل حالات القتل الفردي والجماعي بين الصليبيين، والأساليب المختلفة التي استخدمت في تنفيذ تلك الجريمة.

وفيما يتعلق بتعريف جريمة القتل ودوافعها، **فقد عرف القتل اصطلاحًا**: بأنه اعتداء إنسان على إنسان عمداً بقتله، أو إزهاق روح إنسان عمدًا، أو بأنه اعتداء على حياة الغير تترتب عليه وفاته[1].

وقد اختلفت دوافع جريمة القتل، وذهب المفكرون الاجتماعيون وعلماء الإجرام في تفسيرهم لذلك السلوك الإجرامي مذاهب شتى، إلا أنهم عزوه في إجماله إلى مجموعتين بعينهما من العوامل الشخصية (الداخلية)، والعوامل البيئية(الخارجية):

فالعوامل الشخصية: تتعلق أساسًا بشخصية الفرد وظروفه التكوينية من حيث الوراثة والبناء العضوي والعقلي والنفسي، ينتج عنها أن يكون هناك أناس لديهم استعداد – أكثر من غيرهم- للانحراف والإجرام.

وتندرج العوامل النفسية إلى قائمة العوامل الشخصية للقتل، فقد يكون الجاني مصابًا بجنون العظمة وحب التكبر، مما يجعل قلبه يمتلئ بالكراهية والحقد تجاه الآخرين، مما يؤدي إلى إصابته بالعته والجنون، فيصيب من حوله بالأذى، ولذلك كان للعامل النفسي دور مهم في تحليل جرائم القتل التي وقعت داخل المجتمع الصليبي، فمن الصعب تجاهل ذلك العامل عند البحث عن الأسباب التي أدت إلى ارتكاب جرائم القتل، فالعوامل النفسية كالحقد والحسد قد تدفع الإنسان إلى قتل أقرب الناس إليه[2]، وكان لذلك العامل النفسي تأثير كبير في جرائم القتل التي وقعت

---

(١)عزت حسنين، جرائم القتل بين الشريعة والقانون دراسة مقارنة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. القاهرة، ١٩٩٣م، ص.ص١٠،٩.

(٢) محمد عبد الله محمد مهيوب المقدم،الاغتيالات في بلاد الشام والجزيرة زمن الحروب الصليبية،رسالة ماجستير،=

داخل المجتمع الصليبي.

أما العوامل البيئية: فهى التي تتعلق بكل ما يقع على الفرد من ضغوط خارجية تدفعه إلى ارتكاب هذا السلوك، وهذه العوامل البيئية متعددة بدورها:

وما قد تتسم به من عزلة وهدوء وقلة سكان ومحدودية حركة، أو شدة زحام وكثافة سكان وسرعة حركة، ومنها ما يتعلق بالبيئة السياسية وغياب الشورى والديمقراطية والحرية وسيادة التحكم والتسلط وممارسة رذيلة الاضطهاد لسبب أو لاخر، ومنها ما يتعلق بالبيئة الاجتماعية ممثلة في الأسرة وما تتعايش معه من عدم توافق وتفكك أسري وفساد ومصاحبة رفاق السوء وتأثيرها السلبي على الفرد[1].

وقد انطبقت العوامل السابقة إلى حد كبير على المجتمع الصليبي وتكوينه، وساعدت كثيرًا في انتشار جرائم القتل بشكل موسع بين مختلف طبقاته وبطرق متباينة كما سنرى، بل وضح أيضًا استعداد عناصر ذلك المجتمع لارتكاب تلك الجريمة نتيجة لتكوينه المتعدد الجنسيات وصراعاتهم الداخلية.

ويعد الطمع في المناصب أو القفز على كرسي الحكم من دوافع جريمة القتل داخل المجتمع الصليبي، وهو ما شاهدناه فى المرحلة المبكرة من الاحتلال الصليبي لأراضى المسلمين خاصة ببلاد الشام[2]،وعلى مدار تاريخهم فى المنطقة على مدة قرنين من الزمان.

وكذلك من دوافع جريمة القتل، الصراع على تأكيد التبعية، وهو ما كان يحدث بين الأمراء الصليبيين، وكانت تقوم بسببه حروب طاحنة بينهم، مما كان يعرض المملكة الصليبية للخطر الدائم وعدم الاستقرار الداخلى[3]، ويضاف إلى ذلك أن المجتمع الصليبي احتوى على العديد من القتلة الأوربيين الذين استجابوا لدعوات المبشرين للحروب المقدسة- من وجهة نظرهم- في بلاد الشام، وذلك مثل صدمة كبيرة للعديد من الصليبيين المثقفين الذين صاحبوا الجيوش الصليبية، وكانت حجتهم في مصاحبة الجيوش الصليبية هو التوبة عما اقترفوه من ذنوب

=جامعة المنصورة، ٢٠٠٥م، ص٧٣.

(١) أحمد حويني وآخرون، البطالة وعلاقتها بالجريمة والانحراف في الوطن العربي، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ط. الرياض، ١٩٩٨م، ص.ص١٠،٩.

(٢) روايات ميخائيل السورى الكبير، ضمن: الموسوعة الشامية فى تاريخ الحروب الصليبية، تأليف وتحقيق وترجمة: سهيل ذكار، الجزء الخامس، دمشق، ١٩٩٥م، ص١٨٥.

(٣) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٣٠٢.

جرائمهم[١]، غير أنهم بمجرد وصولهم لبلاد الشام واستقرارهم بها ، وجدوها فرصة سانحة لكي يمارسوا جرائمهم من جديد، ولكن هذه المرة ضد بعضهم البعض[٢].

وبالمقارنة بين العوامل الطبيعية والعوامل الشخصية التي وقفت وراء جريمة القتل، فالعوامل الطبيعة كان تأثيرها محدودًا وفي أوقات معينة كانت تدفع أولئك المجرمين لارتكاب جرائمهم، أما العوامل الشخصية فكانت أكثر تأثيرًا في انتشار جريمة القتل، والتأثير على المجرمين بصورة كبيرة حتى يقوموا بتلك الجرائم، فقد لازمتهم صفة الإجرام حتى مع استقرارهم فى بلاد الشام وبعدهم عن وطنهم الأم في الغرب الأوربي، وجاء نسلهم مكملاً لهم فكانوا قتلة آخرين، تتطبعوا بصفات آبائهم على الرغم من تغير مستوى معيشتهم في بلاد الشام عن وضع آبائهم الاقتصادي في الغرب الأوربي.

ويعد الدافع السياسي من الدوافع التي كان لها باع طويل في تفشي القتل داخل المجتمع الصليبي، فمصطلح الاغتيال السياسي يعني التخلص من الأشخاص والجماعات لدوافع سياسية مرتبطة باختلاف في الفكر والأيدلوجية عند الأفراد والجماعات[٣] ، ولذلك كان تأثير الدافع السياسي داخل المجتمع على جانب كبير من الأهمية، تلك التي جعلت الملوك والنبلاء الصليبيين يشتركون فيها.

وكان من أهم دوافع جريمة القتل داخل المجتمع الصليبي ببلاد الشام، الصراع بين رجال الدين ورجال السياسة، ومحاولات رجال الدين المستمرة التدخل فى شئون الحكم، وتخليهم عن دروهم الديني فى وعظ وإرشاد الرعية، بل ولجوؤهم إلى استخدام القتل فى التخلص من رجال السياسة[٤]، بل وصل الأمر إلى حد انتشار ظاهرة فوضى القتل، فقد أصبحت جريمة القتل من عادات الصليبيين لتصفية الخلافات فيما بينهم، حتى لقد اعتبرها بعض مؤرخيهم من أسباب هزيمة الصليبيين في معركة حطين ١١٨٧م/٥٨٢هـ، وكان ذلك لكثرة إراقة الدماء بين صفوف

---

(١) Joseph Francais Michaud, History of The Crusades, New York, ١٨٥٥, p٢٦٨, Conder, The Latin Kingdom, p٢٥.

(٢) ميخائيل زابوروف، الصليبيون في الشرق، ص١٥٧.

(٣) أحمد عبد القادر الشاذلي، الاغتيالات السياسية في إيران، العربي للنشر والتوزيع، ط. القاهرة، ١٩٩٧م، ص٥.

(٤) Ralph Bailey Yewdale, Bohemond I Prince of Antioch, Princeton, ١٩١٧, p٩٣.

الصليبيين[١]، وغيرها من الدوافع الأخرى التى سوف ترد فى هذا الفصل.

وفيما يخص القتل كوسيلة لتصفية الخلافات السياسية، فقد بدأت تلك الجرائم مع بداية تواجد الصليبيين بالمنطقة، ومنها ما قام به بلدوين الأول Baldwin I de Bouillon في مدينة الرها Edessa، فعندما تقدمت الجيوش الصليبية تجاه بلاد الشام، انفصل بلدوين بجيشه واتجه إلى بلاد العراق، حيث مدينة الرها الأرمينية، وكان يحكم المدينة رجل يدعى ثوروس Toros[٢] أو ابن هاتيم Hetرَحِمَهَاٱللَّهُum[٣]، وقد رحب ثوروس ببلدوين واتخذه وريثًا له في الحكم واشركه معه، غير أن الخلافات سرعان ما دبت بين الطرفين عقب عودة بلدوين من حملته من مدينة سمسياط.

وقد استغل بلدوين كره الأهالي وزعماء الأرمن لثوروس، فقام بتحريكهم ضده وإن كان الوضع لا يحتاج لمحرك ضد ثوروس، فقد كان شخصية مكروهة[٤]، ويضاف إلى تلك العوامل عداء قسطنطين بن روبين[٥] أمير جرجر[١] لثوروس، والذي قام

---

(١) مجهول، كتاب حملة الملك ريتشارد إلى أراضي القدس المقدسة، ت. سهيل ذكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج٣١، ط. دمشق، ١٩٩٥م، ص٢٠.

(٢) **تورس أو ثوروس:-** هو أحد رجال فيلاريتوس زعيم جماعات الأرمن، حكم مدينة الرها بالنيابة عن الإمبراطورية البيزنطية، وفي عام ١٠٩٥م/٤٨٨هـ استقل بالمدينة، وارتضى بوجود قلعة الرها تحت حماية السلاجقة، وبعد طردهم قام بتقوية حصونه وقلاعه، وعمل على تقوية جيش مدينته، غير أنه سرعان ما أصبح غير مرغوب في إمارته، بسبب ضخامة الضرائب التي قام بفرضها على سكان المدينة، انظر:-

The Crusades An Encyclopedia, ed. Alan V. Murray, ٤vlos, Oxford, ٢٠٠٦, pp ١١٨٥-١١٨٦.

سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص.ص١٤٦-١٤٧.

(٣) روايات ميخائيل السورى، ص١٨٥.

(٤) محمود الرويض، محمد سالم الطراونة، " دور الأرمن في تأسيس إمارتي الرها وأنطاكية الصليبيتين (٤٩٠-٤٩١هـ/ ١٠٩٧ – ١٠٩٨م)"، حوليات آداب عين شمس، المجلد: ٣٠، يوليه – سبتمبر ٢٠٠٢م، ص١٩٤.

(٥) **قسطنطين بن روبين:-** كما تدعوه الحوليات الأرمينية، وهو ابن روبين ملك الأرمن، فقد كان حاكم ناجحا لإمارته، وكان أميرًا شجاعا وذا نخوة، وكان مقر إقامته بمقاطعته يحكم من خلالها أملاكه، وقد خاض في سبيل الحفاظ على إمارته العديد من الحروب، واستولى على كثير من الحصون والقلاع المختلفة المواقع، بل وصلت قوته إلى هزيمته للجيوش البيزنطية وأخذه العديد من الأسرى، ثم دخل في تحالفات مع الصليبيين ضد السلاجقة، وقد عمل على إعادة إعمار إمارته وإصلاح ما أخربته حروبه المستمرة، وتوفي عام ١١٠٠م/٤٩٤هـ انظر:-

Vahrm's, Chronicle of The Armenian Kingdom in Cilicia during The Time of The= =Crusades, Trans: Charles Fried, "Neumann", London, ١٨٣١, p.p ٢٨-٢٩.

بتـدبير مـؤامرة ترمـي إلى عزلـه، وعـلى الـرغم مـن علـم بلـدوين بتلـك المـؤامرة، غـير أنـه لم يحـرك سـاكناً، ولم يقـدم المسـاعدة لثـوروس عنـدما هاجمـه الثـوار وفتكـوا بـه في ٧ مـارس ١٠٩٨م/ ٢ ربيـع الأخـر ٤٩١هـ، فقـد حـاول ثـوروس الهـرب مـن الثـوار، إلا أن سـهامهم نالـت منـه[٢]، وروايـة أخـرى تقـول إنهـم سـحلوا جثمانـه في الشـوارع وقطعـوا رأسـه[٣]، إلا أننـا لا يمكـن أن نـبرأ بلـدوين تمامًـا مـن تهمـة المشـاركة ولـو بنصـيب محـدود في تحـريض الثـوار، أو عـلى الأقـل مـن تهمـة التفـريط في حيـاة ثـوروس، وعـدم القيـام بواجبـه كـاملا في حمايته، وبعد ذلك تولى هو حكم الإمارة[٤].

وعلى الرغم من اختلاف الروايات التاريخية حول مقتل ثوروس حاكم الرها، إلا أنها أجمعت على أن بلدوين كان له نصيب كبير في تلك الجريمة، بل أنه كان المحرض الأول لها، خاصة بعدما جعله ثوروس خليفة له في الحكم، بل إن بلدوين هو القاتل الحقيقي لثوروس، وذلك طمعًا منه في الفوز بحكم الرها، وتأسيس إمارة صليبية بها، وذلك على الرغم من عدم اشتراك بلدوين في مهاجمة ثوروس، إلا أنه لم يقم بتحذيره أو الدفاع عنه في الوقت الذي علم فيه بتدبير مؤامرة لقتله.

أما عـن جـرائم القتـل التـي كانـت تـتم بـدافع التبعيـة، فمنهـا مـا حـدث عنـدما تـولى برتـرام Bertrand of Tripoli (١١٠٩-١١١٢م/ ٥٠٢-٥٠٥هـ)[٥] حكـم إمارة طرابلس، و عمل على تأكيد تبعيته لملك بيت المقدس، وفي الوقت نفسه تناسى وعوده العريضة للإمبراطور

---

(١) مدينة جرجر أو كركر:- وهي عبارة عن حصن كبير تقع بالقرب من ملطية بينها وبين آمد، ويقع بالقرب منها حصن الران، وكركر أيضا حصن بين سميساط وحصن زياد، انظر:- ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ط. بيروت ١٩٧٩م، ج٤، ص ٤٥٢-٤٥٣.

(٢) وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص٢٦٣.

(٣) علية الجنزوري، إمارة الرها، ص ٦٩، انظر الملحق ص٢٠٨..

(٤) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص.ص١٥٠،١٤٩،الباز العريني، الشرق الأوسط، ص٢٣٠، محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في الشرق والغرب، دار الغرب الإسلامي، ط. الدار البيضاء، ١٩٨٢م، ص٥٧،٥٦.

(٥) برترام: هو الأبن الأكبر لريموند دى سنجيل، كونت تولوز، فقد ترك والده جميع ممتلكاته فى تولوز للمشاركة في الحملة الصليبية الأولى، وعندما توفى ريموند ورث برتراند ملكه عندما قدم إلى مدينة طورطوسة بمصاحبة الأسطول الجنوى عام ١١٠٩م/٥٠٣هـ وطالب بحقوقه في أملاك أبيه في إمارة طرابلس، فأخذ نصف أملاكه منحة من الملك= =الصليبي بلدوين الأول ملك مملكة بيت المقدس، وأمتدت سيطرته لحدود جبال لبنان، وجبال النيصرية، وتوفى في يناير عام١١١٢م/٥٠٦هـ وتولى بعده أبنه بونز حكم إمارة طرابلس، للمزيد عنه أنظر:

Alan, The Crusades An Encyclopedia, p١٦٥,

البيزنطي ألكسيوس كومنين Alexius Comnena(١) (١٠٨٠-١١١٨م / ٤٧٢-٥١١هـ) عندما كان في ضيافته بالقسطنطينية. فبينما تولى برترام حكم طرابلس، استولى وليم جوردان William of Jordan(٢) على أنطرطوس(٣) وعرقة(٤)، وبذلك يكون قد تقطع أوصال الإقليم الواحد، مع ما نتج عنه من حزازات بين الجانبين، يضاف إلى ذلك اختلاف اتجاه الحكامين وتوزيع ولائهما توزيعاً متضاداً، فبينما اعترف برترام أمير طرابلس بالتبعية لملك بيت المقدس، إذا بوليم جوردان صاحب أنطرطوس وعرقة، يقدم ولاءه لأمير أنطاكية، وقد كانت جميع تلك الظواهر

---

(١) ألكسيوس الأول كومنين: ولد حوالى عام ١٠٥٧م/٤٤٩هـ، وهو الابن الثالث لرجل نبيل يدعى جون كومنين وزوجته أنا دالاسين Ana Dalassene، وقد خدم في الجيش البيزنطى كجنرال تحت حكم الإمبراطور ميخائيل السابع دوكاس Micael VII Docas (١٠٧١-١٠٧٨م/٤٦٤-٤٧١هـ)، ونقفور الثالث بوتانياتس Nicephor III Potaniates (١٠٧٨-١٠٨١م/٤٧١-٤٧٤هـ)، وبعد ذلك قام بثورة عليه وتولى الحكم في عام ١٠٨١م/٤٧٤هـ، كما تلقى دعم أسرة دوكاس حيث تزوج من إيريني دوكاس Irene DouKania عام ١٠٧٨م/٤٧١هـ، وقام بتطوير نظام الحكم في الإمبراطورية، وقام بتركيز القوى في يد العائلات الأرستقراطية التي تنتمى له بصلة قرابة، وكافأهم على دعمهم له، وقد توفى في ١٥ أغسطس ١١١٨م/٥١٢هـ، للمزيد من التفاصيل عن حياته، انظر:

Alan, The Crusades An Encyclopedia, p.p ٤٥-٤٦, Oman, The Byzantine Empire, London, ١٨٩٢, pp ٢٥٦-٢٦٩, Edward Foord, The Byzantine Empire, London, ١٩١١, p.p٣٣١-٣٤٤.

(٢) وليم جوردان:- هو ابن عم ريموند صنجيل، ووريثه في ممتلكاته ببلاد الشام، فقد صحب ريموند خلال أحداث الحملة الصليبية الأولى، وظل متواجد معه حتى مقتله في حصار مدينة طرابلس عام١١٠٥م/٤٩٩هـ وتم إرسال ابن ريموند ألفونسوا جوردان إلى إمارة أبيه صنجيل بالغرب الأوربي، وورث وليم أملاك ريموند ببلاد الشام، غير أن وليم جوردان دخل في صراع أخر مع برتراند، الذي إمتلك القوة والمال، والذي وصل للساحل الشامي عام ١١٠٩م/٥٠٣هـ، وطلب وليم جوردان الدعم من تنكرد أمير طرابلس، وتدخل الملك بلدوين الأول ملك مملكة بيت المقدس الصليبية لفض ذلك النزاع الذي إشتد بين الطرفين، وأعطى أنطرطوس وعرقة لوليم جوردان، وأقطع برتراند بعض الأقاليم الأخرى، للمزيد من التفاصيل، انظر:-

Richard (J), Le Conte de Tripoli Sous La Dynastie Toulousaine, Paris, ١٩٤٥, p٦١-٦٥, Alan, The Crusades, An Encyclopedia, p ١٢٧٩,

السيد عبد العزيز سالم، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، ط. الإسكندرية، ١٩٦٦م، ص ١٤١-١٤٦.

(٣) أنطرطوس:- وهى بلدة تقع على سواحل بحر الشام، وهى من أعمال دمشق من البلاد الساحلية، وأول أعمال مدينة حمص، وتعد أيضاً من أعمال مدينة طرابلس المطلة على البحر في شرقي عرقة وبينهما ثمانية فراسخ، وتمتلك المدينة برجين شديدي الحصانة مثل القلعة، انظر:- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٢٧٠.

(٤) عرقة:- وهى بلدة تقع شرقي مدينة طرابلس وبينهما أربعة فراسخ، وهى أخر أعمال دمشق، وتقع في سفح جبل،بينها وبين البحر نحو ميل، ويقع على جبلها قلعة حصينة تابعة لها، وتعد من العواصم تقع بين رفنية وطرابلس، انظر:- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج٤، ص١٠٩.

وغيرها لا تبشر بخير، وأنذرت بالصدام بين الرجلين، غير أن القدر لم يمهل وليم جوردان، فقد تم اغتياله، واختلفت المصادر في ذكر طريقة قتله، فقيل إنه قتل بسهم أطلق بالمصادفة ودون تدبير[1]، بيد أحد رجاله في ظروف غامضة وذلك في عام ١١٠٩م، ٥٠٣هـ، وقد أشارت إليها المصادر الصليبية إشارة مقتضبة غير واضحة[2].

وقد عدت جريمة قتل وليم جوردان من الجرائم التي لم يوجد لها تفسير، وخاصة في فترة صراعه مع برترام حول أمر التبعية، ومما زاد من غموض تلك الجريمة، أن المصادر الصليبية لم تمدنا بالمعلومات الكافية عن تلك الجريمة،غير أن ذلك لا ينفي التهمة عن برترام كليًا، فمن مصلحته التخلص من وليم جوردان، حتى يستولي على أملاكه، وتكتمل سيطرته على إمارة طرابلس، وحتى لا ينازعه أحد في ملكه.

ويضاف إلى ذلك، أن العلاقة بين مملكة بيت المقدس والإمارات الصليبية ببلاد الشام لم تأخذ شكلها النهائي من حيث تبعية الإمارات للمملكة، مما أدى إلى توزيع ولاء صغار الأمراء الصليبيين بين كل من حكام الإمارات الصليبية وبين ملك مملكة بيت المقدس، فأدى ذلك إلى حدوث صدامات فيما بينهم، وبالتالي حدوث خلل في الجانب السياسي.

ومن حوادث القتل السياسي الشهيرة، جريمة قتل ميلون دي بلانسي Milon de Plancy (١١٧٤م/٥٦٩هـ)[3]، فقد تم اختيار ميلون وصيًا للعرش على الملك الصليبي القاصر بلدوين

---

(١) هامش رقم ٢، السيد عبد العزيز سالم، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، ط. الأسكندرية، ١٩٦٦م، ص.ص ١٤١-١٤٦، سعيد عاشور ,الحركة الصليبية ج١,ص ٣٠ , أنظر الملحق ص٢٠٩.

(٢) السيد عبد العزيز سالم، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، ط. الإسكندرية، ١٩٦٦م، ص.ص ١٤١-١٤٦،سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٣٠٢، أنظر الملحق ص.

(٣) **ميلون دي بلانسي:-** هو من مواليد شمبانيا بفرنسا، وذهب إلى بلاد الشام عام ١١٦٠م/٥٥٤هـ، واشترك في حملات الملك الصليبي عموري الأول على مصر، وفي عام ١١٧٣م/٥٦٨هـ، تزوج من ستيفاني أرملة همفري الثالث أمير طورون، وفي ١١ يوليو ١١٧٤م/ ١٠ ذى الحجة ٥٦٩هـ، توفي الملك عموري الأول، وخلفه ابنه بلدوين الرابع حيث كان طفلاً وعين ميلون واصيًا عليه، مما جعله محط أحقاد الآخرين من الأمراء، وقد قام= =بقيادة الأسطول الصليبي الذي بعث به وليام الثاني من صقيلة لمحاصرة مدينة الإسكندرية، غير أن منصب الوصي على العرش جعله يدخل في صراعات شرسة مع بقية أمراء البيت الصليبي، للمزيد من التفاصيل انظر:- وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج٤، ص١٧٩.

Bernard Hamilton, " Miles of Plancy and the fief of Beirut ", in *The Horns of Hattin*, Benjamin Z. Kedar (ed.), Jerusalem, ١٩٩٢, p. ١٣٦-٤٦.

الرابع ١١٧٤م/٥٦٩هـ، وعندما تولى المنصب أظهر ازدراءه لبارونات المملكة حتى لمن علاه قدرًا منهم ولم يقيم لهم وزنًا[١]، ونتيجة لذلك تعرض ميلون لمناوأة الحزب المعارض، ونشأت عداوة خطيرة بين هذا النبيل وبين بعض بارونات المملكة، ورفضوا التعاون معه ولم يجتمعوا به واحتقره الجميع[٢]، فقد كان رجلاً متغطرسًا، وعندما أراد التغلب على غيرة الأمراء الآخرين منه، رجع إلى نكرة من غمار الناس يدعى روهارد حارس قلعة القدس، وتظاهر بأنه يمتثل لتوجيهات هذا الرجل التافهة[٣]، واستأثر بالسلطة والإشراف على شئون المملكة تماماً[٤]، ثم لم يلبث أن ظهر معارض قوي لميلون وهو ريموند الثالث أمير طرابلس، والذي كان أسيراً لدى نور الدين محمود من سنة ١١٦٤م/٥٥٩هـ، وحتى عام ١١٧٢م/٥٦٧هـ، ثم تم الإفراج عنه، واستغل محبة الأمراء له في المطالبة بأحقيته في الوصاية على ملك بيت المقدس بلدوين الرابع[٥].

ونتيجة لسياسة ميلون الخاطئة، حيث كان يقوم بتصريف شئون المملكة حسب هواه، كما أنه كان يوزع الإنعامات وفق ما شاء، مما أثار بذلك سخط الكثيرين عليه ونقمتهم له، حتى وصلت الأمور إلى طريق مسدود[٦]. نتيجة لذلك تأمر البعض سرًا للقضاء عليه، وعندما علم بتلك المؤامرة لم يهتم واستمر في تصرفاته الطائشة، وفي أحد الأيام وبينما هو يسير في أحد شوارع مدينة عكا الصليبية، طعنه شخص مجهول طعنة نافذة أودت بحياته وذلك في خريف عام ١١٧٤م/ ٥٧٠هـ، وقد اختلفت الآراء في سبب مقتله، فهناك رأي يقول إنه قتل بسبب ولائه الشديد للملك بلدوين الرابع، ورأي أخر يقول إنه قتل بسبب أنه كان يرتب في السر الخطوات للاستيلاء على زمام السلطة الملكية، حتى أشيع أنه أرسل إلى أقربائه في فرنسا لكي يحضروا إلى

---

(١) وليم الصوري، المصدر السابق، ج٤، ص ١٧٩

Natasha Hodgson, Women, Crusading And the Holy Land in Historical Narrtive, Woodbridge, ٢٠٠٧, p٧٨.

(٢) عبد الحفيظ محمد، مشكلات الوراثة، ص١٠١.

(٣) وليم الصوري، المصدر السابق، ج٤، ص ١٧٩.

(٤) سعيد السيد علي فرغلي، آل كورتناي ودورهم في الصراع الإسلامي الصليبي، رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٢م، ص١٩٤.

(٥) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص ٥٨٠.

(٦) وليم الصوري، المصدر السابق، ج٤، ص ١٨٠.

مملكة بيت المقدس الصليبية، حتى يكونوا عونًا له في تنفيذ رغباته(١).

وبتحليل تلك الجريمة، يرجح أن سبب مقتل ميلون هو استئثاره بالسلطة، وسوء استخدامها، وفيما يبدو أن منصب الوصي على عرش مملكة بيت المقدس الصليبية، كان يغري الأمراء الصليبيين بفعل أي شيء من أجل الفوز بهذا المنصب، حتى ولو كان ذلك الشيء هو ارتكاب جريمة القتل لإزاحة المنافسين لهم عن الساحة، ويضاف إلى ذلك مساعدة ميلون لقاتليه في تنفيذ جريمتهم، من خلال عدم اتخاذه لنفسه حراسة تحميه من غدر أعدائه، فربما تصور أنه لن يستطيع أي من معارضيه إصابته بأي أذى.

وبمقتل ميلون قام ريموند الثالث بالوصاية على مملكة بيت المقدس الصليبية وملكها الصغير(٢)، غير أن قضية مقتل ميلون لم تنته عند هذا الحد، فلقد سارعت ستيفاني Stephanie وريثة وادي عربة Iduinee(٣)، وأرملة ميلون دي بلانسي، باتهام ريموند الثالث Raymond III of Tripoli(١١٨٧م/٥٨٢هـ)(٤)، بالوقوف وراء اغتيال زوجها، ومع أن هذا الاتهام مبني

---

(١) وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج٤، ص ١٨٠، عبد الحفيظ محمد، مشكلات الوراثة، ص١٠، انظر الملحق.

(٢) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٥٨٠.

(٣) وادى عربة:- أو عرابة بفتح أوله وتشديد ثانيه، وهى من أعمال عكا بالساحل الشامي، ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ط. بيروت ١٩٧٩م، ج٤، ص٩٢.

(٤) ريموند الثالث:- هو أمير إمارة طرابلس وطبرية، ونائب الملك الصليبي لفترتين (١١٧٤-١١٧٦م/ ٥٦٩-٥٧١هـ) ومن (١١٨٥-١١٨٦م/٥٨٠-٥٨١هـ)، وهو ابن لريموند الثاني أمير طرابلس وهويدرنا أخت الملكة مليزندا ملكة مملكة بيت المقدس الصليبية، وقد تولى الحكم فى إمارة طرابلس عام ١١٥٥م/٥٤٩هـ، ثم وقع في أسر نور الدين محمود عام ١١٦٤م/ ٥٥٩هـ عندما كان يهاجم مدينة أرتاح، وظل في الأسر مدة ثمان سنوات، في حين كانت إمارته واقعة تحت سيطرة الملك الصليبي عموري الأول، وبعد أن تم إطلاق سراحه في أوائل عام ١١٧٤م/٥٦٩هـ تزوج من إسشيفا Eschiva ، أرملة والتر أوف سانت أويمر Walter of Saint Omer، وفي ربيع عام ١١٨٠م/٥٧٥هـ، توجه كل من ريموند الثالث بصحبته بوهيموند الثالث أمير أنطاكية بجيوشهما نحو= =مملكة بيت المقدس من أجل تدعيم الملك الصليبي بلدوين الرابع،وتوفي عام ١١٨٧م/ ٥٨٣هـ للمزيد من التفاصيل عن حياته، انظر:-=

Baldwin, Raymond III of Tripoli and The Fall of Jerusalem (١١٤٠-١١٨٧), Princeton: Princeton University Press, ١٩٣٦, p٥٤. Hamilton, Bernard, The Leper King and His Heirs: Baldwin IV and The Crusader Kingdom of Jerusalem, Cambridge, ٢٠٠٠, p٦٤.

على العداوة المستمرة التي كانت قائمة بين الرجلين، إلا أن هناك احتمال آخر وهو ذهاب ميلون ضحية عدم الاعتراف بالجميل ونتيجة لغضب سادة بيروت عليه، فعندما كان ميلون أسيراً قام الأمراء ببيع إقطاعياتهم من أجل إطلاق سراحه، ويبدو أن ميلون جريًا على عادته في التكبر ونكران الجميل والغرور لم يأبه بهم ولا بصنيعهم له، مما دفعهم للانتقام منه(١).

ومن الجدير بالذكر أن عدم وجود دليل مادي يدين أحد بقتل ميلون، أدى إلى عدم معرفة قاتله، بالإضافة إلى إلحاق تهمة قتله بمعارضيه دون بينة.

وقد شهد القرن الثالث عشر الميلادي- السابع الهجري، من جرائم القتل، حيث تدهورت وانعدمت العدالة، فقد كانت دائمًا بجانب الأقوى، لذا فقد انتشر الظلم في غياب الحق والعدالة، وسيطرة رجال الكنيسة ورجال الدين، وتبعيتهم للبابا الذي كان يأمر بفرض الضرائب الباهظة التي كانت تعود للكنيسة في نهاية الأمر، وشهدت تلك الفترة انتشار الفساد والقهر(٢)، ويتضح من ذلك أن تلك الأوضاع التي مرت بها الإمارات الصليبية ببلاد الشام، كانت نتيجة حتمية لانهيار الأوضاع السياسية بداخل تلك الإمارات، وضعف قبضة السلطة المركزية.

ومن أشهر تلك الجرائم ما حدث عام ١٢١٩م/٦١٥هـ، للأميرة ستيفاني ابنة ليو الأول الأرميني Leo I of Armenia(١١٩٨-١٢١٩م/٥٩٤-٦١٦هـ)(٣)، فقد تزوجها جون أوف

---

(١) محمد مهيوب، الاغتيالات، ص١٨٨.

(٢)Annales des Terre Sainte, ١٠٩٥-١٢٩١, Edited By: Gaston Raymoud, Paris, ١٨٨٤, p٤٤٥.

(٣) ليو الأول الأرميني: نجح ليو الأول الأرميني كأحد أمراء أخيه روبين الثالث الذي كان قائدا عاما على كاليكيا الأرمينية، وقد نجح في حماية بلاده من اعتداءات السلاجقة المستمرة، وقد استطاع مد نفوذ إمارته غربًا فيما وراء سلوقية، وشمالا فيما وراء بوابات كاليكيا، وقد اهتم بتعمير إمارته، وأقام بها العديد من المشروعات، وقد قام= =بمفاوضة الإمبراطور فردريك برباروسا، إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة، من أجل أن يقوم بتتويجه رسميًا على بلاده، أثناء عبور فردريك بربروسا كاليكيا، غير أن مشروعه باء بالفشل نتيجة وفاة فردريك أثناء عبوره أحد انهار كاليكيا عام١١٩٠م/٥٨٦هـ وذلك أثناء مشاركته بالحملة الصليبية الثالثة (١١٨٩-١١٩٢م/٥٨٥-٥٨٨هـ)، وقد قام ليو بإرسال فرق عسكرية شاركت في حصار مدينة عكا خلال أحداث الحملة الصليبية الثالثة، وذلك من أجل مشاركة إخوانه الصليبيين على الرغم من الخلافات التي وقعت بينه وبين أمير أنطاكيا وجماعة الداوية، وفي ٦ يناير ١١٩٨م/٢٧ صفر ٥٩٤هـ تم تتويجه ملكًا في طرسوس بواسطة الأرمن الكاثوليك في حضور بطاركة السريان الأرثوذكس، ومبعوث البابوية، ومستشار الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس الثالث أنجيلوس، للمزيد من التفاصيل، انظر:-

برين John of Brienne عام ١٢١٤م/ ٦١٠هـ، وكان عنده ابنة تدعى يولاند، وكان جون هو الوصي عليها حتى تبلغ السن القانونية لتولي العرش، غير أن ستيفاني أثبتت أنها زوجة أب سيئة، فقد عاملت الطفلة يولاند بقسوة، بل وحاولت وضع السم لها للتخلص منها، وعندما علم جون ذلك أخذ يبرح ستيفاني ضربًا لمحاولتها قتل ابنته حتى ماتت على أثر ذلك[١].

ويرجح مما قام به جون مع زوجته ستيفاني أنه كان شديد القسوة، نظرًا لكبر سنه مقارنة بزوجته صغيرة السن، ويظهر مدى تعلق جون بابنته يولاند، حتى أنه لم يتحمل معاملة زوجته القاسية لها، فأوسعها ضربًا حتى الموت، ولم يضع في حساباته أي اعتبار لما قد يجره ذلك من خلافات خارجية بين المملكة الصليبية والأرمن.

وكما قتل ريموند بن بوهمند الرابع أمير طرابلس، ننبه في البداية إلى أن سياسة بوهمند بعدما تسلم حكم الإمارة كانت تجنح إلى السلم والهدوء، غير أن حادث مقتل ولده كان له تأثير في تعكير صفو حياته، فلقد أقدمت جماعة الحشاشين على اغتيال ريموند بن بوهمند الرابع وذلك عام ١٢١٣م/ ٦١٠هـ، في كاتدرائية العذراء المباركة بأنطرطوس[٢]، وبذلك اتخذت الحرب الدائرة بين الصليبيين والإسماعيلية منعطفًا خطيرًا بعد تلك الجريمة[٣]، وعلى الرغم من أن المصادر لم تشر إلى السبب الرئيسي وراء تلك الجريمة، إلا أنه يبدو أن جماعة الإسبتارية وراء تلك الحادثة[٤]، لما كان بينهم وبين بوهمند الرابع من عداء واضح[٥]، وتجدر الإشارة إلى أن الإسبتارية قد لوحوا للإسماعيلية بإعفائهم من الجزية المفروضة عليهم في مقابل قتل ريموند بن بوهمند الرابع[٦]، وعلى الرغم من ذلك فقد آثر بوهمند أن ينتقم من الحشاشين، وألا يسعى للنيل ممن حرضهم على ما فعلوه وبخاصة أنه لم يكن لديه أي دليل يؤكد شكه فيهم[٧].

Alan, Encyclopedia, p٧٢٢, Nersessian, The Kingdom of Cilician Armenia, in Setton, Vol. ٢, London, ١٩٦٩. p.p ٦٤٤-٦٥١.

(١) رنسيمان، الحملات الصليبية، ج٣، ص١٨٠، انظر الملحق ص ٢١١.

(٢)أولفر أوف بادربورن، الاستيلاء على دمياط، ت. سهيل ذكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج ٣٤، ط. دمشق، ١٩٩٨م، ص٦٩، نهى فتحي، إمارة طرابلس، ص٧٢.

(٣) محمد مهيوب، الاغتيالات، ص٢٠٠، عثمان عبد الحميد، الإسماعيليون في بلاد الشام، ص١٧٦.

(٤) أسامة زكي، الصليبيون وإسماعيلية الشام، ص٢٣٦، رنسيمان، المرجع السابق، ص١٨٤.

(٥) نهى فتحي، إمارة طرابلس، ص٧٢.

(٦)نهى فتحي، المرجع السابق، ص ٧٣، أنظر الملحق ص ٢١٢.

(٧) نهى فتحي، المرجع السابق، ص٧٣، أنظر الملحق، ص

ومن الملاحظ أن الصراع تطور بشكل واضح بين الفرق الدينية الصليبية وأمراء الصليبيين، فقد حاولت تلك الفرق الاستقلال بشئونها عن غيرها من القوى السياسية، بل وتطور الوضع بها إلى الخروج على تعاليمها واستخدام العنف في البطش بخصومها، حتى لو أدى إلى ارتكابهم الجرائم، ولو باستخدام عناصر الحشاشين في البطش بأعدائهم حتى ينفوا التهمة عنهم، ويضاف إلى ذلك قوة المال حيث كان لها تأثير كبير على العناصر المتنازعة داخل المجتمع الصليبي.

كما نكب بوهمند في ابن له آخر مات مسموماً بسبب الخلافات السياسية، ففي خريف عام ١٢٢٥م/٦٢٢هـ، أضطر بوهمند الرابع أمير طرابلس (سلطان سلاجقة الروم) إلى مصالحة علاء الدين كيقباذ (١٢١٩م-١٢٣٧م/٦١٥-٦٣٤هـ) بعد طول عداء[١]- الذي كان يتحين الفرص للتوسع على حساب جيرانه الأرمن- واتفق معه على مهاجمة الأرمن، فبدأ كيقباذ في غزو قليقية معتديًا على كل سكان السهل، واستولى على أربعة حصون، رغم حصول قسطنطين[٢] ملك الأرمن على مساعدة الإسبتارية والتيتون، فأرسل قسطنطين إلى بوهيمند كي يأتي لأخذ ابنه من

Joseph Francais Michaud, History of The Crusades, New York, ١٨٥٥, p١٩٠.

(١)علاء الدين كيقباذ:- هو ابن السلطان كيخسرو الأول، وتولى بعد وفاة أخيه كيكاوس الأول(١٢١١-١٢١٩م/٦٠٨-٦١٦هـ)، وقد امتاز عهده بالرفاهية وزيادة العمران وتطور التجارة وتنمية الصناعة وتقدم الزراعة، فاستطاع أن يجعل من مملكته أغنى الممالك، وكان ذلك بسبب سياسته العسكرية الراجحة ودبلوماسيته المتفوقة، فقد مد حدود مملكته حتى الشاطئ الجنوبي للأناضول، حتى الساحل المواجه لجزيرة قبرص، وأقام مقره الرئيسي في موضع اسمه العلايا، وقد اهتم بقوته البحرية، حيث أنشأ أسطولاً قويًا، هاجم به كريميا ١٢٢٥م/٦٢٢هـ في الوقت نفسه الذي أرسل فيه جيشًا لأرمينيا في الشرق، انظر:

مجهول، أخبار سلاجقة الروم، من مؤلفات القرن السابع الهجري، ترجمة: محمد السعيد جمال الدين، المركز القومي للترجمة، ط. القاهرة، ٢٠٠٧م، ص.ص ٢- ٢٤٥، زبيدة عطا، بلاد الترك في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، ط. القاهرة، ب.ت، ص١٢٠، يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ت. عدنان محمود سلمان، المجلد الأول، مؤسسة فيصل للتمويل، أستنابول، ١٩٨٨م، ص٧٢.

(٢) قسطنطين:- بعد اغتيال أتان Atan تم تعيين قسطنطين نائبًا للملك في مايو عام ١٢١٩م/٦١٦هـ، ثم بتتويج ابنة أتان إيزابيلا ملكة على أرمينيا، والتي كانت وريثته الوحيدة، وعند زواج قسطنطين من العائلة المالكة، اعترف به البارونات ملكا شرعيا على البلاد، وأقسموا له يمين الولاء والطاعة، غير أنه سرعان ما دبت الاضطرابات في أنحاء مملكته، فقد دخل في= صراعات مستمرة مع سلاجقة الروم بآسيا الصغرى، ومع الصليبيين بإمارة أنطاكية، وتوفي قسطنطين عام ١٢٢٣م/٦٢٠هـ، وخلفه ابنه هيثوم في وراثة العرش، للمزيد من التفاصيل انظر:-

Vahrm's, Chronicle of The Armenian Kingdom in Cilicia during The Time of The Crusades, Trans: Charles Fried, "Neumann", London, ١٨٣١, p.p ٤٦-٤٧.

قلعة العمودين[1]، وعندما وصل بوهيمند إلى تل حمدون أبلغه الرسل بأنه لا جدوى من ذلك، فقد أمر قسطنطين بدس السم لفيليب بن بوهمند الذي مات بعد ذلك بقليل[2].

وتجدر الإشارة إلى أنه كان لتضارب المصالح الصليبية الأرمينية أثره في المجتمع الصليبي، فقد أثر العلاقات بين الطرفين، حتى اضطر كل من الطرفين أن يستخدم سلاح القتل للتخلص من الطرف الأخر حفاظًا على مصالحه.

وفي عام ١٢٤٤م/٦٤٢هـ، كان لمعركة غزة الثانية أثر كبير على المجتمع الصليبي، فعندما تمكن الخوارزميون من استعادة بيت المقدس من الصليبيين، أدى ذلك إلى غضب البابا في روما على ملك الصليبيين كونراد ابن فردريك الثاني وذلك لفشله في الحفاظ على مملكة بيت المقدس، لذلك أرسل البابا إليه جماعة كي يغتالوه نتيجة لتخاذله، غير أن الملك الصليبي عرف الأمر، واحتاط لذلك فأجلس مكانه شخصاً أخر فاغتالوه، وتمكن الملك الصليبي من اعتقالهم وصلبهم جزاء عملهم الإجرامي[3].

وكان للأحداث التي نتجت عن معركة غزة آثار خطيرة على المجتمع الصليبي، ومنها استرداد المسلمين لبيت المقدس مرة أخرى، مما أدى إلى سلوك البابوية مسلك المجرمين في التعامل مع تلك النتائج الخطيرة، وهو الإقدام على قتل ملك الصليبيين نتيجة لما ضاع منه.

أما فيما يتعلق بتفشي القتل في المجتمع الكنسي، فيلاحظ أن توجهات رجل الدين اختلفت تماماً عن هدفهم الأصلي وهو وعظ الصليبيين أثناء رحلة حجهم، إلا أننا نجد البابا يتآمر على قتل أحد الأمراء من أجل الفوز بمنصب دنيوي، ومن أجل فرض السلطة الكنسية على المجتمع الصليبي، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على انحراف تام عن الأهداف الأساسية لرجل الدين كما يعد خروجًا عن المسار المحدد له.

ومثال ذلك ما حدث مع بلدوين أمير الرها، عندما تحالف كل من الأمير تنكريد ومبعوث البابوية دايمبرت من أجل منع بلدوين من الوصول إلى مدينة بيت المقدس، من أجل إعتلاء

---

(١) قلعة العمودين أو العمادية:- هى قلعة تقع على ثلاث مراحل من الموصل من الشرق والشمال، وهي جبل من الصخر في الوطأة، وتحتها مياه جارية، وهي في جهة الشمال من أربل، انظر:- أبو الفداء، تقويم البلدان ، تحقيق رينود ، ماك كوكين ديسلان ، ط. باريس ١٨٤٠م، ص٣٥٠.

(٢) حسين عطية، إمارة أنطاكية، ص٣٢١، انظر الملحق، ص ٢١٠.

(٣) سعدون عباس نصر الله، رحيل الصليبيون عن الشرق فى العصور الوسطى، دار النهضة العربية، ط. بيروت، ١٩٩٥م، ص١٣.

العرش، وذلك بعد وفاة أخيه جودفري، غير أن بلدوين أستطاع الهرب من الكمائن التي نصبها له أعداؤه، ووصل سالمًا إلى مدينة بيت المقدس، معتلياً عرش المملكة[١]، ويدل ذلك على محاولات الكنيسة المبكرة فرض سيطرتها وسلطتها على العلمانيين من جهة، ومن جهة أخرى التحكم في ذلك المجتمع الوليد بطريقة غير شرعية.

ومن النماذج الأخرى لتدخل رجال الدين في الشئون السياسية، وما نتج عنها من كارثة نتيجة لهذا التدخل، ما حدث بين كل من البطريرك ستيفن الشارتري(١١٢٨-١١٣٠م/٥٢١-٥٢٤هـ)[٢]، والملك الصليبي بلدوين الثاني (١١١٨-١١٣١م/٥١٢-٥٢٥هـ)، فقد جاء الراهب ستيفن إلى مدينة بيت المقدس حاجًا، وبقى بها حتى يؤذن له بالعودة مرة أخرى، وفي تلك الأثناء اجتمع رجال الدين بمملكة بيت المقدس لاختيار بطريرك جديد للمدينة، بعد وفاة البطريرك جورموند Germond(١١١٨-١١٢٨م/٥١٢-٥٢٢هـ)[٣]، ووقع اختيارهم على البطريرك ستيفن، وبعد تنصيبه بطريركًا أخذ يثير المشاكل في وجه الملك بلدوين الثاني[٤]، وفي الوقت نفسه رفض الملك بلدوين الثاني ادعاءات ستيفن من أجل التنازل عن كل من مدينتي يافا وبيت المقدس والموافقة على تبعيتها لكرسي البطريركية، وهكذا تم إحياء النزاع القديم بين رجال

---

(١) Ralph Bailey Yewdale, Bohemond I Prince of Antioch, Princeton, ١٩١٧, p٩٣.

(٢) **ستيفن الشارتري:-** كان فارسًا ثم فيسكونتًا في مدينة شارتر بفرنسا، ثم التحق بخدمة الكنيسة بنفس المدينة، ثم ارتحل إلى الأراضي المقدسة حيث تم انتخابه بطريركًا لمملكة بيت المقدس من ١١٢٨-١١٣٠م/٥٢٢-٥٢٤هـ، وقد كان أحد أسباب تقوية النفوذ الكنسي داخل المملكة الصليبية ببلاد الشام، ونتيجة لذلك دخل في صراع شرس مع الملك الصليبي بلدوين الثاني، وقد كان له دور في تنظيم نشأة جماعة الداوية، للمزيد عنه، انظر:-

Hamilton, The Latin church in the crusader states, Landon, ١٩٨٠, Alan Murray, The Crusades, An Encyclopedia, p١١٢٣.

(٣) **جورموند:-** من أصل فرنسي، حضر إلى الأراضي المقدسة قادمًا من مدينة بيكيني Piquigny، الواقعة في أسقفية أمينز Amiens، حيث تولى بطريركية مملكة بيت المقدس خلفًا لأرنولف عام ١١١٨م/ ٥١٢هـ، وقد كان رجلاً معروفا بالاستقامة، حسبما وصفه وليم الصوري، وقد استطاع أن يوفق أوضاع الكنيسة والمملكة الصليبية باقتدار أثناء فترة أسر الملك الصليبي بلدوين الثاني، وظل في منصب البطريركية حتى عام ١١٢٨م/ ٥٢٢هـ، للمزيد عنه، انظر:-

وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص٣٤٤، سعيد عبد الله البيشاوي، الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩-١٢٩١م/٤٩٢-٦٩٠هـ)، دار المعرفة الجامعية، ط. الإسكندرية، ١٩٩٠م، ص.ص ١٤٠-١٤١، هامش(٢).

(٤) وليم الصوري، المصدر السابق، ج٣، ص ٦٧.

السلك الكهنوتى والعلمانيين[1]، ذلك الصراع الذي لم يخمده إلا وفاة ستيفين العاجلة في أوائل سنة ١١٣٠م/٥٢٤هـ، حيث يرجح أن البطريرك ستيفن مات مسمومًا وذلك تلبية للرغبة الملكية في وأد التطلعات الكهنوتية في مهدها، قبل أن تخرج عن السيطرة[2]، ومما يقوي احتمال تورط الملك في قتل ستيفن هو الحديث الأخير الذي دار بين الاثنين عندما زار الملك بلدوين الثاني ستيفن وهو على فراش الموت وسأله عن حاله، فأخبره ستيفن (إننى الأن يا مولاي في الحالة التي تتمناها لي)، وهو ما يقوي من تورط الملك بلدوين الثاني في تلك الجريمة[3].

وقد انعكس هذا الصراع الغربي على الأوضاع في الشرق اللاتيني Levant، وهو ما ظهر جليًا في الصراع بين البابوية والسلطة العلمانية الذي كان على أشده فى تلك الفترة، وقد ظهر ذلك بشكل واضح في الصراع بين بطاركة بيت المقدس وبين الملوك الصليبيين، فقد أراد البطاركة إخضاع السلطة العلمانية للسلطة الدينية، ونتج عن ذلك صراعات طويلة بين الطرفين، وأدى إلى ارتكاب العديد من الجرائم في سبيل تحقيق الأهداف الخاصة بكل جانب، خاصة عندما أراد رجال الدين التدخل في معترك الحياة السياسية، ومثال ذلك الصراع الذي قام بين كل من الملك بلدوين الأول ودايمبرت، وبين ستيفن الشارتري والملك بلدوين الثاني.

ولم تقف جرائم قتل رجال الدين عند ذلك الحد، بل امتدت للإمارات الصليبية الأخرى، ومنها ما حدث مع رادولف أو رالف أوف دمفرونت Ralph of Domfront[4] (١١٤٦م/٥٤١هـ)، بطريرك إمارة أنطاكية، حيث اشتد الصراع بينه وبين ريموند الثاني Raymond II(١١٣٧-١١٥٢م/٥٣١-٥٤٧هـ)[5] أمير أنطاكية، وظهر رالف كمنافس

---

(١) إبراهيم سعيد فهيم محمود، يافا ودورها في الصراع الصليبى الإسلامي (١٠٩٩-١٢٩١م/٤٩٢-٦٩٠هـ)، ط. الأسكندرية، ١٩٩١م، ١٣٠.

(٢)وليم الصوري، المصدر السابق، ج٣، ص٦٨، محمد عبد الله محمد مهيوب المقدم، الاغتيالات، ص٢٠٩

(٣)وليم الصوري، المصدر السابق، ج٣، ص٦٨، سرور عبد المنعم، السياسة الداخلية والخارجية، ص٢١، انظر الملحق ص ٢١١.

(٤) رالف:- ولد رالف بمدينة دمفرونت بنورماندى جنوب فرنسا، حيث كان فارسًا ثم إنضم بعد ذلك للسلك الكهنوتي، ثم ذهب إلى بلاد الشام حيث تم انتخابه بطريركًا لأنطاكية خلفًا لبرنارد أوف فالنس، وسرعان ما دخل رالف في صراع مع ريموند أمير أنطاكية، انظر:-

Hamilton, (Bernard), "Ralph of Domfront, Patriarch of Antioch(١١٣٥-١١٤٠)", in; Nottingham Medieval Studies , No.٢٨, (١٩٨٤), p.p(١-٢١).

(٥) ريموند الثاني:- هو ابن بونز أمير طرابلس، وكليكيا أوف فرانس أرملة تنكريد أمير أنطاكية، ووصل ريموند للحكم بعد مقتل والده عام ١١٣٧م/٥٣٢هـ، ثم تزوج من هويدرينا Hodierna أخت الملكة مليزندا Melisende

لريموند في ذلك الصراع، غير أن ريموند استطاع استمالة بعض الأمراء بالإضافة إلى رجال الدين إلى جانبه، وتقدموا جميعًا بشكوى جماعية إلى البابا في روما، يشكون فيها سوء تصرف رادولف، مما أدى إلى اضطرار رادولف إلى السفر إلى روما من أجل الدفاع عن نفسه أمام البابوية، وعندما أنهى مهمته في روما وعند عودة إلى إمارة أنطاكية مرة أخرى، وجد أعداءه من رجال الدين والأمراء في تزايد مستمر، مما أدى إلى تفاقم الأوضاع في أنطاكية، فقامت البابوية بإرسال أحد مندوبيها إلى أنطاكية للتحقيق في الأحداث التي تدور هناك، فعقد ذلك المندوب مجمعًا في كنيسة القديس بطرس بأنطاكية في ٣٠ نوفمبر١١٣٩م/ ٧ ربيع الأخر ٥٣٤هـ، حضره حشد كبير من رجال الدين من مختلف الإمارات الصليبية، وانتهى ذلك المجمع بإدانة رادولف وعزله عن منصبه، ولم يلبث أن قتل مسمومًا عام ١١٤٣م/ ٥٣٧هـ[1]، ويرجح أن ريموند وراء تلك الجريمة، ولكن بشكل غير مباشر، مستخدمًا في ذلك رجال الدين المناوئين لرالف، حتى لا ينازعه خصم في إمارته، وربما أراد من تقديم شكواه للبابا في روما أن يبرئ نفسه مما هو مقدم عليه بقتله لغريمه رادولف.

أما بالنسبة للنظام الكنسي الموجود بالإمارات الصليبية، فقد كان عامراً بالفساد، وتبدلت أهدافه الدينية إلى أهداف دنيوية، مما دفع برجال الدين إلى ارتكاب الجرائم للحفاظ على المكانة التي وصلوا إليها، ومنها على سبيل المثال ما حدث لأحد كرادلة البابا هونريوس الثاني Honorius II(١١٢٤-١١٣٠م/٥١٧-٥٢٤هـ)، الذي قام بإرساله إلى الإمارات الصليبية ببلاد الشام. للنظر في أحوال الكنائس بها، غير أن هذا الكاردينال ما لبث أن وصل إلى مملكة بيت المقدس، وباشر مهامه في البحث والتفتيش على الكنائس، حتى أدركته المنية فجأة، وقد أشيع أنه قتل بالسم، مما أدى إلى غضب البابا في روما، فقام بإرسال أحد مندوبيه الأربعة الكبار، فعزل البطريرك الأنطاكي، وأقام بطريركًا أخر عوضًا عنه[2].

ملكة بيت المقدس، والتي أنجبت له ريموند الثالثRaymond III ، ووقع في أسر زنكي، ثم أطلق سراحه، حيث دخل في صراع مع ألفونسو أوف جوردانAlphonse of Jordan، وقد كان لريموند علاقات مع فرسان الإسبتارية حيث منحهم قلعة الكرك، وقد كان من نتائج الصراع مع ألفونسو، عدم يتعاون ريموند مع قادة الحملة الصليبية الثانية في الهجوم على مدينة دمشق، وتوفي ريموند الثاني عام ١١٥٢م/٥٤٧هـ، لمزيد من التفاصيل انظر:-

Richard (J), Le Conte de Tripoli Sous La Dynastie Toulousaine, Paris, ١٩٤٥, p.p٧-١١.

(١) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٣، ص.ص ١٩٣-١٩٧، سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٤٣٤، انظر الملحق٢١٥.

(٢) روايات ميخائيل السوري الكبير، ضمن: الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، تأليف وتحقيق

وهكذا يتضح لنا من تلك الجريمة أن الفساد انتشر في النظام الكنسي في الإمارات الصليبية، مما حدا بالبطاركة إلى التخلص من مبعوثي البابوية حتى لا يكشف الفساد الذي هم عليه، مما أثار غضب البابا عليهم، وقام بإرسال رجل آخر لم يستطيعوا التعرض له، مما كان له أكبر الأثر في صدور قرارت حرمان ضد الصليبيين في الساحل الشامي، ويضاف إلى ذلك تبدل طبيعة الدور الديني لرجال الدين الصليبيين، وانشغالهم بالأمور الدنيوية، ومحاولة فرض السيطرة الكنسية على السلطة السياسية، مما كان له أكبر الأثر في تورطهم في ارتكاب الجرائم مثلهم في ذلك مثل بقية أفراد المجتمع الصليبي.

وتكملة لمسيرة الفساد الكنسي ما حدث مع وليم الصوري[1] William of Tyre رئيس أساقفة مدينة صور، في الصراع بينه وبين البطريرك هرقل[2]. فعندما تولى هرقل بطريركية بيت

وترجمة: سهيل ذكار، الجزء الخامس، دمشق، ١٩٩٥م، ص ١٦٥، انظر الملحق٢١٥.

(١) **وليم الصوري:** هو المؤرخ الرسمي لمملكة بيت المقدس الصليبية في القسم الأول من القرن ١٢م/٦هـ، ولد في بيت المقدس حوالي عام ١١٢٧م/٥٢١هـ من أبوين فرنسيين، وقد تلقى وليم الصوري المؤرخ تعليمه الأول في إحدى المدارس التابعة للأديرة، وفيما بعد سافر إلى الغرب الأوربي خاصة فرنسا وبولونيا حيث تتلمذ هناك= =على مراكز العلم خلال نهضة القرن ١٢م/٦هـ لمدة عشرين عامًا فيما بين عامي ١١٤٦-١١٦٥م/٥٤١-٥٦١هـ، وعندما عاد أدراجه إلى بيت المقدس خلال عهد الملك عموري الأول (١١٦٣-١١٧٤م/٥٥٩-٥٧٠هـ)، جعله مؤدبًا لابنه بلدوين الرابع، وطلب منه كتابة تاريخ المملكة الصليبية، وبالفعل ألف تاريخ الأعمال، وتاريخ الأمراء الشرقيين، والأخير مفقود، للمزيد من التفاصيل انظر:

Edbury and Rowe, William of Tyre Historian of the Latin East, Cambridge, ١٩٨٨, Krey, " William of Tyre The making of an Historian in the Middle Ages", S, Vol. XVI, ١٩٤١, PP١٤٩-١٦٦, Davis, " William of Tyre", in Barker (ed), Relations between East and West in The Middle Ages, Edinburgh, ١٩٧٣, PP٦٤-٧٧, Robert Crawford, William of Tyre and Maronites, Speculum, Vol.٣٠, No.٢, (Apr١٩٥٥), PP٢٢٢-٢٢٨,

جمال الزنكي، " المؤرخ وليم الصوري في ميزان النقد التاريخي"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد:٨٥، السنة ٢٢، ٢٠٠٤م، ص٤١- ٤٧، سمايلي، المؤرخون في العصور الوسطى، ت. قاسم عبده قاسم، ط. القاهرة، ١٩٨٠م، ص.ص١٨٦-١٨٧، عمر كمال توفيق، " المؤرخ وليم الصوري"، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، م(٢١)، عام١٩٦٧م، محمد مؤنس عوض، وليم الصوري مؤرخًا للقلاع الجنوبية لمملكة بيت المقدس الصليبية في المرحلة من ١١٣٧-١١٥٠م/٥٣٢-٥٤٥هـ سلسلة دراسات شرق أوسطية، مركز بحوث الشرق الأوسط جامعة عين شمس، ط. القاهرة، ١٩٩٥م.

(٢) **البطريرك هرقل:** هو في الأصل شخصية دينية فرنسية، ولدت في مقاطعة أفريجين Auvergne في جنوبي فرنسا، وقدم إلى بيت المقدس وصار قسيساً، وتولى منصب رئيس شمامسة بيت المقدس خلال المدة من ١١٦٩-

المقدس، إذا به يعلن فجأة ودون سابق إنذار توقيع قرار الحرمان ضد وليم الصوري رئيس أساقفة صور دون محاكمة ودون أي حق له، مما يخالف سنن العدالة[1]. وعندما استشعر وليم الصوري بالظلم، لجأ إلى البابا في روما لحسم قضيته، وأن يظل في وظيفته، وقد كللت مجهوداته بالنجاح[2]. وفي أثناء ذلك كان البطريرك هرقل قد قام بتكليف أحد الأطباء بمرافقة وليم رئيس أساقفة صور أثناء رحلته إلى روما، وذلك لوضع السم له مقابل مبلغ من المال، واستجاب الطبيب لتلك الرشوة المالية، ورافق وليم إلى مرسيليا ثم إلى جيفودان Gevaudan مسقط رأسه حيث توفي عام ١١٨٦م/ ٥٨١هـ ، ولما بلغ هرقل خبر الوفاة كر عائدًا إلى مملكة بيت المقدس[3].

ومن الملاحظ أن الصراع بين رجال الدين داخل المجتمع الصليبي كان على أشده، مما أدى إلى اتخاذ أطرافه أساليب لا تتناسب مع مكانتهم داخل المجتمع الصليبي لحسم القضايا لصالحهم، وتطور ذلك الأمر إلى حد استخدام القتل كوسيلة من وسائل حسم الصراع للفوز بمنصب كنسي.

١١٧٥م/٥٦٥-٥٧١هـ وفي أعقاب هرنسيوس رئيس أساقفة قيسارية عام ١١٧٥م/٥٧١هـ تم انتخابه من فوره لكي يتولى المنصب الشاغر، وقد مثل المملكة الصليبية خارجياً حيث توجه عام ١١٧٨م/٥٧٤هـ مع وفد من رؤساء الأساقفة ورؤساء الكنائس والأديرة إلى روما، وفي أعقاب وفاة عموري أنسلم بطريرك بيت المقدس عام ١١٨٠م/٥٧٦هـ تم انتخاب هرقل لكي يخلفه في منصبه، انظر:

سعيد عبد الله البيشاوي، الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩-١٢٩١م/٤٩٢-٦٩٠هـ)، دار المعرفة الجامعية، ط. الإسكندرية، ١٩٩٠م، حاشية(١)، ص٢٨٠، مارشال بلدوين، اضمحلال وسقوط بيت المقدس ١١٧٤-١١٨٩م/ ٥٧٠-٥٨٥هـ ضمن كتاب تاريخ الحروب الصليبية، تحرير: سعيد البيشاوي ومحمد مؤنس، ص٢٨٥، حاشية (١٧)،

Kedar, " The Patriarch Eraclius", in Kedar (B.Z), Mayer, and Smail (R.C), ed. Outremer Studies in the Crusading kingdom of Jerusalem, Jerusalem, ١٩٨٢, PP ١٧٧-٢٠٤, Regan, Saladin and the Fall of Jerusalem, London, ١٩٨٧, P٥٥, Mattew Spinka, Latin Church of the Early Crusade, Church History, Vol.٨, No.٢, (Jun١٩٣٩), P.١٢٢.

(١) ذيل وليم الصوري، ص ٨٣.

(٢)Archer and Charles L. Kingsford, The Crusades, The Story of The Latin Kingdom of Jerusalem, New York, p ٢٧٠, Walter Besant, Jerusalem, The= City of Herod and Saladin, London, ١٨٧١, p٢٦٧.

(٣) ذيل وليم الصوري، ص ٨٣.

ويلاحظ أيضًا من تلك الجريمة ترابط كل من جريمتي الرشوة والقتل، فقد تم استخدام الأولى كوسيلة لتنفيذ الثانية، مما يدل على تزامن وقوع الجرائم المختلفة داخل الكيان الصليبي في وقت واحد، بل وتداخلها في بعض الأحيان كما في تلك الجريمة.

وقد تنوعت وسائل القتل لدى الصليبيين، فهناك القتل بالسم، أو بالخنجر إلى غير ذلك، ومن أمثلة القتل بالسم ما حدث للملك الصليبي بلدوين الثالث، فعندما كان فى أنطاكية في اخر زيارة له، أراد أن يأخذ دواء كان معتادًا أن يأخذه معه قبل حلول فصل الشتاء، لذلك حصل على حبات دواء من طبيب سرياني يدعى باراكBarak وهو الطبيب الخاص بالأمير ريموند الثالث أمير طرابلس، وذكر وليم الصوري بأنه كانت هناك شائعات بأن حبات الدواء كانت مسمومة، وربما كانت تلك هى الحقيقة، لأنه تم تجربة باقى تلك الحبات بوضعها لأحد الكلاب، فمات ذلك الكلب بعد عدة أيام، وبمجرد أن تناول الملك بلدوين الدواء أصيب بحمى شديدة، وعندما أخذت حالته تتدهور، ترك مدينة أنطاكية إلى طرابلس ومكث هناك عدة شهور ساءت فيها حالته الصحية، وعندما شعر بدنو أجله طلب أن يحمل إلى بيروت وتوفي هناك في ١٠ فبراير ١١٦٢م/٢ ذي الحجة ٥٥٧هـ، في سن الثالثة والثلاثين، وذلك بعد موت أمه الملكة مليزندا بعدة شهور فقد ماتت الملكة في ١١ سبتمبر ١١٦١م/ ٢٠ رمضان ٥٥٦هـ، ويرجح أن الملك بلدوين الثالث مات مسمومًا على يد حزب أمه الملكة مليزندا الذي كان على رأسه ابنها عموري، لأن الملك بلدوين الثالث لم يقم بتصفية حساباته مع كل أنصار مليزندا، وكان الملك يراعى شعور أمه رغم إبعادها عن الحكم، ولذلك يبدو أنه بعد موت مليزندا خاف أنصارها من انتقام بلدوين الثالث منهم، فدبروا موته بهذه الطريقة، إذ لم يبق في الحكم بعدها سوى ستة أشهر فقط[١].

وتوضح لنا تلك الحادثة أن الأمراء الذين كانوا ناقمين على الملك الصليبي، ولم يكن بمقدورهم الوقوف في مواجهته مباشرة أو معارضته، كانوا يستخدمون السموم في التخلص من أعدائهم، فمنها سهولة وضعها للخصم المنافس لهم، ومنها أنهم يستطيعون نفي التهمة عنهم، وهو ما كان يحدث بالفعل.

وبتحليل تلك الحادثة، نجد أن الحالات المرضية الناتجة عن الإصابة بالتسمم قد تزايدت بشكل واضح داخل المجتمع الصليبي ببلاد الشام، وبالتالي يمكن إدراك أن أنواع السموم

---

(١) عبد الحفيظ محمد علي، مشكلات الوراثة في مملكة بيت المقدس وأثرها على تاريخ الحركة الصلبية (١١٣-١١٨٧م)، دار النهضة العربية، ط. القاهرة، ١٩٨٤م، ص.ص ٧٢،٧٣، انظر الملحق، ص ٢١٣.

المختلفة قد استعملت من أجل الفتك بالقيادات السياسية الصليبية المتصارعة والمتنافسة، وقد وقف الطب الصليبي عاجزًا عن علاجها على نحو أدى إلى وفاة المتسمم في النهاية دون أن تقدم له أية وسيلة لإنقاذ حياته من الهلاك باستثناء بعض الحالات الخاصة، والواقع أن معرفة الصليبيين بأنواع السموم كانت جيدة، بل إنهم استعملوا تلك السموم فى الفتك بالحيوانات المفترسة التي وجدوا صعوبة في اصطيادها مثل الفهود وغيرها[١].

وقد تقدمت صناعة السموم داخل المجتمع الصليبي، فوجد بالقرب من مدينة أريحا حقل صغير لتربية الثعابين والأفاعي من أجل استخراج السموم، وقد كان يتم في هذا الحقل اصطياد جميع أنواع الثعابين والأفاعي السامة، وذلك من أجل تربيتها ثم بعد ذلك تباع في المدن ويقوم بشرائها من هم متخصصون فى صناعة أنواع العلاجات المختلفة من الثعابين وكذلك أنواع السموم المختلفة[٢].

وخلال تلك الأحداث أحاط ملوك الصليبيين أنفسهم بسياج أمني محكم، يتكون من عدد كبير من الحراس المدججين بأنواع الأسلحة المختلفة، حتى صار من الصعب النيل منهم، لذلك ظهرت طرق وأساليب متعددة لخرق هذا الجدار الأمني بغرض التنكيل بهم، منها دس السم لقتل الخصم، وقد صارت هذه الطريقة شائعة آنذاك. وعلى الرغم من أن ملوك الصليبيين احتاطوا لأنفسهم لئلا يقعوا ضحية لذلك، قام الخصوم بدس السم في الأطعمة والأشربة المعدة لهم، لذلك خضعت تلك المأكولات والمشروبات لرقابة أمنية مشددة وفحص دقيق من الأطباء الأمناء[٣].

وعرف المجتمع الصليبي جميع أنواع السموم، فهناك السموم النباتية والتي تمثلت في نبات الخشخاش والأفيون، والسموم الحيوانية والتي تم استخراجها من الخنفساء والضفدع البري والأفاعي السامة، ثم يلي ذلك السموم المعدنية والتي كان أشهرها الزرنيخ (كبريت الزرنيخ)، وقد اختلفت درجة سمية تلك الأنواع بحسب اختلاف نوعيتها ومقدار الجرعة التي كان يتم

---

(١) محمد مؤنس، " أضواء على الطب في المناطق الصليبية خلال المرحلة من ١٠٩٨ إلى ١١٧٤م/ ٤٩١-٥٧٠هـ "، ضمن كتاب (عصر الحروب الصليبية بحوث ومقالات)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط. القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ١٢٥.

(٢)Anonymous , City Of Jerusalem (١٢٢٠ A.D) , Trans. by C.R.Conder , P.P.T.S. London ١٨٩٦, p٥٩.

(٣) نسرين الأربلي، التدابير الأمنية، ص.ص١٣٣،١٣٢.

دسها للشخص المطلوب القضاء عليه، وقد نتج عن حالات التسمم أعراض مختلفة مثل القيء والإسهال أو العطش الشديد، وظهور آلام شديدة على الشخص المصاب[1].

وقد فشا استخدام السموم في جميع فئات المجتمع الصليبي من الأمراء العلمانيين إلى رجال الدين وانتهاءً بطبقة العامة، واستخدمت السموم ضمن الصراع على السلطة بين الأمراء العلمانيين، كما كانت السموم هي السلاح المفضل لرجال الدين في صراعاتهم التي لا تنتهي حول المناصب الدينية المرموقة[2]، غير أنه من المفترض أن هناك حالات للإصابة بالسمية لدى قطاعات من المجتمع الصليبي خارجة عن نطاق القيادات السياسية والدينية، لم تشر إليها المصادر التاريخية الصليبية وتجاهلتها، ومن زاوية أخرى يلاحظ من خلال نصوص المصادر التاريخية الصليبية التي وصلت إلينا أن حالات التسمم المذكورة كانت فردية، ولم تكن هناك حالة واحدة تتسم بالطابع الجماعي طوال فترة تواجدهم ببلاد الشام، وبالتالي فضحايا تلك الحالات كانوا متناثرين وموزعين على مرحلة زمنية ممتدة، ولم يكونوا مركزين في مرحلة واحدة[3]، وقد أشار إليها جاك دفيتري كظاهرة متفشية[4].

وقد انتشرت حالات الإصابة والقتل عن طريق السم بشكل كبير بين فئات العامة في القرن الثالث عشر، وخاصة في النصف الثاني منه، ونخص بالذكر مدينة عكا حيث كانت تشهد جرائم قتل بالسم بمعدل مرتفع يوميًّا، فكان الزوج يقتل زوجته إذا فقد رضاها، وكانت الزوجة تقتل زوجها بالسم لكي تتزوج من غيره، وبذلك انعدمت الثقة تمامًا بين فئات المجتمع، وجاء ذلك دليلا على التفكك الأسري على الرغم من أن الأسرة ذاتها نواة المجتمع، والذي ساعد على انتشار القتل عن طريق السم، هو وجود تجار لتلك السلعة، كانوا يبيعون تلك السموم والمواد القاتلة الأخرى، بل وصل الأمر للتطور في صنع تلك السموم أن صانعي تلك المواد القاتلة، كانوا يربون في بيوتهم بعض الحيوانات، وكان يصنع من روثها نوعاً من السموم، وكل من أراد التخلص من عدوه كان يجد كل ما يشتهيه لقتله، بحيث يتألم لمدة سنة إذا أراد القاتل ذلك، أو لمدة شهر أو لمدة

---

(١) محمد مؤنس، أضواء على الطب، ص١٢٥.

(٢) مهيوب، الاغتيالات في بلاد الشام، ص٢٠٨.

(٣) محمد مؤنس، أضواء على الطب، ص١٢٦.

(٤)Jacques de vitry, Ibid, p٨٧.

يوم، إذا ما أراد له موتًا عاجلا[1].

ويرجح أن الحرمان العاطفي كان له دوره في انتشار جريمة القتل بين الأزواج، فقد كانت المرأة تلجأ إلى قتل زوجها عندما كانت تعيش في مثل هذه الحالة، كما وأن الغيرة النسائية كان لها دورها في قتل المرأة زوجها إذا علمت أنه على علاقة بامرأة أخرى، وبذلك انتشر داخل المجتمع الصليبي كثرة العلاقات غير الشرعية، وعلى ضوء تلك العلاقة أيضًا كان الزوج يقوم بقتل زوجته عندما يعلم أنها على علاقة برجل غيره، وكانت تلك العلاقات غير السوية منتشرة بكثرة داخل المجتمع الصليبي وذلك بسبب توافد الحجاج بشكل مستمر على الأراضي المقدسة والمدن الشامية التي خضعت للسيطرة الصليبية. ويضاف إلى ذلك سوء الأوضاع الاقتصادية بالمدن الصليبية وانتشار البطالة[2]، كل تلك المظاهر كان لها دور في تفسخ العلاقة الأسرية، وزيادة معدل العنف بين الأزواج، ومنها اللجوء إلى للقتل كحل سريع لإنهاء المشاكل الاقتصادية.

وقد حدث تطور كبير في صناعة السموم بمدينة عكا الصليبية، فقد تفنن صانعو السموم في صناعة أنواع مختلفة ومتعددة منها، وقد راجت تلك السلعة بشكل كبير، ونتج عنها ارتفاع معدل جريمة القتل داخل المجتمع الصليبي، ومن ناحية أخرى زادت أرباح التجار من وراء المتاجرة فيها، وبعد أن كان الصليبيون يستخدمون تلك السموم بوضعها في السهام والسكاكين في فترة تواجدهم ببلاد الشام، للقضاء على أعدائهم المسلمين[3]، أصبحوا يقتلون بها بني جلدتهم.

ومن حوادث الاغتيال السياسي الغامضة التي ورد فيها السم كسبب، ما حدث عام ١١٤٨م/٥٤٢هـ، مع ألفونسو جوردان Alfonso Jordan كونت تولوز، وهو الابن الأكبر لريموند الصنجيلي الذي حارب في الحملة الصليبية الأولى، عندما رست سفينته في ميناء عكا، وبينما كان في طريقه إلى بيت المقدس لأداء واجب الشكر على نجاح رحلة حجه، توقف عند مدينة قيسارية الساحلية، حيث تم استدعاؤه إلى مدينة طرابلس، غير أنه سرعان ما داهمه مرض توفي على إثره، وترددت الشائعات بأنه مات مقتولا بالسم بيد ريموند أمير طرابلس[4].

---

(١)Jacques de Vitry, Letters, p٨٧.

(٢)The Monk Theodosios the Constantinopolitan, The Life of Leontios patriarch of Jerusalem, Trans.by: Dimitris Tsougarakis, New York, ١٩٩٣, p١٢٩

(٣)Piers Mitchell, Medicine in the Crusades: Warfare, Wounds, and The Medieval Surgeon, Cambridge, ٢٠٠٤, p١٥٥.

(٤) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٣، ص٢٩١، انظر الملحق، ص ٢١٣.

ومن المرجح أن ألفونسو كان له أعداء كثيرون، على الرغم من أنه كان يعيش في إمارته في فرنسا، وعندما قدم إلى بلاد الشام استشعر بعض أمراء الصليبيين خطورة تواجد ألفونسو في بلاد الشام على مراكزهم السياسية، فتم التخلص منه بطريقة سريعة وهى وضع السم له، مما أدى إلى وفاته ومن ثم التخلص من منافس عنيد.

وفيما يخص دور المرأة في جريمة القتل، فقد كان للمرأة دور مهم في جريمة القتل، ومن أمثلة ذلك ما كان من نزاع زوجى وخلافات شديدة بين ريموند الثاني أمير طرابلس (١١٣٧-١١٥٢م/٥١٢-٥٤٧هـ)، وزوجته هوديرن Hodriene، الابنة الثالثة للملك الصليبي بلدوين الثاني، وأخت الملكة مليزندا، وقد بلغت العلاقة الزوجية بينهما درجة كبيرة من السوء وذلك في أوائل عام ١١٥٢م/٥٤٧هـ، مما استوجبت معه تدخل الملك الصليبي بلدوين الثالث وأمه الملكة مليزندا، بحكم الصلة العائلية لفض ذلك النزاع، وسافر بالفعل كل من الملك بلدوين والملكة مليزندا إلى إمارة طرابلس، غير أن نصائحهما لم تجدي نفعًا، وصحبت مليزندا أختها هوديرن إلى مدينة نابلس، بينما ظل الملك بلدوين الثالث بعض الوقت في طرابلس، ولم تكد كل من هوديرن ومليزندا تبتعدان كثيرًا عن مدينة طرابلس، حتى قتل ريموند الثاني بأيدي جماعة من الباطنية، وصورة قتله أنه أثناء عودته من المدخل الجنوبي لعاصمته وعند دخوله بوابة الولاية، هجم عليه جماعة من الفداوية وطعنوه بخناجرهم، فسقط على الأرض مفارقًا الحياة، ولقد حاول أحد الفرسان المرافقين له ويدعى رادولفوس دي مارلو Radulphusde de Marlo الدفاع عنه، غير أنه لقي مصرعه هو الآخر، وحينذاك تعالت الأصوات والصياح فاندفع رجال الحامية بسلاحهم وتدفقوا في الشوارع يذبحون كل من يشاهدونه من المسلمين انتقاما لمقتل سيدهم، وكان من ضمنهم جماعة الفداوية التي اغتالت ريموند، وبالرغم من أن هوديرن عادت بسرعة لتذرف الدمع على زوجها القتيل، إلا أن ذلك لم يعفها من بعض الاتهامات والشكوك في تآمرها على قتل زوجها[1]، وهذا نوع من أنواع الإغتيال السياسي الذي نال من الطبقة السياسية

France, The Crusades and The Expansion of Catholic Christendom, ١٠٠٠-١٧١٤, New York, ٢٠٠٥, p١٣٧.

(١)Natasha Hodgson, Women, Crusading And the Holy Land, p١٤٠,

سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص.ص ٥١٢،٥١٣، أسامة زكي، الصليبيون وإسماعيلية الشام، ص٢٢٤، عبد العزيز سالم، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، ط. الإسكندرية، ١٩٦٦م، ص٢٧٦، حامد زيان، الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط. القاهرة، ١٩٨٣م،ص ٩٩، انظر الملحق، ص.

للمجتمع الصليبي.

ولم تتوان القيادات الصليبية في الاتصال ولو سرًا بعناصر الحشاشين للتخلص من أعدائهم، وذلك حتى يحافظوا على مظهرهم الاجتماعي ومكانتهم السياسية داخل المجتمع الصليبي، بل ولجوء الزوجة أيضا إلى عمل اتصالات سرية مع القتلة من أجل التخلص من زوجها،ويضاف إلى ذلك ما نتج عن تلك الجريمة، وهي جريمة أكبر منها وأعني بذلك عملية القتل الجماعي والعشوائي للمسلمين داخل المدينة، وذلك بعد وقوع الحادثة مباشرة، وكان هدفهم قتل الجناة قبل هروبهم، ويضاف إلى ذلك الانتقام من المسلمين الموجودين داخل المدينة مع وجود مبرر قوي لذلك.

أما فيما يتعلق بالعقاب بالقتل بسبب الجرائم السياسية أو الخيانة، فهو ما سوف نطرحه في تلك الحادثة، فقد شب نزاع بين كل من الملك الصليبي بلدوين الثالث وجيرارد Gerard Grenier (١١٧١م/٥٦٦هـ)أمير صيدا[1]، ووصل ذلك النزاع إلى درجة كبيرة من السوء بين الاثنين، فقد نما إلى علم الملك الصليبي أن جيرارد قد خرج عن طاعته، وأحضر عددًا من المراكب استعان في قيادتها ببعض القراصنة، وقام بعمليات سلب ونهب لسائر المراكب التي كانت تحمل الحجاج المسيحيين والقادمة إلى الأراضي المقدسة بهدف الحج والزيارة، مما أدى إلى استياء الحجاج المسيحيين من ذلك التصرف، وتقدموا بالعديد من الشكاوى إلى الملك الصليبي، غير أن جيرارد لم يرتدع، فقام الملك بلدوين الثالث بطرده من بارونيته وفقًا لقانون التبعية الإقطاعية، فاتجه جيرارد إلى أنطاكية متبعًا نفس أسلوب القرصنة، فطرده أيضًا أميرها، فلم يجد جيرارد أمامه سوى نور الدين محمود (١١٤٦-١١٧٤م/٥٤١-٥٧٠هـ)، فلجأ إليه، ورحب به نور الدين محمود خاصةً بعدما وعده جيرارد بالتعاون معه ضد الصليبيين، واشترك جيرارد في معارك كثيرة بجانب المسلمين ضد الصليبيين، مما أثار غضب الملك بلدوين الثالث، فصمم على التخلص منه وبالفعل نجح في القبض عليه، حيث كبَّله بالأغلال واصطحبه معه إلى مملكة بيت المقدس في طريق عودته ، وهناك تمت محاكمته وإدانته وحكم عليه بالموت حرقًا بالنار[2].

---

(١) صيدا:- مدينة وقلعة تقع على الساحل الجنوبي من لبنان، على رقعة متسعة من الأرض تمتد قليلاً داخل البحر، وللمدينة مرفأ يحميه ريف صخري طبيعي، كما يحميه حصن بحري من الهجمات الخارجية القادمة من البحر، انظر:- مولر، القلاع، ص٩٠.

(٢) أسامة زكي زيد، صيدا ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. الإسكندرية، ١٩٨٨م، ص١٤٨، أنظر الملحق، ص.

ومن تلك الحادثة يتضح حالة التعاون بين بعض العناصر الصليبية وبين المسلمين ضد الصليبيين، وأنه عندما كان يتم الإيقاع بتلك العناصر التي ساندت المسلمين، كانت تقام لهم محاكمة عاجلة، ويتم فيها تطبيق عقوبة القتل بطريقة وحشية، ومنها الحرق لإرهاب من تسول له نفسه التعاون مع المسلمين مرة أخرى.

ونستنتج من ذلك أيضًا أن عهد الملك بلدوين الثالث كان أكثر عهود المملكة الصليبية التي شهدت حالات قتل أو محاولات للقتل، ويرجع ذلك إلى الحرب الأهلية التي وقعت بين بلدوين الثالث من جهة وأمه الملكة مليزندا وأخوه عموري من جهة أخرى، وما نتج عن تلك الحرب من حالة فوضى أمنية واضحة أدت إلى شيوع أسباب الجريمة داخل المجتمع الصليبي، وكثرت حالات الثأر الشخصي داخل المجتمع الصليبي، نتيجة شعور المجرم بصعوبة تعقبه.

ويتضح من خلال سرد تلك الجرائم على مدى القرن الثاني عشر الميلادي، السادس الهجري، تطور جريمة القتل ودوافعها تطورًا كبيرًا، فمنذ بداية احتلال الصليبيين للمدن الساحلية الشامية، كان لديهم حماس كبير لقتل كل ما هو غير صليبي، بداية من قتل اليهود وحرقهم بالنار، ثم إقامة المذابح للمسلمين المسالمين بالمدن الشامية، ثم قتل العناصر المسيحية الشامية والتي لم يفرقوا بينها وبين المسلمين، ويدل ذلك على مدى التعصب الأعمى الذي تملكهم، وتطورت جريمة القتل بشكل آخر داخل المجتمع الصليبي نفسه، فقد كان القتل يتم لأسباب سياسية ومنها الرغبة في الاستيلاء على منصب معين، أو التخلص من قائد بعينه، ثم انتقلت جريمة القتل داخل المجتمع الكنسي لتخرج رجال الدين عن وقارهم ودورهم المعروف في إرشاد الناس ونصحهم، وذلك من أجل الوصول لأعلى المناصب الكنسية وما يحققه ذلك من نفوذ وثروة كبيرة، وشيوع القتل أيضًا بين أفراد الطبقة الحاكمة من النبلاء والملوك الصليبيين بهدف إزاحة المنافسين لهم وتحقيق سيطرتهم الكاملة على رعيتهم، ثم تطور ذلك الأمر إلى جريمة القتل الجماعي التي كانت تقع تحت ظروف معينة، ومنها الشك في الولاء كما في حالة كونراد مونت فرات مع أطبائه، بل إن الخلافات الزوجية كان لها دورها في ارتكاب جريمة القتل بين الطبقة الحاكمة.

أما عن جريمة القتل الجماعي فمنها ما قام به المركيز كونراد أوف مونتفرات Conrad of Montfort[1]، فقد حدث أن وقع المركيز كونراد فريسة لمرض كان يعاوده من فترة لأخرى،

---

(١) كونراد أوف مونتفرات: هو ابن وليم الثالث مركيز مونتفرات بشمال إيطاليا، حضر أخوه وليم طويل السيف

غير أن تلك المرة التي جاءته فيها نوبة المرض كانت أشد من سابقتها. ولما كان كونراد محاطًا بالأعداء من كل جانب، فقد ثارت شكوكه بكل من حوله، وتخيل أن الأطباء المعالجين قد دسوا السم له في الشراب، فأصدر قرارا رهيبا بحق هولاء الأطباء، وهو قتلهم جميعًا نتيجة لأمر لم يفعلوه، وبرغم من أن الدواء الذي أعطوه له كان فيه شفاؤه(١).

وهكذا كان الشك بأي شخصية مهما كان منصبها كان يؤدي إلى مقتلها على الفور، وخاصة وقت الأزمات حتى أدى ذلك إلى انتشار عدم الشعور بالأمان من جانب العديد من الشخصيات. فقد كان من المتوقع قتلهم في وقت وبأى طريقة لمجرد الشك في سلوكهم. كما تبرز تلك الحادثة أن المركيز لم يلتفت إلى أية قوانين لمعاقبة المتهمين، بل إنه أصدر الحكم على الفور وتم تنفيذه دون أي معارضة من أحد.

ومهما يكن من أمر، فقد قتل كونراد أوف مونتفرات، بعد قليل أثناء الحملة الصليبية الثالثة،فملوك أوربا الذين شاركوا في هذه الحملة الصليبية،حملوا معهم ضغائنهم وأحقادهم الشخصية وصراعاتهم العرقية إلى بلاد الشام(٢) ، فقد انقسم المعسكر الصليبي أثناء الحملة الصليبية الثالثة إلى فريقين، فريق يؤيد جاي لوزيجنان Guy of Lusignan(٣)، يدعمه الملك

أكبر أبناء المركيز إلى الشام في عام ١١٧٥م/٥٧٠هـ، وتزوج من سبيلا شقيقة بلدوين الرابع وانجب منها بلدوين الخامس، إلا أن وليم مات في عام ١١٧٧م/٥٧٢هـ، وذهب أخوه الثاني رينيه إلى بيزنطة ومات هناك، وقدم أبوه المركيز العجوز إلى بلاد الشام في عام ١١٨٥م/٥٨٠هـ، بعد موت الملك بلدوين الرابع ليرعى حفيده بلدوين الخامس، وكان المركيز من بين أسرى صلاح الدين في حطين، وذهب كونراد إلى القسطنطينية حيث ساعد الإمبراطور اسحق انجليوس (١١٨٥-١١٩٥/٥٨٠- ٥٩١هـ)، في القضاء على ثورة اندلعت ضده وتزوج= من ثيودورا شقيقة الإمبراطور البيزنطي الذي تشكك في نوايا كونراد فيما بعد وساءت العلاقات فيما بينهما، فحضر كونراد وبصحبته بطانته من الإيطاليين، ورسا في مرفأ عكا، وعلم أنها سقطت في أيدي صلاح الدين، فتظاهر بأنه تاجر من الغرب حتى تمكن من الإبحار إلى صور، وكانت والدة كونراد أختًا غير شقيقة لوالد الإمبراطور فريدريك بربروسا، وكان أبوه المركيز العجوز أخًا غير شقيق لأديلا والدة الملك لويس السابع، كما كان كونراد عما للملك بلدوين الخامس ملك بيت المقدس الطفل: للمزيد انظر:

Ernoul, Chronique d' Ernoul et de Bernard Le Tresier, ed., M.L. de Mas Latrie, Paris, ١٨٧١, pp.١٨٠-١٨١.

حسين عطية، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، الأسكندرية، ٢٠٠٠م، ص ٢٠١.

(١) مجهول، الحملة الصليبية الثالثة، ت. حسن حبشي، ط. القاهرة ٢٠٠٠م، ص٨٨.

(٢) محمد مهيوب، الاغتيالات، ص١٩٠.

(٣)جاي لوزيجنان: نبيل من أصل فرنسي، تزوج من سيبلا بنت الملك الصليبي عموري الأول،وصار ملكًا على

الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد[1]، والفريق الأخر يؤيد كونراد أوف مونتفرات بزعامة فيليب أوغسطس[2]، ملك فرنسا لزعامة مملكة بيت المقدس الصليبية، وتم عقد مؤتمر بالفعل بين المتنازعين تقرر فيه تولي كونراد لعرش المملكة الصليبية، أما جاي لوزيجنان فقد باع له ريتشارد قلب الأسد جزيرة قبرص وذلك تعويضًا له عن ملكه الضائع في مملكة بيت المقدس[3].

ومن المرجح أن الصراع على عرش مملكة بيت المقدس الصليبية كان على أشده بين أمراء

مملكة بيت المقدس الصليبية عام ١١٨٦م/٥٨٢هـ ووقع في الأسر يوم حطين، وبعد وفاة زوجته دخل في صراع على العرش مع كونراد مونتفرات، ثم تخلى عن عرش بيت المقدس في مقابل ملكيته لقبرص، للمزيد من التفاصيل عنه انظر:

مجهول، ذيل وليم الصوري، ص.ص ٢٢٠-٢٢٥، محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص٢٠،

Ernoul, Op. Cit, p ١٧٢-١٨٦, Cf. also, Mas Latrie, Historie de l'ile de Chypre Sous le regne des princes de la maison de Lusignan, T..I, Paris, ١٨٦١, PP١-٤٢, Painter, The Houses of Lusignan and Chatellerault ١١٥٠-١٢٥٠, Speculum, Vol.٣٠, No.٣, (Jul.١٩٥٥), pp. ٣٧٤-٣٨٤, Id, The Lords of Lusignan in The Eleventh and Twelfth Centuries, Speculum, Vol.٣٢, No.١, (Jan.١٩٥٧), pp. ٢٧-٤٧.

(١)**ريتشارد قلب الأسد:** هو ابن الملك الإنجليزي هنري الثاني ووريثه في حكم إنجلترا، اعتلى عرش إنجلترا عام ١١٨٩م/٥٨٥هـ وما لبث أن خرج للمشاركة في الحملة الصليبية الثالثة، وبعد عودته من الشرق دخل في حرب طويلة مع فرنسا للمحافظة على أملاكه الأوربية، حتى توفي على أثر جرح بالغ، عام ١١٩٩م/٥٩٦هـ للمزيد عنه انظر:

أمبروز، صليبية ريتشارد قلب الأسد، ضمن الموسوعة الشامية، ج٣٢، ترجمة: سهيل زكار، دمشق، ١٩٨٩م، تواريخ أل بلانتجنت، ضمن الموسوعة الشامية، ج٣٠، ترجمة: سهيل زكار، دمشق، ١٩٨٩م، ص٢١٧-٢٨٠،

Gervas (The Monk of Canterbury), The Gesta Regum with its Continuation, ed, William Stubbs , R.S., vol.٧٣., pt.٢, London, ١٩٦٥, pp٨٦-٩١, Cf. also: Round (J.H), " Some English Crusaders of Richard I", in English Historical Review, vol. ١٨, no.٧١, (Jul., ١٩٠٣), pp. ٤٧٥-٧٨١, John Finlayson, "Richard, Coer de Lyon", Romance, History or Something in Between?, Studies in Philology, Vol.٨٧, No.٢(Spring١٩٩٠).

(٢) **فيليب الثاني أوغسطس:** ابن لويس السابع ملك فرنسا وخليفته، ولد عام ١١٦٥م/ ٥٦١هـ، وتولى الحكم عام ١١٨٠م/٥٧٦هـ، وشارك في الحملة الصليبية الثالثة، حكم لمدة طويلة وصلت إلى ٤٤ عامًا، إذ توفي عام ١٢٢٣م/ ٦٢٠هـ، بعد أن رسخ نفوذ ملوك فرنسا ووسع نفوذهم مستغلا الحروب ضد الهراطقة المعروفة بالألبجينسية بمباركة البابوية، ولم يتوفى حتى صارت فرنسا قوة عظمى في أوربا، للمزيد عنه انظر:

Walker, On the increase of royal power in France under Philip Augustus, London, ١٨٨٨, p.p١-١٤٤; Hutton, Philip Augustus, London, ١٨٩٦,p.p١-٢٢٨.

(٣) محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص٤٣، مولر فيز (فولفغانغ)، القلاع أيام الحروب الصليبية، ت. محمد وليد الجلاد، مراجعة. سعيد طيان، ط. دمشق، ١٩٨٤م، ص ٢٤، انظر الملحق، ص ٢١٤- ٢١٥.

المملكة، والذي كان ينذر بحدوث صدامات بين الصليبيين، ونظرًا لأهمية تدخل ملوك أوربا لكي يتم حسمها، فقد أفرزت ما كان عند الصليبيين من حزازات وصراعات خطيرة فيما بينهم، كانت من العوامل الأساسية لتدهور وضعهم السياسي وطردهم من بلاد الشام بالكامل في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي، السابع الهجري.

وجدير بالذكر، أن أهم أسباب قدوم جاي لوزيجنان إلى بلاد الشام، ما قام به عام ١١٦٨م/ ٥٦٣هـ من مهاجمة حراسة ملكة إنجلترا وقتل قائد الحرس، فكان العقاب هو إرساله إلى بيت المقدس لكي يدخل في خدمة الملك الصليبي بلدوين الرابع[١].

غير أنه في أبريل عام ١١٩٢م، السادس عشر من ربيع الأخر عام٥٨٨هـ، تم اغتيال كونراد بالقرب من منزله[٢]، وصورة مقتله كانت كالتالي، عندما كان كونراد في صور يوشك بالعودة إلى عسقلان لكي ينضم للجيش الصليبي هناك، إذا به يتلقى دعوة لتناول الغداء مع أسقف بوفيه[٣]، وبينما كانت زوجته في الحمام وقد أشتد به الجوع، ذهب إلى الأسقف حتى تفرغ من اغتسالها، وبعد لقائه بالأسقف وأثناء عودته إلى داره، كان هناك رجلان من الحشاشين موجودين، وقد جلس كل منهما على جانب من الزقاق تجاه بعضهما البعض، فلما صار المركيز بينهما انتصبا واقفين لمقابلته، وتقدم إليه أحدهما وبيده ورقة كأنما يعرضها عليه، فمد المركيز يده لأخذها فاستل الرجل خنجره وأغمده في صدر كونراد[٤]، وقتل كونراد على الفور فقد كان الخنجر الذي طعن به مسمومًا، أما فيما يتعلق بالقاتلين[٥]، فقد تم القبض على أحدهما فورًا وأطيحت رأسه، أما الثاني فقد لجأ إلى كنيسة من الكنائس مستجيرًا بها، إلا أن أهلها أخرجوه وتم سجنه في وسط المدينة حتى فارق الحياة[٦]، وربما أراد الصليبيون من سجنه إذلاله جزاء لما ارتكبه من جريمة، وأيضاً حتى يكون عبرة لغيره.

من الملاحظ أن اغتيال كونراد كان موضع جدل قديمًا وحديثًا، نظرًا لما أثارته تلك

---

(١) Corless Slack, Historical Dictionary of The Crusades, Oxford, ٢٠٠٣, p١٠٣.

(٢)ابن شداد (القاضي بهاء الدين ت ٦٣٢ هـ/ ١٢٣٤م)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، ط. القاهرة، ١٩٩٤م، ص٣١٠.

Conder, The Latin Kingdom of Jerusalem, ١٠٩٩ – ١٢٩١ A.D, London, ١٨٩٧, p٢٨٤.

(٣) مجهول، الحرب الصليبية الثالثة، ج٢، ص١٦٣.

(٤) ذيل وليم الصوري، ص٢٢٦.

(٥) أسامة زكي زيد، الصليبيون وإسماعيلية الشام في عصر الحروب الصليبية (القرن الثان عشر الميلادي/السادس الهجري)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. الأسكندرية ، ١٩٨٠م، ص٢٢٨.

(٦) مجهول، الحرب الصليبية الثالثة، ج٢، ص ١٦٣، أبو شامة، الروضتين، ج٢، المجلد ٤، ص ١٧٥.

الشخصية من مشاكل وأزمات خاصة داخل الكيان الصليبي، حتى أمتدت أصابع الاتهام إلى العديد من من الشخصيات، وعلى الرغم من أن ريتشارد قلب الأسد، حضر المؤتمر الذي عقد من أجل الفصل في قضية ملك مملكة بيت المقدس، يرجح أنه كان غير راضٍ عما جرى في المؤتمر أو النتائج التي أفضى إليها من تولي كونراد عرش المملكة الصليبية واستبعاد جاي لوزيجنان عن بيت المقدس، مما أثار حفيظة ريتشارد فأراد الانتقام بقتل كونراد عن طريق الحشاشين، ويلاحظ أن كونراد كان له دور بارز في عملية اغتياله، فقد ساعد قاتليه على تنفيذ مهمتهم بكل سهولة، وذلك بعدم اتخاذه الاحتياطات الأمنية اللازمة، في الفترة التي كان أعداؤه في ازدياد بشكل مستمر، والكل يريد القضاء عليه، سواء أكان من الصليبيين بسبب مشكلة عرش مملكة بيت المقدس، أم من المسلمين بسبب حمايته لمدينة صور وامتناعها عليهم، أم من الحشاشين الذين أرادوا الانتقام لما حل بسفينتهم التي استولى عليها رجاله ورفضوا ردها.

وقد تعددت الأراء وتباينت حول أسباب مقتل كونراد في تلك الظروف وذلك التوقيت، فمن تلك الأقاويل أن الإسماعيلية أقدموا على قتل كونراد، عندما اعترض رجاله سفينتهم التي كانت تحمل تجارة لشيخ الجبل راشد الدين سنان[1]، وكانت قد أخذت طريقًا تجاريًا في البحر المتوسط، فأسرها رجال كونراد بمن فيها، وعندما فشل راشد الدين سنان في مفاوضة كونراد على

---

(١)**راشد الدين سنان:** هو راشد الدين سنان بن سلمان محمد أبو الحسن البصري، مقدم الإسماعيلية النزارية في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية، خاصة في النصف الثاني من القرن ١٢م/٦هـ، وتحديدًا خلال المرحلة من ١١٦٣ إلى ١١٩٣م/٥٥٨-٥٨٩هـ، وهو في الأصل من مدينة البصرة من قرية عرفت باسم عقر السدن، وقد سيطر على أتباعه سيطرة تامة، وقد وصف بأنه كان " بعيد الهامة عظيم المخاريق"، وكانت له قدرة كبيرة على مخادعة القلوب، ووصفته المصادر التاريخية السنية بأنه أباح لأتباعه المحرمات، وقد توفى عام ١١٩٣م، و بعد وفاته، أعتقد أتباعه في غيبته ورجعته، وهناك من قرر أنه في حصن الكهف- وهو من حصون الدعوة الإسماعيلية النزارية في بلاد الشام- يوجد الغار الذي اختفى فيه راشد الدين سنان، ويقال انه مدفون فيه، وزعموا أنه غاب فيه ويظهر منه، للمزيد انظر:

ابن العميد، أخبار الأيوبيين، تحقيق: كلود كاهن، ١٩٥٥-١٩٥٧م، ص.ص ١٣٧-١٣٨، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط.= =بيروت ،١٩٩٢م، ج٦، ص١١٧، شيخ الربوة الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، تحقيق: مهرن، ط. بطرسبرج، ١٨٦٥م، ص٢٠٨، أسامة زكي زيد، الصليبيون وإسماعيلية الشام في عصر الحروب الصليبية (القرن الثاني عشر الميلادي/السادس الهجري)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. الأسكندرية ، ١٩٨٠م ، عارف تامر، سنان وصلاح الدين، ط. بيروت، ١٩٥٦م، عثمان عبد الحميد عشري، الإسماعيليون في بلاد الشام على عصر الحروب الصليبية ٤٩١-٦٩١هـ/١٠٩٧-١٢٩٠م، ط.الخرطوم، ١٩٨٣م، ص.ص١-٢٣٠.

استعادة السفينة ورجاله الأسرى ورد أمواله، كان قرار سنان هو قتل كونراد جزاء لما اقترفه[1].

ورأي آخر يقول إن صلاح الدين كان وراء اغتيال كونراد، ذلك أن صلاح الدين راسل راشد الدين سنان لكي يقوم بقتل الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد، وإن قتل كونراد فله عشرة آلاف دينارًا، وعندما لم يتمكنوا من قتل الملك الإنجليزي قاموا بقتل كونراد وذلك حتى لا يخلو صلاح الدين لهم، ويبقى دائمًا في صراعات مع الجيوش الصليبية[2].

ومن الجدير بالذكر أن ابن الأثير جعل صلاح الدين الأيوبي وراء جريمة قتل كونراد، وأنه وراء محاولة اغتيال الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد، ويرجح الباحث أن هذا الرأي غير مقبول، لأن الصراع كان على أشده بين كل من كونراد وبين ريتشارد قلب الأسد، مما يجعله المرشح الأول وراء اغتيال كونراد بأيدي الحشاشين.

أما الرأي الثالث وهو من أرجح الآراء، أن الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد وراء هذا الحادث، فربما قام ريتشارد بذلك حتى يصفو له الجو في الأراضي الشامية من جهة، ومن جهة أخرى لينفرد هو بزعامة الصليبيين في الأراضي المقدسة، وذلك بالتخلص من منافس خطير مثل كونراد[3]، أما الشق الثاني من هذا الرأي فهو أن الملك الإنجليزي ليس وراء هذا الحادث، وذلك للرسالة التي أرسلها راشد الدين سنان إلى الدوق ليوبولد صاحب النمسا، يشرح له فيها أن الملك ريتشارد ليس له علاقة بموضوع الاغتيال، وأنه هو المسئول عن هذا الاغتيال نتيجة لما قام به كونراد من مصادرة سفينته، بل ويقر راشد الدين في رسالته على مسئولية كونراد عن مقتل رينالد أمير صيدا[4]، وإن كان الحادث لا يخلو من شكوك حول تورط ريتشارد في الموضوع وإن لم يوجد دليل قوي ضده[5].

إن أمر تلك الرسالة التي بعث بها راشد الدين سنان إلى دوق النمسا لمحير بالفعل، فلماذا

---

(١) عثمان عبد الحميد عشرى، المرجع السابق، ص١٦٧.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، راجعه وصححه:- محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، ط. بيروت، ٢٠٠٣م، ج١٠، ص٢١٣.

(٣) العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق: محمد محمود صبح، ط. القاهرة، ١٩٦٥م، ص٥٨٩،عثمان عبد الحميد، الإسماعيليون، ص١٦٨.

(٤)مجهول، تواريخ أسرة بلانتغنت، ت. سهيل ذكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج٣٠، ط. دمشق، ١٩٩٨م، ص٢٦٦.

(٥) محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص٤٣.

يرسل راشد الدين سنان تلك الرسالة إلى دوق النمسا في ذلك الوقت، ولماذا هو؟، وأيضًا لماذا يدافع عن ريتشارد وينفي عنه مسئولية مقتل كونراد، بل ويكشف عن جريمة أخرى هي اغتيال كونراد لرينالد أمير صيدا، يرجح من وراء إرساله هذه الرسالة عدة أمور؛ أولا: أنه أراد أن يكتسب حليفًا جديدًا ممثلا في شخصية ليوبولد دوق النمسا وهو شخصية جديدة على مسرح الأحداث ببلاد الشام، ثانيًا: أراد الاستفادة بافشاء الفرقة بين الصليبيين بتوضيح تلك المعلومات، وإبرازه دور كونراد في اغتيال رينالد أمير صيدا حتى يدخل الصليبيين في صراعات فيما بينهم بسبب تلك القضية، وتخف وطأتهم عليه.

وترجح بعض الدراسات التي تناولت حادثة اغتيال كونراد مونتفرات، أن هنري كونت شامبانيا هو الذي دبر أمر اغتيال كونراد، وذلك من أجل الحصول على عرش مملكة بيت المقدس الصليبية، عن طريق الزواج من أرملة كونراد وإن لم يتوج- مثل كونراد- حتى وفاته، على الرغم مما فعله بكونراد[١].

ومن جرائم القتل الجماعي التي تمت في القرن الثالث عشر الميلادي، السابع الهجري، ما تم عام ١٢٣٣م/٦٣١هـ، عندما أقدم قسطنطين ملك الأرمن وابنه هيثوم الأول على قتل عناصر من الداوية، فقد تشكك كل من قسطنطين وهيثوم في أن جماعة الداوية تدبر مؤامرة للإطاحة بهما من على عرش الأرمن، ولذلك قام قسطنطين باعتقال بعض أعضاء الجماعة وأمر بإحراقهم أحياء وشنق البعض الآخر منهم[٢].

ومن الملاحظ أنه مع قدوم القرن الثالث عشر الميلادي، السابع الهجري، انتشر الشك داخل المجتمع الصليبي وخاصة المؤسسة العسكرية وعلاقاتها الخارجية بالقوى المجاورة، وبالأخص بالأرمن، ويرجح أن سبب ذلك هو شعور الصليبيين بتدهور مجتمعهم من الجانب الداخلي والخارجي على حد سواء، وكان من نتيجة انتشار الشك في الولاء القيام بعمل تهوري وقاس، مثل القتل بالحرق وهي ميتة بشعة انتشر العمل بها لمجرد الشك في ولاء التابعين.

---

(١) Eracles, pp١٩٥-١٩٨, Charles E. Nowell, The Old man of the Mountain, in: J.M. S, vol,٢٢, p٥٠٨,

وانظر: حسين عطية، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، ص ٢٠٥، حاشية رقم(١٨).

(٢)حسين محمد عطية، إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون (١١٧١-١٢٦٨م/٥٦٧-٦٦٦هـ)، دار المعرفة الجامعية، ط. الإسكندرية، ١٩٨٩م، ٣٥١.

وقد كان للعلاقات المتوترة بين الأمراء الصليبيين أكبر الأثر في تدهور الوضع الأمني في الإمارات والمدن الصليبية. وفي عام ١٢٥٨م/٦٥٥هـ اتسعت حدة الخلافات بين كل من بوهمند السادس أمير طرابلس وبين تابعه برتراند أمير جبيل، فلقد عمل هنري أمبرياكو Henry Ambriaco (١٢٥٢-١٢٦٢م/ ٦٥٠-٦٦٠هـ)[1] على الاستقلال بمدينة جبيل بعيدًا عن سلطة سيده بوهمند أمير طرابلس، بل لقد تطور الأمر إلى مهاجمة برتراند حاكم جبيل لسيده بوهمند في عقر داره بطرابلس[2].

وقام برتراند بتعبئة قواته لمهاجمة طرابلس، وبالفعل تقابل مع بوهمند خارج طرابلس وتمكن من هزيمته، بل وإصابته بجرح خطير، غير أن بوهمند تمكن من العودة بصعوبة إلى طرابلس بعد هزيمته أمام برتراند، وبعدما تعافى بوهمند من إصابته فكر جديًا في الانتقام من برتراند، فقام بعمل ترتيبات سرية من أجل القضاء على برتراند بالتعاون مع فلاحي القرى، من أجل أن يأتوه برأسه، وفي أحد الأيام وبينما كان برتراند خارجًا لتفقد قراه مصطحباً معه فارس صغير، وكان في بعض الطريق انحدار خطير ومن خلفه سور لأحد مزارع العنب، وعندما مر برتراند من تلك المنطقة وثب عليه حوالي اثنى عشر نفرًا من الفلاحين وصوبوا سهامهم نحوه، فحاول الفرار غير أنه سقط عن جواده وأصابته السهام في جميع أنحاء جسده حتى سقط جثة هامدة، وقطعت رأسه ثم قتل الفارس الصغير الذي كان مصاحبًا له، وأرسلت رأسا الاثنين إلى بوهمند في سلة مصنوعة من الأغصان، وقد ابتهج الأمير بوهمند لذلك كثيرًا وقام بإجزال العطاء لهم[3].

من الملاحظ أن العلاقات بين أمراء الصليبيين خلال القرن الثالث عشر الميلادي السابع الهجري، كانت مليئة بالتوتر والصراعات العنيفة، والتي تمثلت أسبابها في؛ دوافع خارجية ظهرت

---

(١) هنري أمبرياكو:- وقد تولى حكم مدينة جبيل، وكان يعد العدو اللدود لبوهمند السادس صاحب طرابلس، ومنذ اللحظة الأولى التي تولى فيها حكم تلك المدينة، أعلن انفصال تبعيته عن كونت طرابلس، وأعترف بفضل الجنوية وساندهم، انظر:-

سامية عامر، الصليبيون في فلسطين، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص١٢٢.

(٢) رنسيمان، الحملات الصليبية، ج٣، ص٣٣٨.

(٣)The Templar of Tyre, part III of the Deeds of the Cypriots, Trans by, Paul Crawfod, Cornwall, ٢٠٠٣, p٣٢.

نبهى فتحي، إمارة طرابلس، ص٨٨، انظر الملحق، ص ٢١٥.

في ضغوط المسلمين من أجل استعادة أراضيهم المحتلة من قبل الصليبيين، ودوافع داخلية تمثلت في نوعية المهاجرين الجدد وما صاحبهم من مشاكل مختلفة عن المجتمع الصليبي في بلاد الشام[1]، حتى لجأ الأمراء إلى أسلوب قتل أعدائهم عن طريق تابعيهم، بعدما عجزوا عن مواجهة أعدائهم أو قهرهم في ميدان المعارك والحرب المباشرة، وقد استخدموا في ذلك سلاح الرشوة الذي كان له سحر خاص في تطويع التابعين لخدمة سادتهم، بل وتطويع القتلة المحترفين سواء أكانوا من الصليبيين أم من المسلمين لأداء أغراضهم، ويلاحظ أيضاً ترابط كل من جريمة الرشوة والقتل، حيث استخدمت الرشوة كثيرًا من أجل القتل.

وفي خلال فترة الهدنة عام ١٢٨٢م/ ٦٨٠هـ، كان بوهمند السابع قد عقد العزم على الانتقام من جاي الثاني أمبرياكو Guy II Embericao[2]، (١٢٧١-١٢٨٢م/ ٦٧٠-٦٨١هـ) حاكم جبيل، الذي ألحق به عار الهزيمة من قبل، في حين كانت انتصارات جاي المتوالية على قوات إمارة طرابلس قد شجعته على مهاجمة إمارة طرابلس، وعندما انتهت الهدنة التي كانت معقودة بين الطرفين، تحرك جاي في يناير عام ١٢٨٢م/شوال ٦٨٠هـ، نحو طرابلس بهدف الاستيلاء عليها[3]، غير أن الخلافات دبت بين كل من جاي والداوية، بسبب عدم وجود ثقة متبادلة بين الطرفين، مما أدى إلى لجوء جاي إلى برج الإسبتارية لمساندته، إلا أن تلك الأنباء وصلت إلى بوهمند السابع الذي سارع بمحاصرتهم في ذلك البرج. وتدخلت الداوية لرفع الحصار عن جاي والإسبتارية، مقابل استسلامهم المشروط بالمحافظة على حياتهم، غير أن بوهمند غدر بهم، وقام بسمل أعين رفاق جاي من الداوية، وكان عقابه لبقية أعدائه أن أرسلهم إلى مدينة نيفين في فبراير ١٢٨٠م/ ذي القعدة ٦٨٠هـ، وقام بدفن أجسادهم حتى الأعناق وهم أحياء ثم تركهم يموتون جوعًا[4].

---

(١) للمزيد من التفاصيل عن تكوين المجتمع الصليبي ومشاكله راجع الفصل الأول.

(٢) **جاي الثاني أمبرياكو:-** هو ابن أخت لورد بيروت جون أوف أبلين الأصغر الذي توفى، ولذلك فقد إنحدر من عائلة أصلها من مدينة جنوة الإيطالية تدعى أمبرياكو، وكان جده وليام أوف أمبرياكو حاكم جبيل، وقد دخل جاي في صراعات مع بوهيمند السابع أمير طرابلس، وقد قتل عام ١٢٨٢م/٦٨١هـ للمزيد عنه أنظر:-

The Templar of Tyre, Op.Cit p٧١.

(٣) نهى فتحي، إمارة طرابلس، ص٩٨.

(٤) Les Gesta des Chiprois, ed. R.H.C. Doc Arm, t.II, Paris, ١٩٠٦, pp.٧٤٨-٧٥٠,

سامية عامر، الصليبيون في فلسطين، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص

ومن الجدير بالذكر أنه على الرغم من أن جماعة الداوية، مثلها مثل بقية الجماعات الدينية الصليبية الأخرى، كان لها قوانينها الخاصة بها في معاقبة المخطئين داخل الجماعة، غير أنهم لم يستطيعوا الصمود في وجه بوهمند ولا منعه من معاقبة إخوانهم، ويضاف إلى ذلك انتشار نوع آخر من القتل وهو الدفن حتى الرقبة وترك المتهم بلا طعام ولا شراب حتى الموت، وأيضًا اتباع طريقة سمل الأعين مع المتآمرين، كل ذلك يدل على مدى بشاعة تلك الجريمة وتطورها خلال القرنين الثاني والثالث عشر الميلاديين، السادس والسابع الهجريين.

ولقد شهد عام ١٢٧٠م/٦٦٨هـ، ضربة موجعة للمجتمع الصليبي، فقد أراد السلطان بيبرس (١٢٦٠-١٢٧٧م /٦٥٩-٦٧٦هـ) أن يثير الفوضى داخل صفوف الصليبيين، وذلك بأن عقد اتفاقًا مع الحشاشين من أجل اغتيال فيليب مونتفرات Philip of Montfort[1] أمير صور، فلقد شعر الحشاشون بالامتنان لبيبرس لأنه خلصهم من سيطرة فرسان الإسبتارية، بغزواته التي قادها ضدهم، كما أنهم ازدروا بشدة المفاوضات الصليبية المغولية التي دمرت مقرهم الرئيسي ببلاد فارس[2]. وتقابلت رغبتهم تلك مع رغبة السلطان بيبرس الذي علم أن فيليب قام بإرسال خطابات ورسائل إلى ملوك أوربا يحثهم فيها على القدوم إلى بلاد الشام، و لذلك أراد بيبرس التخلص منه بأقصى سرعة، فاستعان بيبرس بالحشاشين لتحقيق هدفه، وبالفعل أرسل الحشاشون اثنين من أتباعهم إلى مدينة صور، وقابلا فيليب مونتفرات هناك وطلبا منه التنصر، وبالفعل وافق فيليب على طلبهم وقام بتعميدهم وأدخلهم في خدمته ووثق بهم، وقد علم بمخططهم أحد فرسان الصليبيين وكشف سرهم، غير أنهم استطاعوا رشوته بمائة بيزنط[3]،

١٣٥، إبراهيم خميس إبراهيم سلامة، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، دار المعرفة الجامعية، ط. الأسكندرية، ٢٠٠٢م، ص٣٥٤، نهى فتحي، المرجع السابق، ص ٩٨ - ٩٩.

(١) **فيليب مونتفرات:** كان والده هو جاي مونتفرت، وأمه هيلفيس إبلين، تزوج من ماريا الأرمينية ابنة ريموند روبين التي ورثت إقطاع تبنين، كان شديد الولاء لأخواله آل إبلين، ومن ثم تصدى لمحاولة فلانجيري عام ١٢٤٣م/٦٤١هـ للقضاء على الأبلنيين في عكا، شارك في المعركة الحربية التي هزم فيها الجيش المصري الصليبيين عام١٢٤٣م/٦٤١هـ كما شارك في حملة لويس على مصر وفر من الأسر في دمياط وشارك مشاركة فعالة في الأحداث السياسية وذاع تأييده المطلق للملك هيو الثالث زلميز من التفاصيل انظر:

The Templar of Tyre, part III, PP.٦٠-٦٣

(٢) رنسيمان، الحملات الصليبية، ج٣، ص٣٨٦.

(٣) **البيزنط أو البيزنت:-** وعرف بالسوليدس، وهو نقد ذهبي أطلق عليه البيزنطيون اسم نومزما، والتى استمرت متداولة إلى أن أطلق عليها فى الفترة الأخيرة للامبراطورية البيزنطية فى أوربا الغربية وفى القسم الشرقي لها

حيث ظل صامتًا، وفي يوم الأحد ١٧ أغسطس ١٢٧٠م/ ٢٨ ذي الحجة ٦٦٨هـ، بينما كان فيليب واقفًا عند مدخل الكنيسة يتحدث مع أحد أتباعه، فلما انتهى فدخلا عليه الكنيسة فوجداه هو وابنه جون أوف مونتفرات John of Montfort يقدمون القرابين وبصحبتهم فارس واحد يدعى وليم أوف بيكاجيني William of Picquigny ، وبالفعل انتهز أحد الحشاشين الفرصة وانقض على فيليب وطعنه بالخنجر في صدره، ثم حاول قتل ابنه جون غير أن الحارس الخاص بجون استطاع القبض عليه، وتم قتل الحشاش الآخر، أما الحشاش الذي قتل فيليب فتم شنقه. وفيما يتعلق بالفارس الصليبي الخائن فتم التعرف عليه، فقبضوا عليه و عذبوه حتى مزقوا لسانه وقطعوا يده اليمنى ثم تم سحبه وشنقه في نهاية الأمر[١].

ويلاحظ أن عمليات الحشاشين القاتلة لم تكن دائمًا بجانب الصليبيين ضد المسلمين، بل تغير الوضع وامتدت تلك الاغتيالات لصالح المسلمين أيضًا، وذلك كنوع من أنواع رد الجميل لما فعله بيبرس من تحريرهم من السيطرة الصليبية، كما يلاحظ أيضًا أن القادة الصليبيين لم يتخذوا حذرهم بشكل كامل بالنسبة لسلامتهم الشخصية، معتمدين في ذلك على قوتهم الشخصية وغرورهم في نفس الوقت، على أساس أن المسلمين لن يستطيعوا النيل منهم، وهو ما أثبت عكس ذلك على مر تاريخهم ببلاد الشام.

وفي عام ١٢٧٢م/ ٦٧٠هـ، عندما كان الأمير إدوارد Edward[٢] الإنجليزي موجودًا في

اسم بيزنت:- انظر :- رأفت النبراوى، النقود الصليبية، هامش رقم (٢)، ص٢٣، انظر الملحق، ص ٢١٥.

(١) The Templar of Tyre, Op. Cit p.p ٦٥,٦٦.

(٢) **الأمير إداورد:** هو ابن هنري الثالث ملك إنجلترا وولي عهده، ولد في (١٧ من يونيه ١٢٣٩م/١٤ ذي القعدة ٦٣٦هـ)، قرر المشاركة في حملة لويس التاسع الصليبية على تونس عام ١٢٧٠م/٦٦٩هـ، لكنه تأخر ووصل بعد فوات الأوان، لكنه قرر الوفاء بالنذر الصليبي الذي قطعه والده على نفسه ولم يستطع الوفاء به بسبب المشاكل السياسية التي تعاني منها بلاده، لكنه لم ينجز شيئًا، فغادر عكا بعد عقد هدنة مع المماليك في عام ١٢٧٢م/٦٧١هـ ليجد نفسه وقد صار ملكًا على إنجلترا بعد وفاة والده، لكنه ظل مهتمًا بالحركة الصليبية دون أن يستطيع تقديم شيء يذكر في ظل مشاكله الأوربية وتدهور أحوال الصليبيين في بلاد الشام، حتى توفي عام ١٣٠٨م/٧٠٨هـ، للمزيد عنه انظر:

The Templar of Tyre, PP٦٧-٦٩, Eracles, L'Histoire D'Eracles Empereur et La Conqueste De La Terre d'Qutremer, R.H.C, Hist. Occidentaux, Tom. II, Paris, ١٨٤٩, pp. ٦١-٦٢, The Chronicle of Bury st. Edmunds, Trans. By: Antonia Gransden, London, ١٩٦٤, PP٤٦-٥٤,

أيضاً: زينب عبد المجيد عبد القوي، الإنجليز والحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،

مدينة عكا، كانت توجد نية للتخلص منه انتقاما لما قام به من مذبحة للتركمان أمام حصن كاكون[١]، فقد قدم إلى مدينة عكا أحد الحشاشين مدعيًا أنه يريد التنصر، ولم يمانع الأمير إدوارد وأمر أن يبقى بين خواصه، بل وأقنعه ذلك الحشاش أنه يستطيع التجسس على المسلمين لصالح الصليبيين، وقام بذلك عدة مرات حتى أطمئن له الصليبيون، ووثق به اللورد إدوارد وسمح له بالتحدث نيابة عنه[٢]، وفي يونيو ١٢٧٢م/ ذي القعدة ٦٧٠هـ، دخل الفداوي على إدوارد محاولاً قتله أثناء تسلمه أحد الخطابات منه، وكان الملك إدوارد حريصًا إفقد استطاع مقاومته وإسقاط الخنجر من يده على الأرض ولكن بعدما أصيب بثلاث طعنات في ذراعه، ودار بينهما قتال شديد استطاع الملك إدوارد خلاله الإيقاع به على الأرض وقتله[٣]، وقد بذلت زوجة الملك إدوارد إليانور كاستلا Eleanor of Castle جهدًا كبيرًا من أجل سلامة زوجها حتى تماثل للشفاء[٤].

أما فيما يتعلق بعمليات القتل العشوائي والجماعي، فقد حدث بمدينة عكا عام ١٢٩٠م/٦٨٨هـ، التي كان التجار يأتون من دمشق بمتاجرهم إليها، و تحديدًا في أغسطس من ذلك العام، وصلت قافلة المحاربين المرتزقة إلى ميناء عكا، ومن لحظة وصولهم إلى المدينة وضعوا السلطات الصليبية في موقف محرج، حيث كانوا فوضويين وسكارى فاسقين، ولم يستطع قادتهم السيطرة عليهم، وذلك لعجزهم عن دفع رواتبهم بانتظام، وقد بدأوا يهاجمون الفلاحين المسلمين المسالمين، واندلعت أعمال الشغب في كل مكان، واندفع غوغاء الصليبيين في شوارع مدينة عكا يقتلون كل مسلم يقابلونه، ولأنهم كانوا معتقدين أن كل من له لحية مسلم، فقد هلك مسيحيون محليون، وارتاعت بارونات المدينة لما حدث، فتدخلوا لإنقاذ المسلمين، وقبضوا على بعض زعماء المشاغبين، غير أن أنباء تلك المذبحة وصلت إلى السلطان الأشرف خليل بن قلاوون[٥]

ط. القاهرة، ١٩٩٦م، ص٢٠٧-٢٣٨، محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص٢٣٨.

(١)زينب عبد المجيد عبد القوي، المرجع السابق، ص٢١٥.

(٢)The Templar of Tyre, Op.Cit, p٦٨.

(٣) أسامة زكي، الصليبيون، ص٢٣٨.

(٤) جرجس فام ميخائيل، الأحوال السياسية لمملكة بيت المقدس لصليبية وعلاقاتها الخارجية (١١٩١-١٢٩١م/ ٥٨١- ٦٩٠ هـ)، رسالة دكتوراه، جامعة الزقازيق، ١٩٨٩م، ص٢٣٩.

Prestwich, Edward I, London, ١٩٩٧, p٧٨.

(٥) هو خليل بن قلاوون الملقب بالسلطان الأشرف صلاح الدين، وهو ابن السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحي، جلس على تخت الملك بعد وفاة والده، ومن الثابت أن السلطان قلاوون كان لا يثق فيه، ولا يميل إليه

(١٢٩٠-١٢٩٣م/٦٨٩-٦٩٣ هـ) الذي غضب بشدة لما حدث، وأصر على تسليم المجرمين له لكي يعاقبهم بنفسه على فعلتهم، وعقد البارونات مجلسًا للتشاور فيما بينهم، حيث نشبت الخلافات وتناقضت الآراء حول تسليم المجرمين إلى السلطان أو لا[١].

ومن المثير للانتباه هنا صمت المصادر الصليبية عن جرائم القتل التي كانت تتم داخل طبقة العامة الصليبية، واكتفائهم بترديد أن المجتمع الصليبي عامر بالمجرمين الذين كانوا السبب الرئيسي في انتشار الجرائم وتعددها داخل المجتمع الصليبي، واهتموا فقط بالطبقة الحاكمة، ويرجع ذلك إلى أن أغلب الكتاب الصليبيين كانوا من المؤرخين الرسميين للسلطة الصليبية، فلم يهتموا بالحوادث اليومية لطبقة العامة، وأيضًا يرجح صمت هذه المصادر عن ذكر جرائم القتل إلى كثرة حدوثها ووقوعها داخل المجتمع الصليبي، مما جعلهم يعزفون عن ذكرها حتى يظهرون مميزات المجتمع الصليبي ويسترون عيوبه القاتلة.

ويتضح مما سبق أن جريمة القتل لم تكن بشيء جديد على المجتمع الصليبي، ويرجع ذلك لتكوين المجتمع الصليبي ذاته والذي ضم بين عناصره العديد من القتلة الهاربين من أوربا، فارين بجرائمهم من وجه العدالة، بهدف التوبة غير أنهم سرعان ما تناسوا هدفهم الأساسي من الرحلة، وعادوا لممارسة جرائمهم مرة أخرى في المجتمع الصليبي ببلاد الشام.

ويضاف إلى ذلك العوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي مر بها الصليبيون ببلاد الشام، والتي اختلفت تماما عن واقع معيشتهم الأوربية، مما كان له أكبر الأثر في تفشي جريمة القتل داخل المجتمع الصليبي.

وكان للخيانة الزوجية دور مهم في انتشار جريمة القتل بين طبقات المجتمع الصليبي، حيث

ولا يرضى عن تصرفاته، وأعتقد أنه غير كفء لتولى شئون الحكم، ورفض أن يوقيع التقليد له بولاية العهد، غير أن ذلك لم يمنعه من تولى الملك، خاصة أن الموقف كان يتطلب سرعة تولى سلطان لقيادة البلاد، خوفا من الأخطار الخارجية، وقد إستكمل الأشرف مسيرة الجهاد ضد الصليبيين، حتى قام بتصفية أخر معاقلهم فى عام ١٢٩١م/ ٦٩٠هـ، غير أن سوء العلاقة بينه وبين أمرائه أدى إلى مقتله فى عام ١٢٩٣م/ ٦٩٣هـ، بيبرس الدواداري المنصورى، التحفة الملوكية فى الدولة التركية، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، ط. بيروت، ١٩٨٧م، ص ١٢٥، النويري، نهاية الأرب فى فنون الأدب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج ٣١، تحقيق : السيد الباز العريني، ١٩٩٢م، ص ١٧٨، محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك فى مصر وبلاد الشام، ٦٤٨- ٩٢٣هـ/١٢٥٠م- ١٥١٧م، دار النفائس، ط. بيروت، ١٩٩٧م، ص.ص ٢٠١- ٢١٠.

(١) رنسيمان، الحملات الصليبية، ج٣، ص ٤٧٣.

تسارع كل من الأزواج والزوجات في التخلص من الآخر، حتى يخلو له الطريق أمام مصاحبة طرف آخر يقضي معه وقتًا من المتعة، حتى لو أدى ذلك الأمر إلى كوراث اجتماعية.

كما تزايدت عمليات القتل بصورة كبيرة في القرن الثالث عشر الميلادي، السابع الهجري، داخل المجتمع الصليبي ببلاد الشام، نتيجة لتدهور الوضع الأمنى داخل الإمارات الصليبية، وكثرة الصراعات والحروب بين عناصر المجتمع الصليبي نفسه.

الفصل الثالث

جريمة الزنا

* تعريف الزنا ودوافعه.
* انتشار الزنا في طبقات المجتمع الصليبي العليا.
* تفشي جريمة الزنا داخل المجتمع الكنسي الصليبي.
* الزنا في الطبقات الدنيا.

يتناول هذا الفصل بالدارسة جريمة الزنا، ودوافع تلك الجريمة داخل المجتمع الصليبي ببلاد الشام، وجرائم الزنا التي وقعت بين طبقات المجتمع المختلفة، ويضاف إلى ذلك جريمتا الدعارة والشذوذ الجنسي، وتأثير تلك الجرائم على مختلف طبقات المجتمع الصليبي.

وبداية القول يجب أن نعرف الزنا كما عرفه القانون الكنسي، فالزنا:- هو العيش كزوجين ويكون أحدهما أو كلاهما ناذرين للعفة[١] -ولكنهما لم يلتزما بقواعد نذر العفة- ، وليس بالضرورة أن يسكنا تحت سقف واحد باستمرار، بل تكفي أن تكون هناك علاقات جنسية متكررة مع ذات الشخص، أصبحت علنية وأحدثت فضيحة بين المؤمنين[٢].

وقد عرفته المصادر الإسلامية بأنه: إيلاج الذكر بفرج محرم لعينه[٣]، وعرفته المالكية بأنه: وطء مكلف فرج آدمي، لا ملك له فيه باتفاق تعمدًا[٤]، وقد عرفه ابن رشد بأنه: هو كل وطء وقع على غير نكاح صحيح ولا شبهة نكاح ولا ملك يمين[٥]، والمقصود بالوطء هنا: هو إيلاج فرج في فرج بقدر الحشفة بحيث يكون الذكر في الفرج كالميل في المكحلة والرشاء في البئر وإن لم تكن للذكر حشفة فبقدرها، ويعتبر الوطء زنا ولو كان هناك حائل بين الذكر والفرج ما دام هذا الحائل خفيفًا لا يمنع الحس واللذة[٦]، ونخرج من هذا إلى

---

(١) ناذرين للعفة:- وهي أن يتخلى الإنسان عن اللذات الجسدية حتى الجائزة منها ضمن الزواج، للمزيد عن نذر العفة، انظر:-

منتدى الشبكة المسيحية http://fadilrammo.com/forum/showthread.php?p=51381

(٢) مجموعة مؤلفين، شروحات مجموعة قوانين الكنائس الشرقية، تقديم: الكاردينال البطريرك مار إغناطيوس موسى الأول داود، منشورات المكتبة البولسية، ط. بيروت، ٢٠٠٥م، ص١٥٩٤.

(٣)دندل جبر، الزنا، مكتبة المنار، ط. الزرقاء، الأردن، ١٩٨٧م، ص١٣.

(٤)عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالشريعة الإسلامية، الجزء الأول، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، ١٩٨٦م، ج٢، ص٣٤٩.

(٥)ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار المعرفة بيروت، ١٩٨٢م، ج٢، ص٤٣٣، أحمد عبد المجيد محمد، أحكام ولد الزنا في الفقه الإسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، ٢٠٠٨، ص١١.

(٦) دندل جبر، المرجع السابق، ص١٤، عبد القادر عودة، المرجع السابق، ج٢، ص٣٥٠.

أن الزنا هو إقامة علاقة جنسية غير شرعية بين الرجل والمرأة.

أما الدعارة: فقد تعددت تعريفاتها: فهي إما تسويق للزنا بغرض الكسب المادي، أو فعل فاحشة الزنا بشكل ذى طابع خاص، وهو إحداث فاحشة الزنا عن طريق قواد، وتصنيفها القانونى هو الاعتياد، أو هي خطيئة ضد العفة والمترافقة مع فضيحة علنية ودائمة مع أكثر من شخص، وتعتبر هذه بمثابة مخالفة ظاهرة للقانون ولذا تستوجب العقوبة(٧).

ولذلك فقد وصف الجيل الأول من الصليبيين على لسان أحد المؤرخين وهو المستشار والتر walter the chancellor (١١١٤-١١٢٢م/٥٠٧-٥١٥هـ) (٨) أنهم امتلكوا روح الدعارة بل وكانوا يسارعون إليها، بل إن الأزواج والزوجات اعتادوا على إشعال رغباتهم الجنسية المتبادلة من أجل الحصول على المال، بل ساد اعتقاد بينهم أن الانغماس في الممارسات الجنسية هو من أساس الحياة الفاضلة، فلقد قامت الزوجات بممارسة الزنا مع الأقارب وهو ما يعرف بزنا المحارم(٩)، حتى اعتقد الصليبيون أن مجرد المشاركة في الجهد الصليبي من شأنه أن يغفر لهم خطاياهم، فانغمسوا في كثير من الانحرافات التي اعتادوا عليها، ومنها الخطايا الجنسية كارتكاب فاحشة الزنا أو اللواط(١٠).

---

(٧) مجموعة مؤلفين، شروحات مجموعة قوانين الكنائس الشرقية، ص١٥٩٤.

(٨) كان والتر رئيسا لقضاء مدينة أنطاكية في الفترة من ١١١٤م/٥٠٧هـ حتى ١١٢٢م/ ٥١٥هـ، وأصبح المستشار الخاص لروجر أمير أنطاكية، وكان قد شاهد معركة ساحة الدم التي وقعت أحداثها عام ١١١٩م، وقد تلقى والتر تعليما دينيا كما يدعي، وقد قام بتأليف كتابه عن الأنطاكيين، وكما أنه صاحب الأمير روجر في حروبه ضد المسلمين، ويرجح أنه من ضمن الصليبيين الذين أسروا في معركة ساحة الدم، للمزيد من للتفاصيل انظر:-

Alan Murray, The Crusades, An Encyclopedia, Vol. I, California, 2006, p1239.

(9) Daniel (N), The Arabs and Mediaeval Europe, London, 1975, p202.

(١٠) حسين عطية، " مجلس نابلس ٢٣ يناير ١١٢٠م وأحوال مملكة بيت المقدس الصليبية "، حولية التاريخ الإسلامي والوسيط، المجلد الأول، الجزء الأول، ط. القاهرة، ٢٠٠٠-٢٠٠١م، ص٤٦.

يتضح من ذلك أن تلك الصفات السيئة وتلك الجريمة البشعة التصقت بهم منذ بداية قدومهم إلى بلاد الشام، بداية من الحملات الشعبية والحملات المنظمة للفرسان، ومرورًا بالحملات الصليبية المتتالية على بلاد الشام كما سيتناوله الفصل بالدراسة.

فقد كان لارتكاب جريمة الزنا والدعارة وشيوعها داخل المجتمع الصليبي دوافع وأسباب دفعته للانغماس في حياة الفساد، وانتشرت بين ابنائه روح الميوعة والانحلال الخلقي وتفتح أبواب الغواية التي جرت أبناءه نحو الرذيلة والانحطاط[1]، ومنها أن المرأة الصليبية في بلاد الشام عاشت في حياة رغدة لم تتعودها في موطنها الأصلي في أوربا، وذلك مما دفعها إلى الإسراف الممقوت في التزين والمغالاة في التبرج، غير مراعية أصول العادات الشرقية في هذا المجتمع، فأخرجها هذا التبرج عن الحياة الكريمة الشريفة، وأبعدها عن دائرة العفة والفضيلة، وانغمست في حياة الفسق والفجور، وتسلطت على الرجل الصليبي حتى أصبحت هي الآمر الناهي، ولم يعد للرجل من أمر، فاتبعت بذلك حياة الهوى والتبذل الرخيص، حتى ضج المؤرخون من تصرفاتهن البذيئة، ووجهوا لهن النقد اللاذع، ووصفهن بما يستحقوا من صفات غير كريمة[2].

ومن المرجح أن تلك الأوضاع الجديدة والظروف المعيشية المختلفة التي عاشت فيها المرأة الصليبية بعيدًا عن موطنها الأصلي في أوربا، دفعها لارتكاب تلك الفواحش سواء أكان ممثلاً الزنا أم الدعارة، والذي ساعدها على ذلك ضعف الرقابة عليها التي كانت ممثلة في الرجل؛ لأنه وقع تحت سيطرتها، ويضاف إلى ذلك اعتقادها أن ممارسة الزنا أو الدعارة مع الرجل إنما هو عمل يقربها إلى الله، وقد انتشرت تلك الجريمة على الرغم من رفض الكتاب المقدس لها، وتحريمه العلاقات الجنسية غير المشروعة مثل اللواط[3]، ويضاف إلى ذلك

---

(١) دندل جبر، الزنا، ص٦٥.

(٢) أحمد الشامى، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، دار النهضة العربية، ط. القاهرة، ١٩٨٥م، ص.ص ٢٠٦، ٢٠٧.

(٣)الكتاب المقدس، اللاويين، ١٨/ ٢٢، «لا تضاجع ذكرًا مضاجعة امرأة، إنه رجس»، وأيضا في=

ذلك ضعف القوانين أو عدم فعاليتها في إنزال العقوبة بمرتكبي تلك الجريمة، كل ذلك منحها قدرًا كبيرًا من الحرية لممارسة تلك الجريمة البشعة.

وقد رسم لنا ابن جبير[1]، صورة لذلك التزين الصارخ للمرأة الصليبية عندما كان بمدينة صور، حيث حضر إحدى حفلات الزفاف التي كانت مقامة بالمدينة أنذاك، واصفًا إياها متعجبًا من مراسمها الغريبة، ومستاءً من آلات العزف والأبواق والمزامير التي كانوا يعزفون عليها، واصفًا لمراسم ذلك الزفاف وقواعده الغريبة، كما وصف ملابس العروس والنساء اللاتى حضرن ذلك الزفاف من الصليبيات مستعيذًا بالله من فتنة المنظر، الذي كان يدعو إلى الغواية[2].

يلاحظ من ذلك أن تلك المراسم التي شاهدها ابن جبير في مدينة صور،

=اللاويين (٢٠/١٣) يقول: وإذا اضطجع رجل مع ذكر اضطجاع امرأة فقد فعلا كلاهما رجسًا. أنهما يقتلان. دمهما عليهما".

(١) ابن جبير: هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، وأسرته في الأصل من مدينة شاطبة، وقد ولد في بلنسيه، وذلك في عام ١١٤٥م/٥٤٠هـ، وقد أهتم والده بتربيته، فدرس العلوم الدينية واللغوية، وظهرت موهبته الأدبية فقرض الشعر، ولمع أسمه، ومن ثم اتخذه حاكم غرناطة أبو عثمان سعيد بن عبد المؤمن، رفيقاً له وجعله أحد كتاب ديوانه، ويذكر أن حاكم غرناطة اضطره إلى شرب الخمر، وكافأه على ذلك بأن أعطاه سبعة كؤوس مليئة بالدنانير، وقد عقد ابن جبير العزم على أن يقوم بالحج إلى بيت الله الحرام من أجل التكفير عن ذلك الإثم الكبير، ومن هنا نبتت في ذهنه فكرة الإرتحال إلى الشرق، وقام ابن جبير بثلاث رحلات إلى الشرق، إذ أنه غادر غرناطه في عام ١١٨٣م/٥٧٨هـ، وركب البحر في سفينة وقصد الإسكندرية وتنقل في أنحاء مصر، ثم إتجه من عيذاب إلى الحجاز حيث قام بتأدية فريضة الحج، ومكث في الأرض المقدسة مدة ستة أشهر ثم أتجه إلى العراق، ثم إلى بلاد الشام حيث كان الصليبيون قد أخضعوا بعض المناطق هناك، ثم ركب البحر من عكا عائداً إلى بلاده، فوصل هناك في عام ١١٨٥م/ ٥٨١هـ، وتوفي عام ١٢١٩-١٢٢٠م/٦١٦-٦١٧هـ، لمزيد من التفاصيل عن حياته. انظر كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ت. صلاح الدين هاشم، ج١، الخرطوم، ١٩٦١، ص ٢٩٩- ٣٠٢، شوقي ضيف، الرحلات، ط. القاهرة، ١٩٥٦م، ص ٧٠-٩٤،أحمد رمضان، الرحلة، والرحالة المسلمون، ص ٣٢٣-٣٣٨، محمد مؤنس، الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط. القاهرة،١٩٩٥م، ص ٢٨٣-٣٠٩.

(٢)ابن جبير، تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، تحقيق: محمد زينهم، دار المعارف، ط. القاهرة ٢٠٠٠م، ص٢٤٢.

كانت غريبة على مجتمع بلاد الشام، وقد وصفها ابن جبير من باب الدهشة، وأيضًا من باب الاشمئزاز لما فيها من صور الغواية سواء من الرجال أم النساء، وخاصة ملابس النساء العارية التي كانت تدعو إلى فتنة الرجال.

كما أن المرأة الصليبية كانت تتمتع بالجرأة، ولم تكن لتلتزم بطاعة زوجها، وذلك نتيجة لأن العلاقة الزوجية التي جمعت بينهما كانت تشوبها في كثير من الأحيان عدم الوفاق، والذي نتج عن صغر وتباين أعمار الزوجين، حيث كان سن البلوغ عند الإناث حوالي الثانية عشرة، بينما كانت سن البلوغ عند الذكور سن الخامسة عشرة، وقد تكون تلك الخلافات نابعة في الأساس بسبب أن أغلب تلك الزيجات كانت قائمة على أطماع مادية، وكان من الطبيعي أن تتطور تلك الخلافات إلى الخيانة الزوجية من أحد الطرفين أو من كليهما على حد سواء، فلقد شاع ذلك الأمر بين الصليبيين[١].

ومن تلك الزيجات غير المتكافئة، ما حدث عام ١٢٠٨م/ ٦٠٤هـ، فعندما بلغت ماري Maria of Jerusalem (١١٩٢-١٢١٢م/٥٨٨-٦٠٨هـ)، الوريثة الشرعية لمملكة بيت المقدس الصليبية سن الرشد، بدأت مشكلة البحث عن عريس مناسب لها من ناحية، ومن أجل تولي عرش المملكة وحماية مصالح الصليبيين ببلاد الشام من ناحية أخرى، فتنافس الأمراء فيما بينهم على الزواج منها، بما فيهم الواصي عليها حنا دي إبلين، فانعقد مجلس بعكا لمناقشة تلك المسألة، ونتج عن ذلك الاجتماع تفويض الملك الفرنسي فيليب أغسطس لحلها، فاختار الملك فيليب حنا دي برين الذي كان في الستين من عمره، والذي كان على مقدرة وكفاية سياسية تأهله لمراعاة مصالح الصليبيين ببلاد الشام، على الرغم من التفاوت الكبير في سن كل من ماري التي لم تبلغ العشرين بعد، وحنا دي برين الذي أتم العقد السادس من عمره، وفي عام

---

(1)Geoffrey De Vinsauf, Richard Of Holy Trinity , Itinerary Of Richard I and Others To The Holy Land, Trans. by A Classical Schola And A Gentheman Well – Read In Mediaeval History , Cambridge 2001, p4.

نهى فتحي الجوهري، إمارة طرابلس الصليبية في القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري، دار العالم العربي، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص.ص١٩٤،١٩٣.

١٢١٠م/٦٠٦هـ، وصل حنا إلى عكا حيث سرعان ما تزوج من ماري، ثم تم تتويجه بعد ذلك ملكًا على مملكة بيت المقدس داخل كاتدرائية صور في أوائل أكتوبر من العام نفسه، غير أن الملكة ماري لم تلبث أن توفيت عام ١٢١٢م/٦٠٨هـ حزناً على شبابها الضائع من رجل في سن أجدادها، بعد أنجبت له طفلة تدعى إيزابيلا أو يولاند(١).

ويرجح أن كثرة الخلافات التي كانت تقع داخل الأسرة الصليبية، كانت من أهم أسباب لجوء الزوجات إلى خيانة أزواجهن كنوع من أنواع الانتقام منهم، وقد ساعدهم على ذلك سيطرتهن على أزوجهن من جهة، ومن جهة آخرى كان الرجل يهرب من سيطرة زوجته إلى امرأة أخرى حتى يمارس سيطرته عليها كرجل، وتمثل ذلك الهروب في الزنا بامرأة أخرى غير زوجته.

ومن المرجح أن حياة الدعة والتراخي التي عاشها الصليبيون ببلاد الشام، وخاصة طبقة النبلاء وكبار السادة الإقطاعيين منهم، وما سادها من جو دافئ وفراغ كبير، فأثاروا الراحة مع توافر ضروريات الحياة وكمالياتها، فقد سكنوا القصور الفخمة التي تألفت في العادة من طابقين في وسطها من الداخل نافورة تتدفق منها المياه وكسيت نوافذها بالزجاج الملون وحليت أراضيها بالفسيفساء(٢)، فربما ساعدت كل تلك الظروف على انتشار جريمة الزنا والدعارة فيما بينهم.

ويضاف إلى تلك العوامل، عامل مهم وهو ضعف الوازع الديني، فقد كان لضعف الوازع الديني في نفوس الصليبين أثر كبير في نشر رذيلة الزنا والدعارة داخل المجتمع الصليبي، ذلك أن الصليبي الذي ضعف إيمانه وتقواه، كان لا يبالي بأية جريمة يرتكبها أو أي فعل يقوم به، وحجته في ذلك أن فريضة الحج إلى بيت المقدس ستزيل أي فعل آثم يقوم به مهما كان ذلك الجرم(٣).

---

(1) Eracles, II, p306,

سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص.ص ٧٥٠-٧٥١.

(٢) أسامة سيد علي أحمد، الساحل الشامي في القرن الثاني عشر-الميلادي/ السادس الهجري، رسالة ماجستير، كلية الأداب، جامعة عين شمس، ط. القاهرة ١٩٩٢م، ص٢١٤.

(٣) دندل جبر، الزنا، ص.ص٧٢،٧٣.

ومن الجدير بالذكر أن من أحد أهم أسباب قيام الحرب الصليبية إلى بلاد الشام بوجه عام، وإلى بيت المقدس بشكل خاص هو الدافع الديني، وهو تخليص مسيحيي الشرق من ظلم المسلمين -من وجهة نظر الصليبيين- ولذلك كانت مشاركتهم في الحملات الصليبية نوعًا من تطهير النفس من الشرور والآثام، غير أن الوضع اختلف في بلاد الشام، فعلى الرغم من أن الدافع الديني كان وراء قيام الحرب الصليبية، إلا أن ضعف حقيقة ذلك الوازع في نفوس الصليبيين، كان أحد أهم أسباب انتشار الزنا والدعارة داخل المجتمع الصليبي.

ومما ساعد في انتشار رذيلتي الزنا والدعارة كذلك شرب الخمور، فلقد أفرط الصليبيون في تناول الخمور[١]، وساعد على ذلك انتشار صناعة الخمور والنبيذ ببلاد الشام، حيث كان الصليبيون يتوسعون في زراعة الكروم، من أجل الإفادة منه في صناعة النبيذ الذي تميز بجودته، ومنه النبيذ البيروتي، وقد دخل هذا النبيذ في الشعائر الدينية[٢]، حتى لقد شعر مؤلفو الحوليات الأوربية فترة الحرب الصليبية، بالخجل عندما كانوا يتحدثون عن الصليبيين الذين ذهبوا لنصرة إخوانهم في بلاد الشام، وتركوا زوجاتهم من أجل المسيح، ثم سرعان ما نسوا كل شيء من أجل أعمالهم السرية، والتي تمثلت في ملازمة العاهرات[٣].

ويلاحظ أن كثرة شرب الصليبيين للخمور، أفقدتهم التحكم في تصرفاتهم وسلوكياتهم، مما كان له الأثر السيء في واقع حياتهم، حيث ساعد ذلك على ارتكابهم للجرائم والتى كان من ضمنها جريمتا الزنا والدعارة تحت تأثير مفعول الخمور التي أكثروا من تناولها، وجعلهم ذلك يفقدون حياءهم ويرتكبون الموبقات دون حرص أو خوف من سوء عاقبة ما يفعلون.

---

(١) محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص٢٢٣.

(٢) موضي عبدالله السرحان، بيروت تحت الحكم الصليبي وعلاقتها بالمسلمين (٥٠٤-٦٩٠هـ/ ١١١٠-١٢٩١م)، ط. الرياض، ١٩٨٦م، ص٣٠١، أحمد عبدالله أحمد، التجارة في الساحل الشامي في القرنين١٢-١٣م/ ٦-٧هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس، القاهرة،٢٠٠٦م، ص١١٢.

(3)Joseph Francais Michaud, History of The Crusades, New York, 1855, vol.II,p26.

ومن العوامل الأخرى التي ساعدت في انتشار تلك الموبقات داخل المجتمع الصليبي ببلاد الشام، الاختلاط الصريح بين الجنسين من الذكور والإناث، وانكشاف عورات النساء وخروجهن سافرات شبه عاريات في الأسواق والطرقات، وارتيادهن لتجمعات الرجال[1]، وأيضًا اصطحاب الجيوش الصليبية للعاهرات أثناء زحفها من أوربا إلى بلاد الشام للترفيه عن الجنود الصليبيين[2]، وكذلك كثرة عدد الشباب من العزاب الذين سافروا بعيدًا عن بلادهم وهم في سن الزواج وبلا زوجات[3]، ويضاف إلى ذلك عامل الضعف التشريعي واختلاف العقوبة التى تنزل بمقترف هذه الجريمة بين الطبقات قد ساعد على انتشار هذه الجريمة[4] كل تلك العوامل والأسباب التي ساعدت على انتشار جريمتي الزنا والدعارة داخل المجتمع الصليبي ببلاد الشام.

أما بالنسبة لانتشار الزنا في طبقات المجتمع الصليبي العليا، فقد كان للطبقات العليا من المجتمع الصليبي ببلاد الشام- والتي اشتملت على الملوك و حكام الإمارات والنبلاء- نصيبهم في مشاركة حياة الفساد والمجون التي سادت طبقات المجتمع الصليبي المختلفة، وعلى الرغم من سمو مكانتهم الاجتماعية، إلا أنهم لم يصونوا تلك المكانة طويلاً، فسرعان ما كانوا يتناسون منزلتهم فى المجتمع، ويسلكون سلوك المجرمين بأفعالهم الإجرامية الفاضحة.

وأولى تلك الفضائح الأخلاقية والتي ارتبطت بملك من ملوك مملكة بيت المقدس الصليبية ببلاد الشام، هو الملك بلدوين الأول Baldwin I (١١٠٠-١١١٨م/٤٩٣-٥١١هـ)، وصفه بأنه لم يكن باستطاعته كبح

---

(١) دندل جبر، الزنا، ص٧٦، إبراهيم بن حمود المشيقح، " دراسة مقارنة لمشاهدات الرحالة عن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية في مدينة صور أثناء الحروب الصليبية (١١٢٤م/٥١٨هـ-١٢٩١م/ ٦٩٠هـ)، مجلة كلية الآداب، جامعة الزقازيق، العدد: ٢٤، ١٩٩٩م، ص٥٥.

(2)Christopher Tyerman, The invention of the crusade,Toronto,1998, p75.

(٣) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٣٨٩، علي السيد، المجتمع المسيحي، ص ١٢٠، محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص ٢١٣.

(٤) لمزيد من التفاصيل، انظر الفصل الخامس.

شهواته، فأنحدر وانغمس في الملذات الجسدية، دون أن يعف عن شيء منها، ولم يعلم بسوء تصرفاته سوى عدد قليل من المقربين له ،وكذلك ما قام به الملك الصليبي بلدوين الأول وزوجته الأرمينية أردا Arda، الشرعية تزوجها عندما كان أميرًا للرها، لكي يستميل العنصر الأرميني لجانبه، وعندما أصبح حاكمًا لمملكة بيت المقدس الصليبية، لم يعد في حاجة فعلية لها، وكذا بعد أن فقد ذريته منها بموتهم في حداثة عمرهم، وكذلك بعد فقدها لثروتها المالية، حيث كان بلدوين في حاجة لدعم مادي قوي كي يقوي حكمه، ولذلك أراد التخلص منها، فاتفق مع أسقف بيت لحم لكي يتم الطلاق، فاتهمها بفضيحة أخلاقية، وهي أدعاؤه اغتصابها على يد بحارة السفينة التي كانت تستقلها خلال رحلتها من مدينة اللاذقية إلى يافا، وأنها ليست مثالاً للعفة، ومن أجل ذلك قام بتطليقها، وكان ذلك عام ١١١٠م/ ٥٠٤هـ، ولم تمكث أردا وقتًا طويلاً بعد طلاقها، فقد استاذنت بلدوين في الذهاب إلى القسطنطينية، من أجل زيارة ولديها هناك، وبعد سفرها وردت أخبار بسوء سمعتها، وعدم عفتها[١]، وفيما يظن أن كلاً من بلدوين وأردا قد أخطأ بحق كل منهما للآخر، فبلدوين أخطأ بنزواته النسائية، وأردا أخطأت بعدم حفظ عفتها، على الرغم من أنها ملكة لبيت المقدس، ولذلك فما قامت به في القسطنطينية بعد ذلك، أثبت أن بلدوين كان له حق في تطليقها.

ويروي وليم الصوري William of Tyre(١١٣٠-١١٨٦م/ ٥٢٤-٥٨٢هـ)، عن مجون أمراء الصليبيين، روايات منها ما حدث أثناء حصارهم لمدينة حارم[٢] Aregh، وفشل ذلك الحصار بقيادة الكونت فليب كونت

---

(١) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص١٩٥.

Zoe, The Crusades, p285, walter, Jerusalem, p234,

سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٢٧١، أسامة زكي زيد، "ملكات بيت المقدس في القرن الثاني عشر الميلادي – القرن السادس الهجري"، مجلة كلية الآداب، جامعة طنطا، العدد الثامن، ١٩٩٥م، ص٢٤، أحمد الشامي، تاريخ العلاقات، ص١٠٤.

(٢) حارم: حصن حصين وكورة جليلة تجاه أنطاكية، وهي من أعمال حلب، وفيها أشجار كثيرة ومياه، وهي مدينة حصينة تنتصب قلعتها فوق مرتفع صخري محمي من جميع جوانبه بقناة مائية شقت عميقاً في=

فلاندرز Philip Count of Flanders، فخلال عمليات الحصار للمدينة، كـان الكونـت وجنـوده يتركـون أعـمال الحـرب، ويـذهبون إلى مدينـة أنطاكية Antioch، من أجل الاستمتاع بحماماتها والتردد على ولائمها، وكان يصاحب ذلك إسرافهم في شرب الخمور، مما كان يدفعهم بطبيعة الحال لممارسة الرذيلة مهملين في ذلك حصار المدينة[1].

ولعل هذا الحدث به نوع من الغرابة، فكيف يكون جيش محاصر لمدينة مهمـة مثـل حـارم، ويـترك قـواد الجيش وجنـوده حصـار المدينـة مـن أجـل الاستجمام، وإشباع ملذاتهم الجسدية، فربما كان ذلك راجع لقسوة الظروف المناخية التي كانوا يحاصرون فيها المدينة، أو ربما لطول مدة بعدهم عن نسائهم لفترات طويلة، مما كان يدفعهم إلى ارتكاب الزنا وأعمال الفسق دون خجل أو مراعاة للتعاليم الدينية.

ويتكـرر الموقـف بصـورة أخـرى مـع الأمـير روجـر Roger ورجالـه عـام ١١١٩م/٥١٢هـ، حيث تم هزيمتهم من قبل السلاجقة هزيمة قاسية، أرجع المؤرخون أسباب الهزيمة، إلى ما كان يصدر من الأمير وجنوده من أعمال غير أخلاقية، فقد ورد عن روجر وقوعه في الزنا مع أكثر من امرأة في الوقت الذي كـان متزوجًـا فيـه[2]، ويـرجح أن تلـك الأعـمال الماجنة التـي كانـت تصـدر عـن روجـر ورجالـه، أنهكـتهم بـدنيًّا ومعنويًّـا، ممـا كـان لـه أثـره في عـدم قـدرتهم على مواجهة السلاجقة، وهزيمتهم تلك الهزيمة المنكرة منهم.

ويتوالى ذكرالأمراء الذين اتصفوا بالخلاعة والمجون في تصرفاتهم، ومنهم جوسلين الصغير Joscelin I of Courtenay (١١٣١م/٥٢٥هـ) حاكم إمارة الرها الصليبية، فعلى الرغم من أن صفاته الجسمانية لا توحي بالوسامة،

=الصخر من الجهة الشمالية الشرقية، وتألفت قلعتها من سور حاجز مقوى بأبراج متينة، وهي على شكل مستطيل، انظر:

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ط. بيروت ١٩٧٩م، المجلد الثاني، ص ٢٠٥، مولر فيز، القلاع، ص٨٤.

(١) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٤، ص٢٢٤.

(٢) فوشيه الشارتري، الاستيطان الصليبي، ص٢٤١.

فقد كان ممتلئ الأطراف، شديد السمرة، أسود الشعر، عريض الوجه، كثير الندوب بسبب إصابته بمرض الجدري، إلا أنه كان منقادًا لشهواته الجسمانية، ومنكبًا على شرب الخمور، وكان لا يتورع عن فعل أي شيء مناف للأخلاق، على الرغم من أنه كان متزوجًا[١]، ويتضح من ذلك أن الوسامة وحدها لم تكن كافية لفعل الفاحشة، بل كان المرضى أيضًا لهم نصيب من المشاركة في فعل الفاحشة، فلم يتعظوا من مرضهم، أو هيئتهم المشوهة بسبب الأمراض، بل سارعوا إلى التدنس الأخلاقي، على الرغم من أن الكثير منهم كان متزوجًا.

ولم تسلم ملكات مملكة بيت المقدس الصليبية من ذلك الأمر، ومن أشهر تلك الفضائح الجنسية، ما حدث في عام ١١٣٢م/٥٢٦هـ، عندما نشبت ثورة هيو الثاني حاكم مدينة يافا على الملك الصليبي فولك أوف أنجوي Fulk of Anjou (١٠٩٠-١١٤٣م/٤٨٣-٥٣٧هـ)، فقد كان هيو على علاقة غرامية مع الملكة مليزندا Meliseende[٢]،ابنة الملك بلدوين الثاني وزوجة فولك، وكان سبب تلك العلاقة أن هيو كان متزوجًا من أرملة تكبره في السن، في حين كانت مليزندا صغيرة السن بالمقارنة بفولك زوجها، ولذلك لم تبادله عاطفة الحب، فنشأت علاقة غرامية بين الاثنين وانتشرت الشائعات بذلك الأمر، فساء موقف هيو أمام الملك الصليبي، ففر باتجاه الفاطميين الذين رحبوا به وأغاروا على إقليم يافا ووصلوا مشارف أرسوف[٣]، فسارعت الجيوش الصليبية باحتلال يافا مرة أخرى، أما هيو الثاني فقد حكم عليه بالنفي لمدة ثلاث سنوات بسبب تمرده، ولكن قبل سفره تعرض للاغتيال على يد فارس مجهول[٤]، وعندما علمت مليزندا بما حدث لهيو غضبت غضباً شديدًا من فولك الذي عمل على استرضائها بشتى الطرق، حتى أصبحت هي الآمر الناهي في شئون المملكة، ويرجح أن هذه الثورة التي قام بها هيو كانت وثيقة

---

(١) وليم الصوروي، الحروب الصليبية، ج٣، ص٩٥، السيد الباز العريني، الشرق الأدنى، ص٢٤.

(2) Mayer, Studies in the History of Queen Melisende of Jerusalem, Dumbarton Oaks Papers, vol.26, 1972, p110.

(٣) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٤٣٢.

(٤) للمزيد من التفاصيل عن محاولة اغتيال هيو انظر الفصل الثاني.

الصلة بالصراع على السلطة، فسرب فولك تلك الشائعات حتى يتسنى له الاحتفاظ بالسلطة منفردًا[1]، وواقع الأمر لا يمكن نفي تلك العلاقة بين الأثنين نظرًا للمعطيات السابقة الذكر، فلقد تداخلت الشئون السياسية بالأمور العاطفية، وأصبحت الشائعات الجنسية سلاحًا قويًا في الصراع على السلطة بمملكة بيت المقدس الصليبية.

وكانت العلاقات الغرامية وسيلة من وسائل أسر القادة الصليبيين من قبل المسلمين، فما حدث لجوسلين صاحب البيرة[2]، وبهسنا[3]، والراوندان[4]، وعين تاب[5]، وعزاز، الذى أزعج المسلمين بغاراته المستمرة، فكمن له نور الدين محمود Nur al-Din (١١١٨-١١٧٤م/ ٥١١-٥٦٩هـ)[6]، مع مجموعة من جنوده فأسروه وهو يزني بامرأة[7]. والشاهد من تلك الحادثة أن

---

(١) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٤٣٢، عبد الحفيظ محمد، مشكلات الوراثة، ص٢٨، أمين معلوف، الحروب الصليبية، ص١٥٤.

(٢) البيرة: بلدة قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية، وهي قلعة حصينة، وقد حمل هذا الاسم أكثر من موقع، فهناك البيرة الواقعة على الضفة الشرقية لنهر الفرات على الطريق بين الرها وعينتاب، وهناك موقع آخر على شط الفرات من أعمال الجزيرة فوق جسر منبج، والموقع الثالث، البيرة في الأندلس، للمزيد انظر:

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٥٢٦، محمد مؤنس عوض، " أضواء على مستعمرة البيرة الصليبية "، مركز بحوث الشرق الأوسط، العدد العاشر، مارس ٢٠٠٢م، ص.ص ٦-٣٢، هنادى السيد، مملكة بيت المقدس، ص ١٦٣.

(٣) بهسنا: قلعة حصينة بالقرب من مرعش وسميساط، وهي من أعمال حلب:

ياقوت الحموى، المصدر السابق، المجلد الأول، ص ٥١٦.

(٤) الراوندان: قلعة حصينة، وكورة بالقرب من من نواحى حلب: ياقوت الحموي، نفسه، المجلد ٣، ص١٩.

(٥) عين تاب: قلعة حصينة، بين حلب وأنطاكية، وهي من أعمال حلب: ياقوت الحموي، نفسه، ج٤، ص١٧٦.

(٦) للمزيد من التفاصيل عن نور الدين محمود، انظر:-

نيكيتا أليسيف، السلطان نور الدين محمود زنكي (٥١١-٥٦٩هـ/١١١٨/ ١١٧٤م)، ت. سليم قندلفت، مراجعة: علي القيم، ط. دمشق، ١٩٩٨م.

(٧)الذهبى، دول الإسلام، تحقيق: حسن إسماعيل مروة، دار صادر، ط. بيروت، ١٩٩٩م، ص٤٥.

جوسلين على الرغم من عدائه للمسلمين وكثرة إغاراته على أراضيهم، لم يكن ليأخذ حذره بالحراسة المسلحة لحمايته من الأسر.

وكانت الفضائح الجنسية سببًا من أسباب فشل إحدى الحملات الصليبية الكبرى، وذلك ما حدث خلال الحملة الصليبية الثانية، وأبطال تلك الفضيحة الملكة إلينور أوف أكوتين Eleanor of Aquitaine (١١٢٢-١٢٠٤م / ٥١٦-٦٠٠هـ) زوجة لويس السابع Louis VII (١١٢٠-١١٨٠م/ ٥١٤-٥٧٥هـ) ملك فرنسا، والطرف الثاني كان ريموند الثاني Raymond II (١١٣٧-١١٥٢م/ ٥٣١-٥٤٧هـ) أمير أنطاكية، فعندما استقر الجيش الفرنسي بإمارة أنطاكية بشكل مؤقت، نشأت علاقة عاطفية بين كل من إليانور وريموند، فقد كان كل منهما صغير السن مقارنة بالملك لويس السابع، وسرت الشائعات حول تلك العلاقة، وعلم بها الملك لويس السابع، فقرر الرحيل فجأة من المدينة حتى ينقذ شرفه ويقطع دابر الشائعات التي انتشرت على ألسنة الجنود، وأخذ إليانور معه وهي مرغمة على الرحيل، وذهب إلى مدينة بيت المقدس دون أن ينتظر قدوم الإمبراطور الألماني كونراد الثاني بجيشه[1]، وثمة وجه تشابه بين فضيحة كل من الملكة مليزندا مع هيو، و الملكة إليانور مع ريموند، وهو صغر سن كل من الملكتين بالمقارنة بزوجيهما فولك ولويس السابع.

وفيما يبدو أن إمارة أنطاكية كان نصيبها كبيرًا من تلك الفضائح الجنسية المتعددة، فلقد دخل الأمير بوهمند الثالثIII Bohemund (١١٦٣-١٢٠١/ ٥٥٨-٥٩٧هـ) أمير أنطاكية، في نزاع مع أحد أتباعه الإقطاعيين وجيرانه الأرمن بسبب تورطه الصريح بفضيحة جنسية، فقد كان بوهيمند

---

(1)King, E,J, The Knight Hospitallers in The Holy Land, London, 1931, p45, Peter W. Edbury, Looking back on the Second Crusade: Some Late Twelfth-Century English Perspectives, From: The Second Crusade and The Cistercians, Edited By: Michael Gervers, New York, 1992, p25.

شاكر مصطفى، صلاح الدين، الفارس المجاهد والملك الزاهد المفترى عليه، دار القلم، ط. دمشق، ١٩٩٨م، ص٢٩.

متزوجًا من الأميرة البيزنطية الحسناء تيودورا كومنين، غير أنه لم يقتنع بها زوجة له، فدخل في علاقة غرامية مع امرأة أخرى تدعى أورجليز orguelleuse، ولم يلبث أن طلق زوجته البيزنطية الحسناء تيودورا، عام ١١٦٨م/٥٦٣هـ، وأعلن زواجه من أورجليز، غير أنه لم يقنع بأورجليز أيضًا فهجرها في عام ١١٨٣م/٥٧٨هـ، ليقيم علاقة مع امرأة منحلة خلقيًا تدعى سبيل Sibylle، فقد اتخذها خليلة له، يعاشرها معاشرة الأزواج، وشاعت علاقته بها في أرجاء إمارته، فنصحه المقربون منه بضرورة تركها، وأن يعيد زوجته الشرعية تيودورا، غير أن بوهمند الثالث صم آذنيه عن سماع النصائح، ولم يأبه لقرارات الحرمان التي صدرت ضده نتيجة لعلاقته غير الشرعية بتلك المرأة، فسلطته تلك المرأة على البطاركة ورجال الدين بالإمارة، فقام بإيذائهم وتعدى على الكنائس والأديرة بالنهب والسرقة من أجل إرضائها، ونتيجة لذلك أصدر إيمري دي ليموج بطريرك الإمارة، قرار الحرمان ضد بوهيمند، ووقعت حرب أهلية بالإمارة بسبب تلك المرأة[1]. وتبين تلك الحادثة أن بوهمند الثالث لم يحافظ على التقاليد والعادات المحترمة والمناسبة له كزعيم صليبي، ورضي أن تتحكم فيه امرأة بسبب عدم استطاعته كبح شهواته الجنسية، والنتيجة الأخطر لتلك العلاقة قيام حرب أهلية بإمارته نتيجة لنزواته، نتج عنها زعزة مكانة الصليبيين بتلك المنطقة.

وكان لأحد رجال بيزنطة دور مهم في الفضائح الجنسية التي ألمت بتلك الطبقة العليا، وتمثلت تلك الشخصية في أندرونيكوس كومنينوس، وهو أحد رجال الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين Manuel I Komnenos (١١٤٣-١١٨٠م/٥٣٧-٥٧٥هـ)، حيث عينه دوقًا جديدًا لأقليم كليكيا ١١٦٦-١١٦٧م/٥٦١-٥٦٢هـ، وزوده بالمال من أجل محاربة أعدائه بالمنطقة، غير أن أندرونيكوس لم يكن رجل حرب، إذ دأب على قضاء جل وقته

---

(١) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٤، ص.ص٢٦٤،٢٦٣، ميخائيل السرياني، الموسوعة الشامية، ج٥، ص٢٨٥، مولر، القلاع، ص٢١، سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٦٠٣، حسين عطية، إمارة أنطاكية، ص١٩٨.

في مدينة أنطاكية، حيث أقام علاقة غرامية مع أميرتها فيلبيا شقيقة بوهيمند الثالث أمير أنطاكية، مما دفع مانويل إلى طرده، فتوجه بأمواله إلى مملكة بيت المقدس الصليبية، واستقبله الملك الصليبي عموري Amalric (١١٣٦-١١٧٤م/ ٥٣٠-٥٦٩هـ) ورحب به، فتقابل مع الملكة ثودورا، أرملة الملك الصليبي بلدوين الثالث[١]، حيث أعجبت به كثيرًا وطارحها الغرام، على الرغم من أنهما كانا يعلمان عدم أحقيتهما قانونًا في إتمام زواجهما، وعندما توجه للإقامة ببيروت، توجهت الملكة إليه، حيث عاشت معه دون خجل أو حياء، وعندما علم الإمبراطور مانويل بما حدث، عمل على القبض على أندرونيكوس، غير أن ثيودورا علمت بتلك المكيدة، فأخبرته بذلك، فتخليا عما كان يملكانه، وتوجها إلى الحدود الإسلامية، حيث وصلا لمدينة دمشق Damascus، حيث أحسن نورالدين محمود استقبالهما، وأقطعهما قلعة قرب الحدود الفاصلة مع بيزنطة Byzantine قرب بافلاجونيا، واستغل الملك عموري ذلك، وأعلن عدم أحقية ثودورا لكونها آثمة نتيجة للضرر الذي ألحقته بالمملكة الصليبية[٢]. وتبرز تلك الواقعة أن بعض ملكات مملكة بيت المقدس الصليبية، لم يكن يحافظن على مكانتهن، وكن يسارعن وراء مغامراتهن العاطفية، حتى ولو خسروا مراكزهن نتيجة لتلك العلاقات الآثمة، كما يلاحظ وجود ثمة عامل آخر وهو صغر سن الملكات اللآئي سقطن في تلك الفضائح، يضاف إلى ذلك حالة الجفاء التي كانت بينهن وبين أزواجهن، كل ذلك ساعد على انتشار تلك العلاقات الآثمة بينهن.

---

(١) أسامة زكي زيد، ملكات بيت المقدس، ص٤٦.

(٢) يوحنا كيناموس، أعمال يوحنا ومانويل كومينوس، ت. سهيل ذكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج٢٩، ط. دمشق، ١٩٩٧م، ٢٤١،

Lynda Garland, Byzantine Empresses, Women and Power in Byzantium AD 527-1204, New York, 1999, p.p207-209.

إسحاق تاوضروس عبيد، روما وبيزنطة من قطيعة فوشيوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قسطنين ٨٦٩-١٢٠٤م، دار المعارف، ط. القاهرة، ١٩٧٠م، ص٢٢٧،أسامة زكي، ملكات بيت المقدس، ص.ص ٤٦-٤٧، نزيه شحاته، بيروت، ص.ص ١١١-١١٢.

وقد كان اختيار حنا دي برين John of Briene(١٢٣٧م/ ٦٣٤هـ)، ملكاً على مملكة بيت المقدس الصليبية، باعثًا لخيبة الأمل، حيث كان حنا يبلغ من العمر ستين عامًا وكان مفلسًا، حيث كان قبل توليه العرش، من أتباع ملك فرنسا، وأشيع عنه أنه اختير ملكاً على مملكة بيت المقدس الصليبية، نتيجة لعلاقة غرامية جمعت بينه وبين الكونتيسة بلانش أوف شامباني، وتم فضح تلك العلاقة في البلاط الفرنسي[١]، فربما كانت المسارعة بخروجه من البلاط الفرنسي، حتى لا ينتشر أمر علاقاته النسائية المتعددة من جانب، ومن جانب آخر حتى لا يلحق العار بالبلاط الفرنسي.

وتتواصل الفضائح الجنسية في الطبقة الحاكمة في المجتمع الصليبي، ففي عام ١٢٦٧م/ ٦٦٥هـ، توفي ملك قبرص هيو الثانيHugh II(١٢٥٣-١٢٦٧م/ ٦٥١-٦٦٥هـ)، الذي ترك زوجته الصغيرة إيزابيلا ابنة جون الثاني الأبليني Isabella of Iblin أرملة عذراء، ثم تزوجت من بعد ذلك بأحد النبلاء الإنجليز ويدعى هاموا حيث كان أحد المصاحبين لحملة الأمير إدوارد الإنجليزي، ثم سرعان ما توفي، فارتبطت بعلاقة جنسية غير شرعية مع جوليان أمير صيدا، مما أدى إلى غضب البابوية وإصدارها مرسومًا بابويًا بضرورة زواجها، ومع تصاعد وتيرة الأحداث، قام هيو بنقل إيزابيلا بالقوة إلى قبرص كي يزوجها بأحد نبلاء المملكة هناك[٢]، وبذلك تكون الفضائح الجنسية للطبقة العليا للمجتمع الصليبي قد انتشرت بين أفرادها، ولكن بنسب متفاوتة، وفي ظروف مختلفة.

وفيما يتعلق بالمجتمع الكنسي وعلاقته بالزنا والدعارة، فإن هذه الطبقة لم تكن بعيدة عما كان يحدث داخل المجتمع الصليبي، فالمفترض في تلك الطبقة أنها كانت في يدها إصلاح المجتمع الصليبي دينيًا وأخلاقيًا، من خلال مؤسساتها الدينية التي تمثلت في الكنائس والأديرة المختلفة التي انتشرت في

---

(١) رانسيمان، الحملات الصليبية، ج٣، ص١٧٨.

(2)David Nicolle, The Crusade, p73,

رانسيمان، المرجع السابق، ج٣، ص٣٩٥، محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص١٣٩.

المدن الصليبية ببلاد الشام، وعلى الرغم من قلة عدد رجال الدين بالمقارنة بعناصر المجتمع الصليبي الآخرى المختلفة، إلا أنه وجدت إشارات مصدرية عن جرائم بعض رجال الدين، ومنها ما يتعلق بهذا الفصل وهي جرائم الزنا والدعارة، كما سيتضح.

فعندما حاصرت الجيوش الصليبية الأولى مدينة أنطاكية، لم يتورع أحد رجال الدين المصاحبين للجيوش الصليبية عن الإقدام على جريمة الزنا، فإنه خلال إحدى ليالي حصار الصليبيين للمدينة وأثناء مرور دورية للجيش بالقرب من أحد أسوار المدينة، تم القبض على رجل دين متلبس بجريمة الزنا مع إحدى النساء، وأدين الاثنان بجريمة الزنا فوسما بالحديد المحمي، وطيف بهما في كل أنحاء المعسكر الصليبي عقابًا لهما على جريمتيهما، وقد شاهد هذه الجريمة أحد ابناء فيروز حاكم المدينة[1]. ويرجح أن الحملة الصليبية الأولى، رافقها بعض رجال الدين غير المؤهلين أخلاقيًا ودينيًا، ويبدو أنهم كانوا من الطائفة التي كانت مغضوبًا عليها من البابوية، وإلا ما كانوا ليرتكبوا مثل تلك الجرائم اللاأخلاقية.

وبمرور الوقت وتطور الأحداث، لم يسلم بطاركة مملكة بيت المقدس الصليبية نفسها من تهمة الاشتراك في جريمتي الزنا والدعارة، ومنهم أرنولف Arnulf (١١١٢-١١١٨م/ ٥٠٥ - ٥١١هـ) بطريرك المملكة، فقد كان شخصية غير محبوبة من قبل الآخرين، فقد صب وافر اهتمامه على عائلته الخاصة، مستخدمًا في ذلك ثروات الكنيسة المالية، حتى تم اتهامه بوجود محظيات في بيته، حيث كان يداعب النساء أثناء الرحلة إلى بيت المقدس، مما جعله موضوعًا للكثير من قصص الفاحشة[2]، ويدل ذلك على عدم احترام

---

(1) The Caxton Eracles, Vol. I, in: A Middle English Chronicle of the first crusade, edited and with an introduction by: Dana cushing, Toronto, 2001, p427.

حسين عطية، طبائع الفرنج، ص٢٥.

(٢)ريموندا جيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ت. إنجليزية: جون هيوم جيل – لوريتال جيل، ت. عربية: حسين محمد عطية، ط.الإسكندرية، ١٩٩٠م، ص.ص ٢٥٨،٢٥٩.

أرنولف لمكانته الكنسية، ووقاره واحترامه كرجل دين.

وصورة آخرى من صور الفساد الكنسي الأخلاقي الذي انتشر داخل المجتمع الصليبي، وهو أحد رجال الدين الصليبين الذي لم يكن لديه سعة من المال وكان يعيش في بيت صغير المساحة، بالإضافة إلى ذلك أنه كان متزوجًا وعاجزًا جنسيًا، فقد كان زوجًا اسمًا فقط ولم يكن يعلم عن زوجته شيئًا فيما تصنعه، فاستغلت الزوجة تلك الظروف، وامتهنت الدعارة حتى خرجت عن سيطرته كرجل، وعندما افتضح أمرها بعد مرور ثلاث سنوات من زواجه منها، قام بالانفصال عنها[1]، ويدل ذلك على تدهور أوضاع رجال الدين حتى في حياتهم الشخصية، وسيطرة النساء عليهم، مما أدى إلى فقدان سطوتهم الدينية.

ومن أبرز الأمثلة على رجال الدين الفاسدين، البطريرك هرقل، بطريرك مملكة بيت المقدس الصليبية، الذي اشتهر بعلاقاته النسائية المتعددة مع أكثر من امرأة، فقد كان هرقل رجلاً عديم الحياء وليس له من العلم إلا النزر اليسير، ويضاف إلى ذلك أنه كان رجلاً منحلاً خلقيًا، منكبًا على ملذاته الجسدية، وعبدًا لشهواته، وكانت أشهر علاقاته الجنسية مع أجنس Agnes of Courtenay (١١٨٥م/ ٥٨١هـ)[2]، أم الملك الصليبي بلدوين الرابع Baldwin IV

Hamilton, The Latin church in the crusader states, Landon, 1980, p63.

(1)The Monk Theodosios the Constantinopolitan, The Life of Leontios patriarch of Jerusalem, Trans.by: Dimitris Tsougarakis, New York, 1993, p129.

(٢) أجنس:- هي ابنة جوسلين الثاني أمير الرها، و أرملة رينالد حاكم مرعش، والزوجة الأولى للملك الصليبي عمروي، فقد تزوجت من عموري أمير يافا حوالي عام ١١٥٧م/ ٥٥١هـ، وقد أنجب منها عموري طفلين هما: بلدوين الرابع وسيبلا، وقد عارض البطريرك فولشر. إتمام هذا الزواج ، بسبب أن العروس كانت تمت لعموري بصلة قرابة من الدرجة الرابعة، وهو ما نهت عنه الكنيسة اللاتينية، وسرعان ما أن طلقها عموري بسبب ضغط رجال الدين والمعارضة التي قامت ضد هذا الزواج، ولم يتم تتويجه إلا بعد أن طلقها بالفعل، وانسحبت من الحياة العامة، ولم تظهر على مسرح الأحداث مرة آخرى إلا بعد تولي ابنها بلدوين الرابع العرش عام ١١٧٤م/ ٥٦٩هـ، ودخلت في صراعات مريرة حول الوصاية على عرش ابنها مع بقية أمراء المملكة الصليبية، وتوفيت عام ١١٨٥م/ ٥٨٠هـ، لمزيد من التفاصيل انظر:-

= The Crusades an Encyclopedia, p.p 22-23,

(١١٥١-١١٨٦م/٥٤٥-٥٨٢هـ)[١]، التي كانت شديدة الولع به وعاشقة له، فدفعها ميلها المفرط إليه أن تجعله رئيس شهامسة بيت المقدس، ثم بعد ذلك رئيسًا لأساقفة قيصرية، ثم جعلته بعد ذلك بطريركًا لمملكة بيت المقدس الصليبية[٢]، وهكذا يتضح أن منصب بطريريك مملكة بيت المقدس، كان بدون معايير دينية ولا أخلاقية، على الرغم من خطورة هذا المنصب الدينية.

وبعد فترة من الزمن، اتخذ هرقل عشيقة أخرى له، وهي باسك دي ريفري Pasque de Riveri، وكانت زوجة لأحد التجار الصليبيين بمدينة نابلس، فقد كان يجبرها على البقاء معه لأيام طويلة وصلت أحيانًا خمسة عشر يومًا، وقد كان زوجها يعلم بتلك العلاقة المحرمة، غير أنه مع الأموال الجزيلة التي أغدقها عليه البطريرك أغمض عينيه تمامًا، وبعد وفاته اتخذ لها هرقل دارًا في مدينة القدس، حتى تبقى دائمًا بالقرب منه، ونتيجة لتلك العلاقة المستمرة أنجبت تلك المرأة فتاة صغيرة، وجاءه هذا الخبر وهو جالس مع بارونات المملكة بقصره[٣]. ويدل ذلك على أن بعض رجال الدين تمتعوا برخاء وافر

=أسامة زكي زيد، ملكات بيت المقدس، ص.ص٤٧-٤٨.

(١) بلدوين الرابع:- والذي لقب بالملك المجذوم، نظرًا لإصابته بمرض الجذام، فقد ولد في بدايات صيف عام ١١٦١م/٥٥٦هـ ابنا للملك عموري وزوجته الأولى أجنس، واعتبر كل من= =بلدوين الرابع وأخته سبيلا الورثة الشرعيين للملك الصليبي عموري، وذلك بقرار من البابا ألكسندر الثالث، فعند وفاة عموري خلفه بلدوين وهو في سن الثالثة عشر. على عرش مملكة بيت المقدس الصليبية حيث تم تتويجه في الخامس عشر. من شهر يونيه عام ١١٧٤م/٥٦٩هـ وتم تعيين ميلان أوف بلانسي. واصيًا على بلدوين، ثم آلت الوصاية من بعده إلى ابن عمه ريموند الثالث أمير طرابلس، حيث تم تعيينه نائبًا للملك، وبسبب صغر سنه، وقعت الاضطرابات في المملكة الصليبية مما زاد الصراع بين الأمراء، وتوفي الملك الصليبي بلدوين الرابع في السادس عشر من مايو عام ١١٨٥م/ ٥٨٠هـ لمزيد من التفاصيل انظر:-

The Crusades an Encyclopedia, p.p 138-139.

(٢) ذيل وليم الصوري، ص٨١.

(٣)مجهول، ذيل وليم الصوري، ت. حسن حبشي، ط. القاهرة، ٢٠٠٢م، ص.ص ٨١،٨٢،

Norman Daniel, The Arabs, p202, Christopher Tyerman, The Crusades, " A Very Short Introduction", Oxford, 2005, p117.

سعيد البيشاوي، الممتلكات الكنسية، ص٣٧٩، محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص ٢١٩.

وحياة مادية منتعشة، حتى عاشوا في القصور متساويين في ذلك بالملوك والأمراء، ويضاف إلى ذلك أنه لم يكن هناك قانون رادع لأولئك الرجال عما كان يقترفوه من جرائم.

وبحلول القرن الثالث عشر الميلادي السابع الهجري، تفشى كل من الزنا والدعارة بين طبقة رجال الدين، حيث لم يخجل رجال الدين من الإنجاب من الزانيات والمحظيات، بل والأدهي من ذلك تجميع الأموال من أجل رفاهية هؤلاء الابناء بلا خجل ولا إخفاء، كما انتشر الفساد في أديرة الرهبان والراهبات على حد سواء، حتى ارتبط بعض الرهبان والراهبات بعلاقات آثمة، حرمت على عامة المسيحيين، قام بها من كان يفترض فيهم النزاهة وحسن الخلق ونشر الفضلية بين الناس[1].

ومع ازدياد الأوضاع الاجتماعية سوءًا في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي، السابع الهجري، لم يتورع رجال الدين عن تأجير منازلهم لمحترفي تلك المهنة المشينة، وصار الأمر متفشيًا بشكل أقلق البابوية، مما جعل البابا أنوسنت الرابع يرسل في منتصف القرن خطابًا إلى رجال الدين الكاثوليك في عكا ينتقدهم بسبب تأجير أملاك الكنيسة للفاسدين أخلاقيًا[2]، وبذلك يتضح أنه مع منتصف القرن الثالث عشر، لم يكن للبابوية من القدرة غير شجب ما كان يقوم به رجال الدين من أفعال، ولم تكن لها سلطة فعلية عليهم مما أدى إلى عدم خوفهم، وازديادهم في جرائمهم الأثمة.

وبالمقارنة بين كل من الطبقة العليا وطبقة رجال الكنيسة بالنسبة لجريمتي الزنا والدعارة، نجد أن طبقة رجال الكنيسة كانت نسبة جريمة الزنا والدعارة بها أعلى بكثير من الطبقة العليا بالمجتمع الصليبي. ويرجع ذلك إلى كثرة عدد رجال الدين الصليبيين بالمقارنة بالملوك والأمراء الصليبيين، وأيضًا انتشار رجال الدين الصليبيين على رقعة جغرافية أوسع من نظيرتها الطبقة العليا، ويضاف إلى ذلك أن البعض من رجال الدين كانوا أكثر إجرامًا وتحريضًا

---

(1) محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص.ص ٢١٠،٢٠٩.

(2) محمد فوزي، نفسه، ص٢٢١.

لممارسة جريمتي الزنا والدعارة عن رجال الطبقة العليا، حيث كانوا يأجرون الكنائس «كانت عكا حافلة ببيوت الدعارة، ولما كان البغايا يستأجرون البيوت بأعلى أجر من سواهن، سارع ليس العلمانيين فقط بل وأفراد من رجال الدين أيضًا وبعض الرهبان بتأجير مقارهم لهن علنًا وبالجملة»[1]، لممارسة تلك الرذيلة مقابل رشوة مادية، وهناك سبب آخر وهو أن حالات الزنا والدعارة بين رجال الطبقة العليا كانت حالات فردية لم تأخذ شكل الظاهرة الكبيرة، أما رجال الدين فكانت حالات الزنا جماعية ومنتشرة في مختلف الأديرة والكنائس، وبين الرهبان والراهبات مما جعل البابوية في روما ترسل إنذارات متكررة بخصوص ذلك الأمر، وكانت تلك الحالات الإجرامية منتشرة بشكل كبير بين طبقة رجال الدين الصليبيين في القرن الثالث عشر الميلادي مقارنة بالقرن الثاني عشر، نظرًا لما حل بالإمارات الصليبية من ضعف وتفكك، وعدم وجود سلطة فعلية ولا رادع قوي لرجال الدين، مما جعلهم يقدمون بكل جرأة على أفعالهم الإجرامية دون الخوف من عقوبات رادعة لهم.

وبالنسبة لانتشار الزنا في طبقة العامة والمحاربين، فقد انتشرت جريمتي الزنا والدعارة داخل المجتمع الصليبي منذ اللحظات الأولى التي وطأت فيها أقدامهم بلاد الشام، ووضحت معالم تلك الجريمة خاصة عند حصار الصليبيين لمدينة أنطاكية، فإنه أثناء عمليات حصار الصليبيين للمدينة، وجد الصليبيون أنفسهم لا يقدرون على إسقاط المدينة، وأرجعوا ذلك إلى كثرة إسرافهم في أعمال الزنا والدعارة، ولذلك عقدوا مجلسًا استشاريًا لبحث تلك الأزمة، وأجمعوا رأيهم على طرد جميع النساء المتزوجات وغير المتزوجات خارج المعسكر الصليبي، وذهبت تلك النساء للبحث عن معسكرات أخرى من أجل الإقامة بها[2].

---

(1) Jacques de Vitry, Lettres, p87.

(٢) فوشيه الشارتري، الاستيطان الصليبي، ص١١١، بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ت. حسين عطية، الأسكندرية، ١٩٩٨م، ص.ص ٢٠٦،٢٠٥، ميشيل بالار، الحملات الصليبية، ص٦٦، أمين معلوف، الحروب الصيبية، ص٤٦، سهير محمد، المرأة الصليبية في بلاد الشام (١٠٩٨-١٢٦٨م)،=

وبعد سقوطها بأيديهم انتشرت بين صفوف الجيوش الصليبية، جريمتا الزنا والدعارة، حتى أن الصليبيين أقدموا بعد إقامتهم المذابح لسكان المدينة، على اقتسام نساء المدينة من المسلمين، وفعلوا بهم الفاحشة تحت تهديد السلاح، ونفس المصير قد لاقته النساء المسيحيات من سكان تلك المدينة، حيث قمن ببيع أنفسهن إلى الصليبيين من أجل الحصول على طعام لهن، ونتج عن ذلك كثرة وجود النساء بمعسكرات الجيوش الصليبية[1].

وتظهر تلك البدايات للوجود الصليبي ببلاد الشام، عن تخليهم من اللحظة الأولى عن المبادئ الأخلاقية، وأظهروا حقيقتهم الإجرامية التي لم يمحوها اشتراكهم في الجيوش الصليبية، التي كان هدفها الأساسي هو الحج إلى الأراضي المقدسة، فأقدموا على فعل الفواحش دون الخوف من سوء العاقبة، والتي أدركها المؤرخون العقلاء من الصليبيين المعاصرين.

ولقد عبر أحد المؤرخين الصليبيين وهو فوشيه الشارتري Fulcher of Chartres (١٠٥٩-١١٢٧م/ ٤٥١-٥٢١هـ)، عن أسفه لما كان يحل بالجيوش الصليبية من محن، وأرجع أسباب تلك المحن إلى تقاعس المقاتلين الصليبيين، وانشغالهم بارتكاب الزنا أو الدعارة دون خجل أو حياء، وأوضح أن نتيجة أعمالهم قامت الجيوش السلجوقية بقيادة كربوغا بحصار مدينة أنطاكية، فخارت الروح المعنوية للجيوش الصليبية، وأدركوا أنهم هالكون لا محالة[2].

ويرجح أن ما كتبه فوشيه الشارتري، كان أقل بكثير مما كان يحدث بالواقع، وأنه اختصر الكلمات لكي تعبر عن جزء من الرذائل التي كانت ترتكبها الجيوش الصليبية التي أقدمت على فعل كل قبيح، دون رادع لها إلا في حالة الكوارث فقط التي كانت تحل بهم، وفي خلال الحياة العادية لم يكن أحد

=رسالة دكتوراه، كلية البنات، جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص١٩.

(1)Zoe Oldenbourg, The Crusades, New York, 1967, p137.

حسن عبد الوهاب حسين، مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية، ط. الإسكندرية، ١٩٩٧م، ص١٤.

(٢) فوشيه الشارتري، الاستيطان الصليبي ص ١١١، محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص١١٧.

ليعترض على تلك الأفعال.

وعلى الرغم من أن النساء –بمن فيهن من بنات الهوى– شاركت الرجال فى الحملات الصليبية، بهدف خدمة الجيوش الصليبية المحاربة في بلاد الشام، إلا أن أغلب الإشارات التي أوردتها المصادر الصليبية المعاصرة لتلك الحملات، عالجت الاغواءات التي قدمتها تلك النسوة إلى المحاربين الصليبيين، وكان الأسف يبدو في كتاباتهم نتيجة للإذعان المحزن من جانب أولئك المحاربين لتلك الفئة من النساء[1].

وفيما يبدو أن كلاً من الزنا والدعارة انتشرت داخل طبقة العامة والمحاربين انتشار النار في الهشيم، فلقد ساد الانحلال الخلقي بين طبقاته بدرجة كبيرة، ولم يكونوا ليستحوا من القيام بممارسات جنسية شاذة فيما بينهم، وخاصة بين الصليبيين حديثي العهد ببلاد الشام، والذين كانوا يقدمون مع الحملات الصليبية المتكررة، ويرجح أن البابوية كانت هي المحرك الأساسي لتك الفئة الفاسدة، للذهاب إلى بلاد الشام من أجل مساندة إخوانهم من جهة، ومن أجل تطهير أنفسهم من جهة آخرى، وأيضًا بهدف تطهير قارة أوربا من تلك العناصر الفاسدة والعديمة الفائدة من جهة ثالثة[2].

وأغلب الظن أن ما أقدمت عليه البابوية من إرسال تلك العناصر الفاسدة إلى بلاد الشام، إنما كان من الأهداف غير المعلنة للحرب الصليبية، والتي أخفتها البابوية من أجل تطهير أوربا من تلك العناصر من ناحية، والعمل على نهضة أوربا من جهة أخرى.

وقد كانت تظهر بين الحين والآخر بدع مختلفة داخل ذلك المجتمع، ومنها ما حدث عام ١١٧١م/٥٦٦هـ، حيث ظهرت جماعة من الصليبيين غير معروفين في بعض المدن الصليبية الشمالية مثل طرابلس وأنطاكية وشككوا في قواعد العقيدة المسيحية، والأكثر من ذلك أنهم أشاعوا الفاحشة علانية بين أتباعهم، حيث أشاعوا النساء فيما بينهم، وبذلك لم يعد للرجل امرأة واحدة،

---

(١) حسين عطية، طبائع الفرنج، ص.ص٢٧،٢٦.

(٢) نبي فتحي، إمارة طرابلس، ص٢٠٧.

ولم تكتف المرأة برجل واحد، بل خالطت أكثر من رجل في وقت واحد، وعندما علمت البابوية بذلك عقدت مجمعًا مسكونيًا لمواجهة ذلك الأمر الذي تفشى بشكل خطير داخل المدن الصليبية[1].

ومن المرجح أنه مع اختلاف تكوين المجتمع الصليبي من جنسيات وثقافات مختلفة من شتى أنحاء أوربا، كان كل فريق قد قدم بها لديه من أفكار متباينة عن الفريق الآخر، ومنهم من كان يهرب من أوربا بأفكاره التي كانت معارضة للعقيدة المسيحية، وإن كان بها بعض الشذوذ الفكري، مما كانت تدعو له من إباحية ونشر للرذائل بدعوى أنها عقيدة جديدة، فكل ذلك جعل البابوية تسارع في القضاء عليها حتى لا تكون وصمة عار في جبين البابوية، وتكشف حقيقة ما كانت تصدرهم البابوية لبلاد الشام من أجل محاربة المسلمين.

وتبرز لنا مشاهدات الرحالة المسلمين للمدن الشامية التي خضعت للسيادة الصليبية، مدى الانحلال الخلقي الذي انتشر في تلك المدن، وعلى رأسهم مدينة عكا، فحينما زارها ابن جبير حوالي عام ١١٨٤م/ ٥٨٠هـ أي قبل معركة حطين، واصفًا إياها بأنها مدينة مزدحمة جدًا، ممتلئة بالصليبيين من كافة الجهات، تضيق فيها مواطيء الأقدام، بالإضافة إلى أن عكا زفرة قذرة، مملوءة كلها رجسًا وعذرة، لم يكن هذا الوصف إلا نتيجة لانتشار الزنا والدعارة بالمدينة انتشارًا عامًا[2].

ومن الجلي البين أن ابن جبير كان من الرحالة المسلمين المشهورين بالدقة في وصف المدن التي كان يمر بها وصفًا دقيقًا، وبما أنه كان في رحلة للحج ومر على مدينة عكا، استعفت نفسه وهو رجل تقي عن وصف ما رآه بمدينة عكا من انحلال واضح، كان ظاهراً للعيان ولأي غريب كان يزور المدينة أو كان يعبرها في طريقه لمكان آخر، حتى أجمل كل ما رآه من نجاسات في كلمتين أنها زفرة قذرة، مملوءة كلها رجسًا وعذرة، وكفى بها كلمات عبرت عن الواقع.

---

(١) ميخائيل السرياني، روايات ميخائيل السوري الكبير، ضمن: الموسوعة الشامية فى تاريخ الحروب الصليبية، تأليف وتحقيق وترجمة: سهيل ذكار، الجزء الخامس، دمشق، ١٩٩٥م، ص٢٣٦.

(٢) ابن جبير، الرحلة، ص.ص٢٤١،٢٤٠، محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص٢١٩.

وقد قدم أسامة بن منقذ[1]، الذي كان على صلة وثيقة بالصليبيين، صورة أكثر واقعية عن هذا المجتمع غير المتجانس في تكوينه[2]، فعندما كان بمدينة نابلس استعجب من موقف رجل دخل بيته ووجد امرأته تخونه مع رجل آخر، فما كان منه إلا أن واجه الأمر بكل برود، وقام بتوبيخ هذا الرجل ببعض كلمات بسيطة، وطلب منه ألا يفعل ذلك مرة أخرى وإلا خاصمه[3].

وكانت تلك صورة من الحياة اليومية داخل المجتمع الصليبي، وعلى الرغم من ذلك وجد معارضون لذلك التصوير الذي أورده أسامة بن منقذ، معللين ذلك بالمبالغة الشديدة في مهاجمة الصليبيين، وأن صورة المجتمع الصليبي ليست بتلك القتامة، وأنه سوء تقدير من جانب أسامة بن منقذ[4].

---

(١) أسامة بن منقذ: ولد أسامة بن منقذ في سنة ١٠٩٥م/ السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٤٨٨هـ في شيزر حيث كانت أسرته تملك إمارة صغيرة، وفي سنة ١١٣٨م/٥٣٢هـ نفاه عمه عز الدين الذي كان يتولى الحكم، والذي رآى في شجاعة أسامة وطموحه خطرًا يهدده، فذهب أسامة إلى دمشق حيث استقبله الأتابك شهاب الدين محمود بن تاج الملك بن بوري إستقبالاً حسنًا، وكانت لإسامة علاقات مع الصليبيين، فعقد صداقة مع فرسان المعبد، لأن أسرة بوري كانت ترتبط بمعاهدة صداقة مع مملكة بيت المقدس الصليبية، ثم تم إبعاده عن دمشق بسبب المؤامرات، فذهب إلى مصر سنة ١١٤٤م/٥٣٨هـ، وهناك عاش عيشة هادئة، لا يشغل نفسه إلا بالصيد، ثم أشترك بعد ذلك في قتال الصليبيين بعسقلان، ولما سأم العيش بمصر، رحل إلى دمشق مرة آخرى، حيث آلت إلى ملك نور الدين محمود، وبعد ذلك بفترة دخل في خدمة صلاح الدين الأيوبي بدمشق، وظل بها حتى توفي عام ١١٨٨م/٥٨٤هـ، للمزيد من التفاصيل عن حياته انظر:

أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، ط. القاهرة، ب.ت، ص .ص ٢٥١-٢٦٤، محمد مؤنس، الجغرافيون والرحالة المسلمون، ص.ص ٢٤٥-٢٦٤، أحمد بدوي، الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية، ص.ص ١٧١-١٨٨، شوقي ضيف، الرحلات، ص.ص ٥٦-٦٠.

(٢) للمزيد من التفاصيل عن المجتمع الصليبي راجع الفصل الأول.

(٣) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ص١٦٦، جوزيف نسيم يوسف، العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، ط. القاهرة، ١٩٦٣م، ٧٦، محمد فوزي، نهاية الصليبين، ص٢١٩.

(4)Gibb, Notes on the Arabic Materials for the History of the Early Crusades, Bulletin of the School of Oriental Studies, University of London, Vol. 7, No.4, 1935, p739,

إبراهيم القادري بوتشيش، " مجتمع الصليبيين في بلاد الشام من خلال الإسطوغرافيا الإسلامية المعاصرة للحروب الصليبية "، رؤية الآخر، التعارف والتعايش، مجلة التاريخ العربي، العدد: ١٧، ط. القاهرة،=

غير أن ذلك لا يمنع أن الغيرة الجنسية عند الصليبيين كانت منعدمة تمامًا، وعلى الرغم من أن المصادر العربية ندرت بها الإشارات عن المرأة الصليبية، إلا أن إشارات أسامة بن منقذ بينت جانبًا من الحياة الاجتماعية والعادات غير المألوفة عند المسلمين(١)، وذلك أن الرجل عندما كان يمشي مع زوجته فيلقاه رجل آخر فينفرد بامرأته بعيدًا عنه ويتحدث معها، والزوج واقف ينتظرها بعيدًا، وإذا ما أطالت الحديث تركها وذهب بمفرده(٢).

وتبرز لنا تلك المعلومات التي أوردها أسامة بن منقذ، أن المجتمع الصليبي لم تكن لديه غيرة جنسية، وأن وجود تلك العناصر الصليبية أعطاها الفرصة، وخاصة النساء في القيام بأفعال وتصرفات كما يحلو لهم؛ لأنهم كانوا يعتقدون أنهم يخدمون الرجال المحاربين، فكل ما يفعلونه سوف يغفره الله لهم، ومن أجل ذلك تفشت أعمال الزنا والدعارة بصورة غير مسبوقة داخل المجتمع الصليبي، وتطورت تلك الجريمة بشكل كبير، حتى أصبحت آفة من آفات ذلك المجتمع الهزيل.

وقد أكدت بعض الدراسات الحديثة، أن حرفة البغاء كانت منتشرة على نطاق واسع بمملكة بيت المقدس الصليبية، قبل فتح صلاح الدين لها، حتى أن كبرى العائلات كانت تدفع ببناتها إلى ممارسة هذه الحرفة البذيئة(٣)، ولم يقتصر ذلك على مدينة بيت المقدس فقط، بل امتد الوضع إلى بقية الإمارات والمدن الصليبية الآخرى، حتى تساوى من امتهن تلك الحرفة من رجال الدين والعلمانيين على حد سواء، ولذلك ندر وجود امرأة محتشمة في الإمارات الصليبية(٤)، ويبدو أنهم أقدموا على تلك المهنة لما كانت تدره عليهم من أموال

=٢٠٠١م، ص٣٠٥.

(١) محمد مؤنس، الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط. القاهرة،١٩٩٥م، ص٢٥١

(٢) أسامة بن منقذ، المصدر السابق، ص١٦٥

(3)Zoe, The Crusades, 519,

محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص٢١٩، علي السيد، المجتمع الكنسي، ص ١١٩.

(4)Norman Daniel, The Arabs and Mediaeval Europe, London, 1975, p202.

طائلة.

وفي خلال الاستعدادات للحملة الصليبية الثالثة من قبل هنري الثاني ملك إنجلترا، قام بلدوين رئيس أساقفة كانتبري بالدعوة للحملة الصليبية في ويلز، وفي نفس الوقت تضمنت مراسيم جيدنجتون قيودًا صارمة تم القسم على مراعاتها، في محاولة لتحاشي المجون والاستهتار، ولم يسمح للنساء بمصاحبة الحملة الصليبية المعلنة، باستثناء الغسالات ذوات السمعة الطيبة[١]. وعلى الرغم من ذلك لم يستطع قادة الحملة من منع النساء من مرافقة الجنود أثناء سفرهم من مواطنهم إلى الأراضي المقدسة[٢]، ويرجح أن تلك القرارت التي تم اتخاذها لمنع النساء من مصاحبة الجيوش الصليبية الذاهبة إلى بلاد الشام، لم تفعل على الإطلاق، بل كانت عبارة عن رد فعل سريع لحالة الغضب التي كانت عليها البابوية نتيجة لما كان سائدًا في مدن بلاد الشام التي خضعت للسيطرة الصليبية، وانتشرت فيها أعمال البغاء بكثرة خارجة عن السيطرة.

والمتتبع لأحداث الحملة الصليبية الثالثة، يجد أنه أثناء عمليات حصار القوات الصليبية لمدينة عكا عام ١١٨٩م/٥٨٥هـ، والجيوش الصليبية المحاصرة للمدينة تعانى من تفاقم أخطار المجاعة، وانتشار الأمراض القاتلة فيما بين الجنود[٣]، فإذا بسفينة كبيرة ترسو على ساحل المدينة، وبها حوالي ثلاثمائة امرأة من بنات الهوى، قدمن من جزر البحر المتوسط المختلفة مثل (قبرص- مرسيليا)، وكان هدفهن المعلن إسعاد الأشقياء، وتسبيل أنفسهن للغرباء، بل لقد رأين أنهن بعملهن هذا يتقربن من الله كثيرًا، والذي ساعدهم على تأدية تلك المهم الخاطئة، هو استعداد الجنود أنفسهم من الموسرين ماديًا[٤]، ويرجح أن رجال الدين الصليبيين لم يستطيعوا السيطرة على تلك

---

(١) زينب عبد المجيد، الإنجليز، ص١١٠.

(٢)رياض مصطفى شاهين، "هدنة الرملة والظروف المحيطة بها"، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد التاسع، العدد الأول، كلية الأداب، ط. غزة، ٢٠٠١م، ص٣٦٨.

(3)Joseph Francais Michaud, History of The Crusades, New York, 1855, p483.

(٤)العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق: محمد محمود صبح، ط. القاهرة، ١٩٦٥م،

الأمور داخل الجيوش الصليبية، فزادت وانتشرت بصورة كبيرة.

وقد عملت المدن والجزر الأوربية المطلة على البحر المتوسط على مد مدن الساحل الشامي، ومنها باقي مدن الظهير التي وقعت تحت السيطرة الصليبية، بتلك النساء سيئة السمعة، وعلى رأسهن مدينة مرسيليا، فقد صارت تلك المدينة مقصدًا لكل فاسد وفاسدة يريد الرحيل إلى الأراضي المقدسة، بدعوى تطهير أنفسهم من الذنوب والخطايا، وكان ذلك في الظاهر، وممارسة ما ألفوه من أعمال الدعارة سراً، مما جعل حكومة مدينة مرسيليا تصدر أمرًا إلى قناصلها على متن السفن بمنع نقل المنحرفين والمنحرفات أخلاقيًّا، وكذلك إلى المسئولين عن إدارة الفنادق التابعة لقومون مرسيليا في مدن الساحل الشامي بعدم إيواء أولئك الفاسدين أخلاقيًا، غير أن هذه التعليمات كانت حبرًا على ورق[1]، حيث يرجح أن الرشوة لعبت دورًا كبيرًا في عدم تطبيق تلك القرارات، وأعمت عيون قناصل المدن الأوربية عن تطبيق تلك القرارات، طالما كانوا يحصلون على تلك الأموال.

وبعد سقوط مدينة عكا بأيدي القوات الصليبية، امتلأت تلك المدينة بالمسرات، وتدفقت الخمور إلى أرجاء المدينة، وانتشرت الحانات والمنازل الخاصة بكافة أحياء المدينة، حيث احتفظت تلك المنازل والحانات بعدد كبير من البنات الشرقيات الراقصات، وأحيانًا كان أولئك الشرقيات من الإماء أو الجواري، وانتشرت أعمال الدعارة بكافة أنحاء المدينة، وأصبحت تلك المهنة مكلفة للغاية، مما جعل رجال الدين من الصليبيين يؤجرون المنازل ودور العبادة لممارسة تلك الأعمال الشنيعة[2]، وفيما يبدو أن بعض نساء المسيحيين

ص٣٤٧، أبو شامة الروضتين في أخبار الدولتين النورية و الصلاحية، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط. بيروت، ٢٠٠٢م، ج٢، مجلد٤، ص٦٣، أحمد شامي، العلاقات بين الشرق والغرب، ٢٠٧،

Henry Stebbin, The History of Chivalry and The Crusades, Vol. II, London, 1830,p119.

(١) براور، الاستيطان الصليبي، ص٢٤٠، محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص ٢٢١.

(٢)أمبروز، حملة الملك ريتشارد قلب الأسد، ت. سهيل ذكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج ٣٢، ط. دمشق، ١٩٩٥م، ص٣٥٤، يوشع براور، عالم الصليبين، ت. قاسم عبده قاسم و

الشرقيين قد أغرتهن تلك المباهج التي أقامها الصليبيون بالمدينة، لذلك سارعن بالمشاركة في تلك المفاسد، لعلمهن أنهن بعيدين عن يد القانون.

ونتيجة لتلك الأفعال، ساد الهرج والمرج بالمدينة، وانتشرت الفوضى بين رجال الجيش، حيث انصرفت الجنود الصليبية إلى ارتياد تلك الحانات لقضاء أوقاتهم فيها، ومجالسة العاهرات، والانكباب على لعب الميسر[1]. ولذلك عندما أراد الملك ريتشارد الخروج من المدينة في يوم الخميس الثاني والعشرين من أغسطس، لم يصاحبه الجنود الفرنسيون وتذمروا عليه، فلم يكونوا يريدون ترك تلك الراحة والدعة طوال الشهر الذي قضوه بالمدينة، حيث اغتمسوا في حياة اللهو والفجور بالنساء دون رادع لهم[2]، ويوضح ذلك أن أعمال الدعارة التي مارسها الجنود الصليبيون كانت من أهم أسباب الخروج عن طاعة قوادهم.

وعندما تم استدعاء القوات الصليبية إلى مدينة صور لمواصلة الأعمال الحربية، كانت الجنود الفرنسية التي وصلت إلى المدينة، يفترض أنهم جاءوا للقيام بمهام عسكرية غير أنهم تخلوا عن هذا وسلموا أنفسهم للغانيات وللمتع الجسدية، وشرب الخمور، حتى أنهم كانوا لا يشاهدون إلا وهم في صحبة الراقصات اللائي يطلعن في ملابسهن الخليعة المثيرة والدالة على حياة الإثم، بل وصل الأمر إلى فقد السيطرة على أولئك الجنود، فقد كانوا يذهبون إلى بيوت العاهرات، فإذا صادف وكن مشغولات، والأبواب مغلقة في وجوههم، كانوا يخلعونها، ويتلفظون بألفاظ بذيئة، حتى ينالوا ما يريدون[3]، ويلاحظ أن الجنود الفرنسيين كانوا أشد جرمًا عن بقية الجنود الآخرين، حيث لم يقيموا وزنًا

محمد خليفة حسن، ط. القاهرة ١٩٩٩م، ص١١٥.

(١) مجهول، الحرب الصليبية الثالثة، ج١، ص١٦٣.

(٢) مجهول، نفسه، ج٢، ص٥٨، رانسيمان، الحملات الصليبية، ج٣، ص٩٢.

(٣)مجهول، كتاب حملة الملك ريتشارد إلى أراضي القدس المقدسة، ت. سهيل ذكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج٣١، ط. دمشق، ١٩٩٥م، ص.ص١٤٩،١٤٨، مجهول، الحرب الصليبية الثالثة، ج٢، ص١٥٣،

Wallace Fleming, The History of Tyre, New York, 1915, p110.

لقادتهم ولم يقدموا فروض الطاعة في سبيل تحقيق رغباتهم الجنسية والتخريبية.

وتكملة لمسيرة الفساد التي شهدتها الحملة الصليبية الثالثة، فإنه خلال شهر أكتوبر من عام ١١٩١م/٥٨٧هـ، قام الملك ريتشارد بتجميع جميع الجيوش تحت سيطرته، وتوجه بهم صوب مدينة يافا من أجل إقامة الاستحكامات بها، وفي خلال تلك الأثناء حدث حالات هروب جماعي من الجيش الصليبي، وذهبوا إلى مدينة عكا من أجل ممارسة الرذيلة، وقدمت إليهم العديد من النساء من مدينة عكا لإشباع رغباتهم، وعندما أرسل لهم الملك جاي لوزيجنان Guy of Lusignan (١١٨٦-١١٩٢م/ ٥٨٢-٥٨٨هـ)، لكي يعودوا أدراجهم إلى المدينة مرة أخرى لم يطيعوا أوامره، مما اضطر الملك ريتشارد إلى الذهاب بنفسه إليهم حيث لم ينجح إلا في إقناع البعض منهم بالعودة معه، وظل باقي الجنود مقيمين بالمدينة[1]، ولم لا وقد صحب الجنود النساء داخل المعسكر الصليبي، حيث عشن حياة الرفاهية، والتي تعدت في رفاهيتها، رفاهية كبار رجال الملك[2]، وتلك كانت الحملة الصليبية الثالثة التي قادها أعظم ملوك أوربا في تلك الفترة.

وبتتبع أحداث الحملة الصليبية الخامسة التي استولت على مدينة دمياط، نرى ما صوره لنا مؤرخ الحملة أولفر أوف بادربون، حالة الفساد والفسوق التي أصبح عليها الجنود الصليبيون، بعد استيلائهم على المدينة أبلغ تصوير، فقد قال: ما من أحد يمكنه أن يصف فساد جيشنا، بعدما أعطانا الرب مدينة دمياط، فقد بات الناس كسالى، مخنثين، تدنسوا بأعمال المهاجع والسكر والفسق والزنا والسرقة[3]، بل وصل الأمر بالصليبيين أن مارسوا الفحشاء مع نساء

---

(١) مجهول، حملة الملك ريتشارد، ج٣١، ص١٢٧، مجهول، الحرب الصليبية الثالثة، ج٢، ص١٠١، رنسيمان، الحملات الصليبية، ج٣، ص٩٦،

Sidney Painter, The Third Crusade : Richard and Philip Augustus, in setton: The Later Crusades, 1189-1311,Vol.II, London, 1969, p.p 76,77.

إبراهيم سعيد فهيم محمود، يافا ودورها في الصراع الصلبي الإسلامي (١٠٩٩-١٢٩١م/ ٤٩٢-٦٩٠هـ) رسالة ماجستير، ط. الأسكندرية، ١٩٩١م، ١٧٨

(٢) حسين عطية، طبائع الفرنج، ص٢٨.

(٣) أولفر أوف بادربورن، الاستيلاء على دمياط، ت. سهيل ذكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب

المسلمين داخل الجوامع، وكانت تلك من أبشع جرائمهم، ويبدو أن حالة الفراغ العسكري التي عاش فيها الصليبيون بعد سقوط مدينة دمياط بأيديهم، قد دفعهم ذلك إلى حياة الفساد والفجور، حتى أنه بمجرد سقوط المدينة، انتشرت المواخير والعاهرات ولعب النرد داخل المعسكر الصليبي، بشكل جعل الكاردينال هنري دي ألبانو يصدر قرارًا بطرد العاهرات ومحترفي النرد[1]، وبذلك لم يراع الصليبيون أي حرمة دينية، ولم يتورعوا عن مخالفة رجال الدين.

وحتى أن بحارة السفن التي أقلت جنود تلك الحملة من جنوا إلى عكا، كانوا يزورون بنات الهوى في قاع السفينة من أجل ممارسة الرذيلة، وقد أثنى جاك دي فيتري على الكاردينال هنري دي ألبانو لقيامه بإغلاق المواخير التي أنشأت في المعسكر الصليبي بالقرب من دمياط، بعد أن قرر إبعاد العاهرات ومن يعاقرون الخمر من الصليبيين، ويرتادون الحانات[2]، ويبرز هنا الترابط القوي بين انتشار جريمتي الزنا والدعارة، وبين معاقرة الخمور، فمن كان يشرب الخمور، كان ملازمًا لبنات الهوى، حيث كانت الخمور تجعل الفرد غير مسيطر على نفسه، كما كانت تساعد في تأجج الشهوة الجنسية.

وقد جاء وصف جاك دي فتري للمجتمع الصليبي غاية في الدقة، فقد وجد مجتمعًا صليبيًا غير مترابط، في طياته الكثير من التناقضات[3]، فقد وصف الصليبيين بافتقادهم للروح الصليبية واعتيادهم على حياة الكسل والترف والفساد، ولذلك اعتبرهم جماعة من الخونة الغشاشين الأفاقين، وذلك لتفشي الفجور والدعارة بينهم، وقد فسر جاك دي فتري ما وصل إليه المجتمع الصليبي نتيجة إلى ارتفاع معدل البطالة، وزيادة نسبة العاطلين داخل المجتمع الصليبي، مما أدى بدوره إلى انتشار بيوت الدعارة، حتى وصفهم بالنجاسة لقلة

الصليبية، ج ٣٤، ط. دمشق، ١٩٩٨م، ص٨٣، حسين عطية، طبائع الفرنج، ص ٢٩.

(١) ابن أيبك الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، ط. القاهرة، ١٩٧٢م، ٢٠٣، محمود سعيد عمران، الحملة الصليبية الخامسة، دار المعارف، ط. الاسكندرية، ١٩٨٥م، ص.ص٢٠٧، ٢٨٣، محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص.ص٢٤٨،٢٤٧.

(٢) حسين عطية، المرجع السابق، ص ٢٩.

(٣) محمود سعيد عمران، الحملة الصليبية الخامسة، ص١٥٦.

الماء[1] التي كانوا يستخدمونها، ونبه كذلك إلى خطورة انتشار الزنا بصورة فادحة داخل المجتمع الصليبي، ونتج عن ذلك كثرة الخلافات والمشاحنات فيما بينهم[2]، وقتل بعضهم بعضًا نتيجة لممارسة الزنا والدعارة، بل كان الكثير من الصليبيين يعيشون مع بعضهم بدون زواج رسمي، فعاشوا في حالة زنا دائم[3]، مما كان له أثره المباشر في تفكك الأسرة الصليبية.

ووصل الأمر إلى تدهور الأوضاع الأخلاقية بمملكة عكا الصليبية لدرجة خرجت عن السيطرة، فقد انتشرت بيوت الدعارة بالمدينة، وكانت البغايا يستأجرون البيوت بأعلى أجر من سواهن، ولم يكن يستأجرن البيوت من العلمانيين فقط، بل ومن رجال الدين أيضًا، حتى وصل الأمر إلى تأجير بعض الرهبان لبيوتهم علنًا من أجل ممارسة الدعارة بها[4]، وأخذت بعض الأحياء شهرة من خلال ممارسة الرذيلة، ومنها الحي الأحمر بمدينة عكا، الذي كان تدار فيه حرفة الدعارة بشكل منظم ومرتب، حتى اشتهر بتلك المهنة الرذيلة، فقصده الناس من كل مكان[5]، حيث انتشرت بذلك الحي الفنادق[6]، التي كانت قريبة من الميناء، حيث كانت هذه الفنادق مراكز لتجمع الحجاج،

---

(١) يرجح من قضية الماء، أن الصليبيين تأثروا بالمسلمين في مسألة النظافة الشخصية، حيث كانوا لا يستحمون بالماء إلا فيما ندر، ومع مرور الوقت، وطول فترة إقامة الصليبيين ببلاد الشام، ومعاشرتهم للمسلمين، أخذوا عنهم مسألة النظافة الشخصية بالماء، فكانوا يذهبون للحمامات من أجل الاستحمام، للمزيد من التفاصيل عن قضية النظافة الشخصية عند الصليبيين، انظر:-

أسامة بن منقذ، الاعتبار، ص.ص١٦٦-١٦٧.

(٢) جاك دي فيتري، تاريخ مملكة بيت المقدس، ص ٢٢٠.

(3)Jacques de Vitry, Letters de Jacques de Vitry, Eveque de Saint Jean d,Acre, (Par . R.B.C.Huygens),Leiden, 1960, p86.

(4) Ibid, p87.

(٥) محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص ٢٤٩.

(6)Olivia Remie Constable , " Funduq, Fondaco And Khan , in The Wake Of Christian Commerce And Crusade ", in , The Crusades from the Prospective of Byzantium and the Muslim World , Angeliki E. Laiou And Roy Parviz Mottahdeh, Dumbarton Oaks 2001.

واستخدمت تلك الفنادق كبيوت للدعارة[1]، وازداد الأمر سوءًا، عندما انتشرت حلقات البغاء في الأسواق، حيث كان محتسب المدينة يجمع الفواجر والغرباء في حلقته الخاصة، وينادي على الواحدة حيث كان يتم المزايدة عليها، حتى إذا ارتضى لها سعرًا، سلمها إلى صاحبها مع ختم المطران، حيث كان يصطحبها بعد ذلك للفندق، فإذا وجد صاحب الفندق، الرجل والمرأة بدون ختم المطران فرض عليه غرامة لذلك[2]، وهكذا فإن بريق المال- كان له مفعول السحر- على رجال الدين الصليبيين، حتى تخلو تمامًا عن مبادئ وتعاليم المسيحية التي كان من المفترض أن يوعظوا بها داخل المجتمع الصليبي، وترددوا في تلك الخطيئة وسهلوها لطالبي المتعة الحرام، وبذلك أصبحت مهنة البغاء مهنة شبه رسمية داخل المجتمع الصليبي.

ومع مقدم الحملة الصليبية المعروفة بالسادسة، وعلى رأسها الإمبراطور فرديريك الثاني إمبراطور ألمانيا، تم استخدام العاهرات في الشئون السياسية، فلقد ردد البعض أن الملك الكامل من أجل أن يقيم تحالف مع الإمبراطور فريدريك، قام بإرسال بعض العاهرات إليه، من أجل استمالته، والتأثير عليه، حتى يفعل ما يريده الملك الكامل[3]، وهذا من وجهة النظر الصليبية تجاه حكام الإسلام، فالملك الكامل له مواقف مشرفة فى تاريخ الإسلام، وعمل مؤرخى الصليبيين على قلب الحقائق، كما فى تلك الحادثة، فقد أراد فرديريك التقرب من الملك الكامل، وقد أوضحت تلك الحادثة إلى معرفة القادة المسلمين لنقاط ضعف القادة الصليبيين، وهي النساء.

وبقدوم آخر الحملات الصليبية الكبرى، المعروفة بالحملة الصليبية السابعة، وبالرغم من أن قائد هذه الحملة هو القديس لويس التاسع ملك

---

(١) يوشع براور، عالم الصليبيين، ص١١٨.

(٢)القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، الجزء الأول، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط. القاهرة، ٢٠٠٣، ص٢٥٩، نهي فتحي، إمارة طرابلس، ص٢٠٦.

(3)Mathew of Paris, English History from the year 1235 to 1273, Trans, From The Latin By, J.A.Giles, London, 1853, vol.2,p4.

فرنسا، غير أنه على الرغم من تلك القداسة التي كانت تلازمه، لم يكن في مقدوره منع العاهرات من مرافقة جيوشه على متن السفن التي نزلت بمدينة دمياط المصرية، حيث كان الانحلال الخلقي وانتشار الزنا والدعارة بمعسكرات الجيش الصليبي بمدينة دمياط، كان من أهم عوامل فشل تلك الحملة، فقد أدى ذلك إلى ضعف الروح المعنوية للجنود، وانصرافهم إلى اللهو والفجور، وانهاك قواهم البدنية في غير محلها، نجد على الطرف الآخر المسلمين منهمكين في تجميع قواتهم وتنظيم صفوفهم لمواجهة الصليبيين[1]، حتى أن جوانفيل مؤرخ الحملة، ومرافق القديس لويس، أظهر نقمه على ما كان يراه من تلك الأعمال المنحرفة من قبل جنود الحملة، حتى أنه كان يخشى على نفسه من اتهامه بالزنا؛ لأن مواخيرها كانت بالقرب من مخيم الملك لويس التاسع نفسه[2]، وبذلك يكون لجريمتي الزنا والدعارة العامل الأكبر في فشل آخر الحملات الصليبية الكبرى على الشرق الإسلامي بصفة عامة، وبلاد الشام بصفة خاصة.

ومما تقدم يتضح لنا انتشار جريمة الزنا على نطاق واسع بين مختلف طبقات المجتمع الصليبي ببلاد الشام على مدى القرنين الثاني والثالث عشر الميلاديين، السادس والسابع الهجريين، بلا استثناء، وبالرغم من ادعاء الصليبيين أنهم قد جاءوا إلى بلاد الشام لإنقاذ قبر المسيح، إلا أن تعاليم المسيح لم تقف حائلاً بينهم وبين جريمة الزنا، مما كان له أكبر الأثر على تدهور الروابط الأسرية داخل المجتمع الصليبي وإصابته بالوهن، وهو ما كان له دور كبير في تسهيل مهمة المسلمين في استرداد ما اغتصبه الصليبيون.

---

(١) سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية، ص.ص٣١٧،٣١٦، حسين عطية، طبائع الفرنج، ص٣٠.

(٢)جوانفيل، القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام، ت. حسن حبشي، ط. القاهرة ١٩٦٨م، ص ٩٩، محمد فوزى، نهاية الصليبيين، ص٢٢١.

Norman Daniel, The Arabs, p202.

الفصل الرابع

جريمة الرشوة

* تعريف جريمة الرشوة ودوافعها.
* الرشوة داخل الطبقة العليا.
* الرشوة في المؤسسة الكنسية.

يتناول هذا الفصل بالدراسة والتحليل، جريمة الرشوة وانتشارها داخل المجتمع الصليبي خلال القرنين ١٢-١٣م/٦-٧هـ، فقد كان لهذا المجتمع غير المتجانس العديد من السلبيات التي تجمعت مع بداية تكوينه واستمرت تنخر في أوصاله، حتى كانت نهايته المتوقعة وهي الانهيار والطرد من بلاد الشام، فحمل هذا المجتمع العديد من المتناقضات الصريحة، فعلى الرغم من أنه كان في ظاهره يدعو للتوبة من الذنوب، وتخليص الأراضي المقدسة من أيدي المسلمين، إلا أنه من داخله كان على النقيض من ذلك تمامًا[1]. فلقد انتشرت الجريمة بأنواعها المختلفة داخل جنبات هذا المجتمع، وأصبح الوضع الأخلاقي متدهورًا تمامًا، حتى بدأت الكتابات النقدية توجه للحركة الصليبية نفسها، وأصبح التساؤل عن مدى جدوى الذهاب للحج للأراضي المقدسة ملحًا.

ومن أخطر الجرائم التي سادت داخل المجتمع الصليبي، جريمة الرشوة التي جلبت عليه العديد من المحن والهزائم.

وفيما يخص بتعريف الرشوة ودوافعها، فالرشوة كما عرفها القانون الكنسي:- هي الإرادة الحرة بشراء أشياء مقدسة كالحصول على الأسرار أو على منصب كنسي مقابل مبلغ من المال أو ما يعادله أو لقاء خدمة معينة[2]، فهي اتجار بأعمال الوظيفة أو الخدمة، وهي تقتضي وجود شخصين أو أكثر يطلب أو يقبل جعلاً مقابل قيامه بعمل أو امتناعه عن عمل من أعمال وظيفته، ويسمى في تلك الحالة الذي أخذ المال مرتشيًا، ويسمى راشيًا إذا قبل أداء ما يطلبه المرتشي أو تقدم بعطاء فقبله المرتشي، وعلى ذلك تكون الرشوة فعل يقوم به شخص أو مجموعة أشخاص ذوو صفة عامة عندما يتاجروا بوظائفهم، أو بمعنى آخر يستغل السلطات المخولة له بمقتضى هذه الوظيفة، وذلك حين يطلب لنفسه أو لغيره أو يقبل أو يأخذ وعدًا أو عطية لأداء عمل من أعمال وظيفته أو الامتناع عن ذلك العمل أو للإخلال بواجباته[3].

---

(1) Carleton & James, The Middle Ages, 395-1500, New York, 1928, p319.

(٢) مجموعة مؤلفين، شروحات مجموعة قوانين الكنائس الشرقية، تقديم: مار إغناطيوس موسى الأول داود، منشورات المكتبة البولسية، ط. بيروت، ٢٠٠٥م، ص١٦٠٠.

(٣) مصطفى مجدى هرجة، أحكام الرشوة في ضوء الفقة والقضاء، الإسكندرية، ١٩٩٠، ص٣.

وقد عرفت باسم البذل والبرطلة –وذلك فى العصر المملوكى المتأخر–، فعلى الرغم من أن لفظ بذل يعني لغوياً العطاء والكرم، إلا أن المقصود به في هذه المصادر هو الرشوة، وذلك على العكس تمامًا من اللفظ الثاني والذي يعني صراحة الرشوة[1]، إذن فالرشوة جريمة منكرة عقلاً ووضعًا، فعقلاً تشكل عملاً قبيحًا، فكل مقوماتها وعناصر وجودها تلحقها مخبثة ومفسدة آثمة فتوجب تجريمها، فالاسترشاء وهو طلب الرشوة، والارشاء هو إعطاؤها، والارتشاء هو أخذها، وكلها أمثال قبيحة ينكرها العقل؛ لأنها فساد لأجهزة الدولة، وإخلال بواجبات الوظيفة، وإفساد للروابط الإنسانية[2]، وبذلك تكون جريمة الرشوة، فعلا منافيًا للطبيعة البشرية، لأنها تحيد عن الحق، وتساعد في ظهور الجرائم الآخرى بجميع أشكالها، كما سيتضح من سياق الفصل.

وقد اشتهر داخل المجتمع المسيحي الأوربي مصطلح السيمونية، الذي كان يعنى شراء المناصب الدينية عن طريق الرشاوى، وترجع تلك التسمية نسبة إلى سيمون الساحر اليهودي الذي أراد شراء هبة القدرة على الإتيان بالمعجزات والخوارق من القديس بطرس، فكان رد القديس بطرس عليه «لتكن فضتك معك للهلاك، لأنك ظننت أن تقتني موهبة الله بدراهم»[3]، ومن هنا جاء مصطلح السيمونية.

وقد تعددت عوامل ظهور الرشوة في المجتمع الصليبي، فمنها العامل الاقتصادي والذي تمثل في ارتفاع نسبة البطالة أو عدم كفاية الدخل[4]، فقد انتشرت أعداد العاطلين عن العمل داخل المجتمع الصليبي، سواء كانوا من الصليبيين المحليين أم من

---

(١) أحمد عبد الرازق، البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. القاهرة ١٩٧٩م، ص١١.

(٢) حسين عبد الحميد أحمد، الجريمة، دراسة مقارنة في علم الاجتماع الجنائي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ١٩٩٥م، ص.ص٣٩،٣٨.

(٣) سفر أعمال الرسل، الإصحاح الثامن، ص١٨–٢٠، نور الدين حاطوم، تاريخ العصر الوسيط في أوربا، ج١، ط. بيروت، ١٩٦٧م، ص٥٠٢، حسن عبد الوهاب حسين، مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية، ط. الأسكندرية، ١٩٩٧م، ص ٩٦.

(٤) عمر السعيد رمضان، دروس في علم الإجرام، دار النهضة العربية، ط. بيروت، ١٩٧٢م، ص١٠٩.

الوافدين الجدد الذين لم تكن لهم أية حرفة خاصة بعد حروب صلاح الدين التي قلصت رقعة البلاد الخاضعة للصليبيين[1]. ويضاف إلى ذلك حلم الثراء الذي راود الكثير من الصليبيين سواء كانوا من الفرسان الذين حملوا معهم أخلاق الفروسية، أم من الفقراء الذين سعوا لتحقيق الثراء السريع بسبب أطماعهم الدنيوية، لذلك سعوا إلى تحقيق تلك الأطماع بشتى السبل والوسائل[2]، ومن ثم حاولت تلك العناصر إيجاد عمل لها بشتى الطرق، حتى لو كانت تلك الطرق غير مشروعة، ومنها الرشوة في سبيل الارتقاء بمكانتهم الاجتماعية.

وكان للعامل الاجتماعي دور مهم في انتشار الرشوة بين طبقات المجتمع الصليبي المختلفة، ويرجع ذلك إلى كون بعض أفراد الأسرة مجرمين أو مدمنين للخمر، ويضاف إلى ذلك عدم التجانس العائلي بين أفراد الأسرة الواحدة[3]، ولذلك اشتملت طبقات المجتمع الصليبي على ما يعرف باسم أشرار الغرب، وهم من أصحاب الجرائم وقطاع الطرق واللصوص، فقد قدموا إلى بلاد الشام متظاهرين بالحج والتوبة، غير أنهم سرعان ما عادوا إلى ما كانوا عليه، بالإضافة إلى الوافدين وتقلب أعدادهم بين الزيادة والنقصان، مما أدى إلى ازدحام المدن الصليبية، كل ذلك ساعد على انتشار الرشوة فيما بينهم[4]، ونتج عن ذلك التزاحم تعدد الرغبات الإجرامية، مع تعدد القوانين المعطلة[5]، أدى إلى انتشار تلك الجريمة.

وبالنسبة لانتشار الرشوة داخل الطبقة العليا، فقد عانى المجتمع الصليبي من تفشي ظاهرة الرشوة، وهو أمر أشارت إليه المصادر التاريخية التي عاصرت تلك الفترة، على نحو عكس وجود تلك الجريمة التي كان لها تأثير كبير في هدم المؤسسة

---

(١) جاك دفيتري، تاريخ مملكة بيت المقدس، ص ٢٥١، محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص ٢١٧.

(٢) حسن عبد الوهاب حسين، مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي، ص٩٣.

(٣) عمر السعيد، دروس في علم الإجرام، ص ١٠٨.

(4) Michaud (J.F), History of The Crusades, New York, 1855, vol. II, p71.

عبدالله عبد الرحمن الربيعي، أثر الشرق الإسلامي فى الفكر الأوربى خلال الحروب الصليبية، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام، ط. الرياض، ١٩٩٤م، ص٢٧،علي السيد، المجتمع المسيحي، ص١٧.

(٥) لمزيد من التفاصيل، انظر الفصل الخامس المتعلق بالقوانين.

الصليبية من الداخل، وعلى الرغم من ذلك لم تمثل الرشوة حالات فردية محدودة الفعالية والتأثير، بل كانت ظاهرة اجتماعية خطيرة لا يستهان بها[1].

وقد كانت بداية جريمة الرشوة مع تحرك جيوش الحملة الشعبية الصليبية تحت قيادة بطرس الناسك، فعندما تحركت تلك الجيوش نحو بلاد الشام، ارتكبت الكثير من المذابح ضد يهود أوربا، وعندما وصلت تلك الجيوش إلى مدينة ترير Trier[2]، قام يهود المدينة برشوة بطرس الناسك حتى ينجوا بأنفسهم من المذابح التي تعرض لها إخوانهم اليهود في مختلف المدن الأوربية مع تحرك الحملات الشعبية[3]، وبذلك كانت لدى الجموع الصليبية الرغبة في تقبل الرشوة قبل تكوين الكيان الصليبي ببلاد الشام.

وقد كان لأفراد الطبقة العليا داخل المجتمع الصليبي ببلاد الشام، والتي ضمت كل من الملوك وحكام المدن الصليبية والنبلاء، دور بارز في انتشار جريمة الرشوة، وكانت بدايات تلك الجريمة، عندما وصلت حملة الأمراء إلى مدينة القسطنطينية Constantinople عام١٠٩٦م/٤٨٩هـ، وبعد أن استقبلهم الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين Alexius I Comnenus (١٠٨١-١١١٨/٤٧٣-٥١١هـ)م، وحاول استغلال تلك الحشود التي تجمعت بعاصمته من أجل إعادة السيطرة البيزنطية على المدن الشامية، مستخدمًا في ذلك الرشاوى، لاستمالة قادة الحملة الصليبية، ولذلك قابل الإمبراطور كل أمير على حدة، واستطاع استمالة بعض الأمراء منهم، فتأكدت له طاعة كل من جودفري وهيو Hugh I Count of Vermandois (١٠٥٣-١١٠١م/٤٤٥-٤٩٥هـ)[4]، كما استمال لجانبه أيضًا بوهيمند، كل ذلك من

---

(١) محمد مؤنس، الحروب الصليبية، ص ١٣٤.

(٢) ترير Trier:- تعد تلك المدينة من أقدم المدن الألمانية، تقع جنوب غرب ألمانيا ضمن مقاطعة راينلاند – بفالز التي عاصمتها مدينة ماينز، فقد أسسها القيصر أوغسطس Augustus ، وذلك عام ١٦ ق.م، وكانت ترير حتى القرن الخامس الميلادي عاصمة الإمبراطورية الرومانية الغربية، وبعد انسحاب القوات الرومانية منها، أصبحت المدينة أحد أهم المراكز الدينية والدنيوية، وكان أساقفة المدينة في نفس الوقت أمراء مخولون من قبل القيصر، وكان صوتهم في المجالس النيابية مهماً عند اتخاذ القرارات السياسية، للمزيد من التفاصيل، انظر:-

http://www.study-in-germany.de/arabic/4.545.3.4202.html.

(3)Alan Murray, The Crusades, An Encyclopedia, Vol. I, California, 2006, p680.

(٤) هيو:- هو الابن الأصغر لهنري الأول ملك فرنسا، والأخ الأصغر لفيليب الأول ملك فرنسا، وقد عين أمير=

أجل رد الممتلكات البيزنطية في آسيا الصغرى وبلاد الشام، وعلى رأسها مدينة أنطاكية، غير أن الأمير تنكريد رفض رشوة الإمبراطور البيزنطي والانصياع لرغباته[1]، وبذلك يكون الإمبراطور البيزنطي قد قرأ رغبات الأمراء الحقيقية، وهي السعي وراء الثروة والنفوذ، أكثر من رغبتهم الدينية المعلنة.

وعندما واصلت الحملة الصليبية الأولى تقدمها صوب بلاد الشام، وحاصرت قواتهم مدينة أنطاكية، ظهرت شجاعة حاكمها ياغي سيان في الدفاع عنها، فقد لاقى الجيش الصليبي المصاعب الكثيرة في ذلك الحصار، من نقص المؤن وتفشي الأمراض فيما بينهم، وظهور الأطماع الشخصية للقادة، وضعف الروح المعنوية للجنود[2]، وعندما طال أمد الحصار، وبدأت المؤن في النفاد، راسل بوهيمند أحد حراس أبراج المدينة، وكان من الأرمن يدعى فيروز أو زراد، وأقام معه صداقة، فكان فيروز يأتيه بأخبار المدينة من الداخل، فأغراه بوهيمند بالأموال والمكانة الرفيعة في مقابل تسهيل دخول الصليبيين لمدينة أنطاكية، وقد قبل فيروز هذا العرض لأنه كان يكن الحقد

=على فيرماندوس، وفي بدايات عام ١٠٩٦م/٤٨٩هـ تشاور كل من فيليب الأول وهيو بشأن الحملة الصليبية الأولى بعد وصول أخبار خطاب البابا أوربان الثاني في كليرمونت إلى مدينة باريس، ولم يتمكن الملك فيليب من المشاركة في تلك الحملة، ولذلك قام بتجهيز هيو للمشاركة في تلك الحملة، وفي صيف عام ١٠٩٦م/٤٨٩هـ توجه هيو على رأس جيشه إلى إيطاليا ومنها عبر أوربا حتى وصل إلى القسطنطينية، واجتمع بالإمبراطور البيزنطي ألكسيوس الأول كومنين، ثم شارك هيو في اجتياز المقاطعات السلجوقية بآسيا الصغرى، حتى سقوط أنطاكية بأيدي الصليبيين عام ١٠٩٨م/٤٩١هـ، وبعد ذلك عاد هيو إلى القسطنطينية لطلب الإمدادات من الإمبراطور البيزنطي، غير أن ألكسيوس لم يعره انتباهًا، فعاد مرة آخرى إلى فرنسا، غير أن البابا باسكال الثاني قام بتهديده بالحرمان، فعاد مرة آخرى مشاركًا في= الحملة الصليبية عام ١١٠١م/٤٩٥هـ غير أنه أصيب في معركة مع السلاجقة في سبتمبر من العام نفسه، وتوفي في أكتوبر من العام نفسه بمدينة طرسوس متأثرًا بجراحه، انظر:-

http://en.wikipedia.org/wiki/Hugh_of_Vermandois.

(1) Ralph of Caen, The Gesta Tancredi of Ralph of Caen, Trasn. Bernard Bachrach & David Bachrach, Hampshire, 2005, p32, Lilie (R.J), Byzantium and The Crusader States 1096-1204, Berlin, 1988, p9, Oman, The Byzantine Empire, London, 1892,1908, p264, Dana, The Middle Ages, pp246,247.

(٢)علية عبد السميع الجنزوري، الحروب الصليبية (المقدمات السياسية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. القاهرة، ١٩٩٩م، ص٢٥٦.

لسيده ياغي سيان، الذي فرض عليه غرامة مالية بسبب اختزانه للقمح[١]، فأراد فيروز الانتقام من سيده فقبل رشوة بوهيمند وفتح أبواب البرج للصليبيين وتملك الصليبيون المدينة[٢]، وبذلك يتضح أن لتلك الحادثة دورًا بارزًا في تاريخ الصليبيين بالمنطقة، ونستخلص منها عدة أمور، من ناحية لم تكن الحملة الصليبية قادرة على اقتحام مدينة أنطاكية، بسبب تفشي الأمراض والأوبئة بين صفوف الجيش، ومن ناحية آخرى استغلال بوهيمند لعنصر من غير المسلمين لكي يستطيع إسقاط المدينة لحسابه الشخصي، كل ذلك ينم عن مدى براعته في استغلال كافة الظروف لصالحه حتى يحسم أمر المدينة لكي تكون من نصيبه ولا ينازعه فيها أحد، مما يبرز دور الأطماع الشخصية الذي تعارض مع المصلحة العامة للصليبيين.

وأصبحت الرشوة من السمات المميزة للمجتمع الصليبي في طور تكوينه، فأصبحت الرشوة هي الطريق الوحيد للوصول إلى الوظائف المهمة في الدولة، بعد أن أصبحت الجدارة والكفاءة لا وجود لهما أمام طوفان الأموال المبذولة، الأمر الذي أدى في النهاية إلى انهيار ذلك المجتمع المبتسر، خاصة بعد أن امتدت الرشوة إلى كافة مجالات الوظائف الإدارية التي كانت بمثابة العمود الفقري لهذا المجتمع[٣].

وبعد استيلاء الصليبيين على مدينة أنطاكية، واصلت القوات الصليبية التقدم

---

(١) ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، راجعه وصححه:- محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، ط. بيروت، ٢٠٠٣م، ج٩، ص١٤، ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق خليل منصور، دار الكتب العلمية، ط. بيروت ١٩٩٦م، ص٢٣٩، بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ت. حسين عطية، الأسكندرية، ١٩٩٨م، ص١٨١، مجهول، أعمال الفرنجة حجاج بيت المقدس، ت. حسن حبشي، ط. القاهرة ١٩٥٨م، ص٦٦، ريموند اجيل، تاريخ الرحلة، ص١٠٨، وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج١، ص.ص٣٣٥-٣٣٨،

Robert the monks history of the first crusade, p143, Dana, The Middle Ages, p248, Ralph Bailey Yewdale, Bohemond I Prince of Antioch, Princeton, 1917, p59, Cynthia, RichardI, p89.

محمود الرويض، محمد سالم الطراونة، " دور الأرمن في تأسيس إمارتي الرها وأنطاكية الصليبيتين (٤٩٠-٤٩١هـ / ١٠٩٧ – ١٠٩٨م)"، حوليات آداب عين شمس، المجلد: ٣٠، يوليه – سبتمبر ٢٠٠٢م، ص٢٠٠.

(٢) محمود الرويض، نفسه، ص٢٠٠.

(٣) أحمد عبد الرازق، البذل والبرطلة، ص٤٣.

جنوباً نحو بيت المقدس، وقد نشأت في أثناء ذلك منازعات بين القادة الصليبيين فيمن يكون قائد الحملة الصليبية نحو بيت المقدس[1]، لذلك سارع الأمير ريموند سان جيل بعقد مؤتمر في منطقة الروج The Rog في الرابع من يناير ١٠٩٩م/ ١٠صفر ٤٩٢هـ، ضم قادة الحملة وبقية النبلاء الآخرين، من أجل حثهم على اختياره كقائد عام لهم، مستخدمًا في ذلك الرشاوى المالية من أجل استمالتهم، مستغلاً في ذلك حاجتهم الشديدة للمال، فأعطى لجودفري مبلغ عشرة آلاف صولدي Solidi، بصفته أمير له شأن وكلمة مسموعة، وأعطى ستة آلاف صولدي إلى روبرت الفلاندري، وخمسة آلاف إلى تنكريد بالإضافة إلى جوادين، أما بقية القادة الآخرين فأعطاهم مبالغ مناسبة، وكانت خطة ريموند هي استمالة هؤلاء القادة لطاعته، وقد قبل تلك الأموال كل من روبرت النورماندى وتنكريد واعترفوا له بالتبعية، غير أن القادة الآخرين رفضوا ذلك الأمر تمامًا[2]، وبذلك ظهرت نوايا القادة الصليبيين الحقيقية، وهي حب السيطرة والتملك، وتحقيق الأهداف الشخصية مستغلين في ذلك الرشوة، وقد تناسوا الأهداف المعلنة من حركة حجهم المزعومة والتي تتناقض مبادئها مع تلك الأطماع.

ولم يلبث جودفري طويلاً في حكم مملكة بيت المقدس، تحت لقب حامي القبر المقدس، فسرعان ما توفي في ٨ يوليو ١١٠٠م/ ٢٩شعبان ٤٩٣هـ، فأبدى رايموند رغبته الملحة في أن يخلفه في الحكم، وكان يساند رايموند في رغباته هذه الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس، غير أن الأمور لم تسر كما أرادوا، إذ سارع بلدوين أمير الرها، شقيق جودفري الراحل، إلى مدينة بيت المقدس، وتمكن عن طريق الرشوة من أن يضع

---

(١) رايموندا جيل، تاريخ الفرنجة، ص٢٢١،

John France, The Crusades, p84.

سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص١٨٢.

(٢) رايموندا جيل، المصدر السابق، ص١٩٠،

Steven Runciman, The First Crusade: Antioch to Ascalon, in Setton, Vol.I, London, 1969, p326,Zoe, The Crusades, p148,

سعيد عاشور، المرجع السابق، ج١، ص١٨٩، جوناثان رايلي سميث، الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية، ترجمة: محمد فتحي الشاعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. القاهرة، ١٩٩٩م، ص.ص١٣٨،١٣٧.

تاج مملكة بيت المقدس على رأسه في ٢٥ ديسمبر ١١٠٠م/ ٢٢صفر ٤٩٤هـ[١]. ودلالة تلك الواقعة أن بلدوين أراد أن يحظى بمنصب أرفع مما كان عليه، فلقب ملك مملكة بيت المقدس الصليبية، يجعل كافة الأمراء مدينين له بالولاء والطاعة، بدلاً من أن يكونوا أندادًا له، ومن ناحية أخرى، يكون بلدوين قد قضى على أحلام ومطامع كل من رايموند وألكسيوس كومنين في الفوز بعرش المملكة، ويكون الصليبيون بمنأى عن السيطرة البيزنطية التي سعى وراءها ألكسيوس كومنين بكل ما أوتي من قوة، غير أن الرشوة كان لها مفعول السحر في تغيير مسار الأحداث.

وعندما توفي بوهيمند أمير أنطاكية، وذلك في عام ١١١١م/٥٠٤هـ، قام الإمبراطور ألكسيوس كومنين بالمطالبة بإمارة أنطاكية طبقًا للمعاهدة التي عقدها مع بوهيمند قبل وفاته، وذلك في عام ١١٠٨م/ ٥٠١هـ، غير أن تنكريد رفض ذلك بشدة، فبعث ألكسيوس برسول خاص يدعى بوتوميتس Butumites، من أجل تقديم رشاوى مالية لكل من برترام والملك الصليبي بلدوين الأول، لكي يحاربوا تنكريد، فتمهل برترام في الرد على بوتوميتس، بينما رفض بلدوين ذلك العرض تمامًا[٢].

وخلال الصراع الذي كان دائرًا بين كل من الملكة مليسندا والملك بلدوين الثالث على عرش المملكة، دأبت الملكة مليسندا Queen Melisende (١١٣١-١١٦١م/ ٥٢٥-٥٥٦هـ)،على حجب الملك بلدوين الثالث بعيدًا عن الأنظار، فلم تكن لتصدر وثائق مشتركة، وأصبح واضحاً من تصرفات الملكة ومن التحول التدريجي لوضع بلدوين الثالث في الوثائق الملكية، أن العلاقات قد ساءت بينها وبين ابنها، ولذلك سيطرت الملكة مليسندا على مناطق واسعة من المملكة واخضعتها لنفوذها، ولم يكن أمام بلدوين سوى السيطرة على الممتلكات الملكية على الساحل الشامي، وخاصة مدينتي عكا وصور، وفي عام ١١٤٩م/٥٤٣هـ، حاولت مليسندا أن تجهض محاولات بلدوين تلك، فقامت بجذب هيئة فرسان الإسبتارية إلى جانبها عن

---

(١) إسحاق عبيد، روما وبيزنطة، ص١٢٩.

(2) Harlod S. Fink, The Foundation of the Latin States, 1099-1118, In setton, The first hundred years, vol. I, London, 1969, p.p 400-401.

طريق منحهم رشوة في صورة بعض الهبات في تلك المناطق[١]. وكان لتلك الرشوة تأثير مدمر على المجتمع الصليبي، فقد ساعدت على زيادة سعير نار الحرب الأهلية التي وقعت بين كل من بلدوين الثالث ومليسندا، وأضعفت عوامل تماسك ذلك المجتمع الداخلية بتورط كافة عناصره في هذا الصراع على السلطة.

وكما كان للرشوة دور بارز في فشل الحملة الصليبية الثانية، التي قدمت إلى بلاد الشام نتيجة سقوط إمارة الرها بأيدي عماد الدين زنكي في ٢٣ديسمبر ١١٤٤م/٢٦ جمادى الآخرة ٥٣٩هـ[٢]، وقادها كل من لويس السابعLouis VII ملك فرنسا، وكونراد الثالثConrad III إمبراطور ألمانيا، وذلك في عام ١١٤٧م/ ٥٤١هـ[٣]، فقد بشر بتلك الحملة القديس – على حسب معتقد الصليبيين- برنارد نتيجة لسقوط الرها، حيث ألهب حماسة ملوك أوربا، من أجل الانتقام لما حل بالرها بخطابات حماسية ولقاءات متعددة[٤]، وبالفعل تجمعت الجيوش الصليبية بقيادة كل من لويس السابع وكونراد الثالث بمملكة بيت المقدس، حيث اتفق كل من العاهلين مع الملك الصليبي بلدوين الثالث على الزحف نحو مدينة دمشق من أجل احتلالها، على الرغم من الحلف الذي كان معقود بين كل من أمير دمشق معين الدين أنر[٥]، وبين الصليبيين على ألا

---

(1)Mayer, " Studies in The History of Queen Melisende of Jerusalem", Dumbarton Oaks Papers, Vol.26, 1972, P93.

عبد الحفيظ محمد علي، مشكلات الوراثة في مملكة بيت المقدس وأثرها على تاريخ الحركة الصلبية (١١٣-١١٨٧م)، دار النهضة العربية، ط. القاهرة، ١٩٨٤م، ص٤٧.

(٢) علية الجنزوري، إمارة الرها، ص ٣١٠.

(٣)حولية متى الرهاوى، ضمن: الموسوعة الشامية فى تاريخ الحروب الصليبية، تأليف وتحقيق وترجمة: سهيل ذكار، الجزء الخامس، دمشق، ١٩٩٥م، ص٨٠،

David Nicolle, The Second Crusade, Disaster outside Damascus, Oxford, 2009, p15.

(4) Bernard of Clairvaus, Lectures on S. Bernard of Clairvaus, Trans by. Sparrow Simpson, London, 1895, p.p 161- 187, John Sommerfeldt, The Bernardine Reform and The Crusading Spirit, The Catholic Historical Review, Vol.86, No.4, (Oct.2000).

(٥) معين الدين أنر:- كان مدبراً لدول أولاد أستاذه طغتكين بدمشق، فقد كان عاقلاً، خيرًا، حسن السيرة والديانة موصوفًا بالرأي والشجاعة، محبًا للعلماء والصلحاء، كثير الصدقة والبر، وتوفي عام ١١٤٩م/ ٥٤٤هـ :- =

يهاجموا دمشق نظير جزية سنوية يدفعها لهم[1].

وبالفعل توجهت الجيوش الصليبية صوب مدينة دمشق، غير أن معين الدين أنر لم يحفل بها في باديء الأمر، نظرًا لما رآه من تكبد الحملة لخسائر هائلة في منطقة آسيا الصغرى[2]، لكنه فوجيء بالصليبيين يعسكرون أمام باب الجابية غربي المدينة، وكانت منطقة بساتين ومياه، فكمن المسلمون للصليبيين بين الأشجار[3]، وزادت القوات الصليبية من تشديد الحصار على المدينة، وبدا من الشواهد أن دمشق سوف تقع بأيديهم لا محالة[4]، لم يدع أنر الوقت يمضي هباء، فقد قام بمناورة شديدة الذكاء، حيث عمل على بث الشقاق بين قادة الجيوش الصليبية من ناحية[5]، ومن ناحية آخرى استغل سلاح الرشوة، فقد نجح في الإيقاع بين قادة الصليبيين بتلك الرشاوى المالية، فقد توصل لاتفاق سري مع بعض عناصر الصليبيين المحليين[6]، وبعض قادة فرسان

=الصفدي، الوافي بالوافيات، ط. شتوتجارت، ١٩٩١م، ج٧، ص١٣٠٥.

(١) حسن عبد الوهاب حسين، " الرشوة في المجتمع الصليبي في بلاد الشام منذ الحملة الصليبية وحتى سقوط بيت المقدس (١٠٩٥-١١٨٧م/٤٨٨-٥٨٣هـ)، ضمن مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية، ط. الإسكندرية، ١٩٩٧م، ص١١٦، مصطفى وهبة، موجز تاريخ الحروب الصليبية، مكتبة الإيمان، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٣٢.

(٢) روجر أوف ويندوفر، ت. سهيل ذكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج ٣٩، ط. دمشق، ٢٠٠٠م، ص١٦٦، حجازى عبد المنعم، السياسية الخارجية، ص٥٩، مصطفى الحناوي، عصر الحروب الصليبية، ص١٥٦.

(٣) روجر أوف ويندوفر، المصدر السابق، ص.ص ١٦٦-١٦٧، شاكر مصطفى، صلاح الدين، ص٣٠.

(٤) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٣، ص٣١٤.

(٥) متى الرهاوي، الموسوعة الشامية، ج٥، ص٨٠.

(٦) ميخائيل السرياني، الموسوعة الشامية، ج٥، ص١٨١، متى الرهاوى، المصدر السابق، ص٨١،
Virginia G. Berry, The Second Crusade, In setton, The first hundred years, vol. I, London, 1969, p509, Stevenson W.B, The Crusaders in The East, Cambridge, 1907, p161, Stanley Lane Poole, Saladin and The Fall of The Kingdom of Jerusalem, London,1898, p70, Jean Richard, The Eastern Chruchs, In:- The New Cambridge Medieval History, Vol. IV, C. 1024-C.1198, Part. I, Edited By:- David Luscombe =And Jonathan Riley Smith, Cambridge, 2004, p566,

الداوية والإسبتارية[1]. وسرعان ما دب النزاع بين قادة الحملة، وقاموا بتغيير مكان الحصار، وأتجهوا صوب الجانب الآخر من المدينة، وتذرعوا بأن سبب تغيير وجهتهم هو أن الجانب الآخر خال من الأحراش التي تحميه، وحتى يتمكنوا من إتمام عملية حصار المدينة، وبعد انتقالهم تعذر عمليًا إتمام الحصار، فتم رفع الحصار وانسحبت الجيوش الصليبية من أمام المدينة، وفشلت بذلك الحملة الصليبية الثانية[2]. ومما سبق يتضح أن المسلمين استطاعوا فهم طبيعة الصليبيين، واستغلوا الحزازات التي بين قادة الحملة الصليبية الثانية، بل وعرفوا نقاط ضعفهم والتي منها تقبلهم للرشوة، وبسببها فشلت الحملة الصليبية التي لو نجحت، لتغيرت مجرى الأحداث السياسية بالمنطقة بأكملها. ومن ناحية آخرى لم يأخذ القادة الصليبيين حذرهم بدرجة كافية من المسلمين، فلم يخفوا المشاكل التي كانت بينهم، واستخفوا بعملية حصار دمشق والتي إذا تمت بنجاح، لتغير مستقبل الصليبيين بالمنطقة، ومن ناحية ثالثة اتضح جشع الفرسان الرهبان سواء الإسبتارية أو الداوية، والتي من المفترض أنها حامية للصليبيين، غير أن سعيهم الدائم لاقتناء الأموال، كان من الأسباب الرئيسية في فشل الحصار.

ونتيجة لما حدث للحملة الصليبية الثانية من إخفاق، بدأت التساؤلات بين الصليبيين أنفسهم ببلاد الشام، وإخوانهم في الغرب الأوربي، يستفسرون كيف أن حملة من أجل نصرة الدين المسيحي تصل إلى تلك الكارثة، بل والأكثر من ذلك هو مدى

=أمين معلوف، الحروب الصليبية، ص١٩١.

(1) Sean Martin, The Knight Templar, Wales, 2004, p134, Peter W. Edbury, Looking back on the Second Crusade: Some Late Twelfth- Century English Perspectives, From: The Second Crusade and The Cistercians, Edited By: Michael Gervers, New York, 1992, www.deremilitari.org.

علي السيد، المجتمع المسيحي، ص١١٤.

(٢) متى الرهاوي، الموسوعة الشامية، ص٨٠-٨١،

Gordon. H, "The Reigning Prices of Galilee", in The English Historical Review, Vol. 27, No.107, Julie, 1912, p452.

سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج١،ص. ص٥٠١-٥٠٢.

جدوى المشروع الصليبي ذاته. وكلما زاد إخفاق الصليبيين ببلاد الشام، زادت أصوات المعارضة في الظهور، من ناحية تتساءل عن قيمة الحملات الصليبية ببلاد الشام، ومن ناحية آخرى تنادى بإيجاد بديل لها من خلال التوبة في أوربا نفسها. وكان ذلك نتيجة لكثرة شراء العملاء من الصليبيين ولجوءهم لمصانعة إخوانهم[١]. وبذلك يكون ما حدث بأحداث الحملة الصليبية الثانية بمثابة صدمة للصليبيين ببلاد الشام، فقد انكشفت أطماع القادة الصليبيين أمام شعوبهم، بل تشككت تلك الشعوب في مدى إخلاص ساداتهم للقضية الصليبية، مما أدى لانهيار الروح المعنوية للمجتمع الصليبي.

هذا وقد تمكن الصليبيون في عام ١١٧٨م/٥٧٣هـ، من بناء حصن بيت الأحزان، وذلك لكي تقف في وجه توسعات صلاح الدين الأيوبي ببلاد الشام، وعهد الملك الصليبي بلدوين الرابع إلى فرسان الداوية للدفاع عنه، حتى يكون مقرًا لهم، ومركزًا لقطع الطريق على قوافل المسلمين. وعندما أدرك صلاح الدين خطورة هذا الحصن على القوة الإسلامية، عرض على فرسان الداوية هدم ذلك الحصن، فطلبوا منه أن يعطيهم تكاليف تشيده، فعرض عليهم صلاح الدين رشوة قوامها ستون ألف دينار مقابل هدمه، ثم زاد الرشوة حتى مائة ألف دينار، غير أن الداوية رفضتها أيضًا[٢]. وعلى الرغم من رفض فرسان الداوية لتلك الرشوة من قبل صلاح الدين، إلا أنهم كان لديهم استعداد قوي لقبول رشوته في حالة ما إذا كانت مناسبة لأطماعهم.

ولقد حاول صلاح الدين اغتنام جميع الفرص المتاحة أمامه لعرقلة القوى الصليبية ببلاد الشام، فلقد عمل على شراء العملاء بأنواع الرشاوى المختلفة حتى يأتوه بالمعلومات عن المجتمع الصليبي من الداخل، وبالفعل تمكن صلاح الدين من شراء عشيقة أمير أنطاكية بوهيمند الثالث وتدعى سبيل، فقد غمرها بالرشاوى التي كانت في شكل هدايا مختلفة ومتنوعة، فقابلته سبيل بسيل من المعلومات عن تحركات جيوش

---

(١) مولر فيز (فولفغانغ)، القلاع أيام الحروب الصليبية، ت. محمد وليد الجلاد، مراجعة. سعيد طيان، ط. دمشق، ١٩٨٤م، ص٢٤، محمد مؤنس، صلاح الدين، ص٦٠.

(2) King, The Knight Hospitallers, p 109, Carol, The Crusades, p472,

سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٥٩٧.

بوهيمند وفضح أسرار إمارته[1]، ويبدو أن بريق المال كان له سحر خاص على عقول الصليبيين، حتى أنهم كان يضحون بمبادئهم حتى لو تعارضت مع مصالح المجتمع الصليبي، كما في حالة سبيل التي كان دورها مفيدًا للمسلمين في صراعهم مع الصليبيين.

وفي إطار الصراع على عرش مملكة بيت المقدس الصليبية، احتدم الصراع بين كل من الملك الصليبي بلدوين الرابع المجذوم (١١٧٤-١١٨٥م/٥٦٩-٥٨٠هـ)، وبين أخته سيبلا زوجة جاي لوزيجنان، من أجل الفوز بمنصب ملك مملكة بيت المقدس، فقد كان بلدوين الرابع عند توليه عرش المملكة صغير السن ولا يملك من أمره شيئًا، فتم استدعاء رايموند الثالث أمير طرابلس لكي يكون وصيًا على الملك الصغير بعد مقتل ميلون دى بلانسي، وتم اختيار جاي لوزيجنان وصيًا على بلدوين، غير أن بلدوين سرعان ما توفي، فتم إخفاء وفاته حتى يتسنى لسبيلا وزوجها جاي تجميع الأنصار حولهم من الأمراء وكل من فرسان الداوية وهرقل بطريرك بيت المقدس، لكي يتم تنصيبه على عرش المملكة[2]. وبهذا يتضح كيف أن الجبهة الصليبية الداخلية كانت مفككة، ولم يكن بها إجماع على رأي موحد، وإنما كانت الأهداف والمصالح الشخصية وراء تحرك أمراء المملكة، فالكل أراد عرش المملكة أو الاستفادة منه بأكبر قدر، مستخدمًا في ذلك كافة الوسائل المتاحة، المشروعة كانت أو غير المشروعة بما فيها الرشوة.

وفي خضم الصراع بين الأمراء الصليبيين وبين ملوك بيت المقدس، حاولت أميرة أنطاكية أليس عصيان الملك الصليبي فولك والخروج عن طاعته، فقد حشدت الحلفاء مستخدمة للرشوة في استمالتهم لجانبها، وهم جوسلين الثاني أمير الرها، وبونز أمير

---

(١) شاكر مصطفى، صلاح الدين، ٢٣٣.

(2)Felix Fabri, The Book of the Wanderings of Felix Fabri, 1480-1483, Trans by. Aubrey Stewart, Vol.2, P.P.T.S, London, 1896, p334, Ezra Cheaveland, A Genealogical History of The Noble and Illustrious Family of Courtenay, Oxford, 1735, p.p40,41,

سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٦١٥.

طرابلس، ووليم صاحب حصن صهيون[1] وزردنا[2]، فدبرت مؤامرة سنة ١١٣٢م/٥٢٦هـ، للعودة إلى أنطاكية والقبض على زمام الأمور فيها مرة آخرى، إلا أن النبلاء المناوئين لها أسرعوا في إخبار الملك فولك بالمؤامرة، الذي أسرع بدوره بالخروج لقمع تلك الثورة ضده، وعندما اقترب من طرابلس رفض أميرها بونز السماح له بالعبور، غير أن فولك نفذ من خلال بيروت وواصل رحلته بحرًا حتى ميناء السويدية ومنها إلى أنطاكية، حيث رحب به جانب من نبلائها الذين نصبوه وصيًا على الأميرة الصغيرة كونستاس. ولكن ذلك لم يعجب أليس وأعوانها، فتحول الأمر إلى تمرد عام مسلح في شمال الشام ضد الملك فولك، ودارت معركة بين الملك فولك وبين أليس وحلفائها قرب منطقة الروج في صيف ١١٣٢م/٥٢٦هـ، والتي انتهت بانتصار الملك فولك ومقتل وليم صاحب حصن صهيون[3]. ويبدو أن تشابك المصالح العائلية بين حكام الإمارات الصليبية وبين ملك بيت المقدس، جعلته ينزلق في صراعات داخلية، ونتج عن ذلك تكوين الكثير من التحالفات ضده، وقد حاول أعداؤه استخدام جميع الحيل لخدمة مصالحهم بما في ذلك الرشوة.

والواقع أن منصب ملك بيت المقدس سعى وراءه الكثيرون، ومنهم المركيزكونراد مونتفرات، الذي أدرك أنه لم يعد بعد موت الملكة سبيلا وريث للعرش سوى ابنتها إيزابيلا ابنة ماريا، حيث كانت إيزابيلا متزوجة من همفري صاحب

---

(١) صهيون:- هو حصن حصين من أعمال سواحل بحر الشام، التابع لمدينة حمص، غير أنه بعيد عن البحر، ويقع على مسافة خمسة عشر ميلاً تقريبًا شمال شرق مرفأ اللاذقية البحري، وقد شيد في طرف الجبل، وليس له إلا خندق واحد محفور من جهة واحدة، طوله بمقدار ستين ذراعًا، ولهذا الحصن ثلاثة أسوار، اثنان عند المربض، والآخر عند القلعة، وتحف بها السفوح الصخرية شديدة الانحدار حتى واديي النهرين الواقعين تحتها، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص.ص٤٣٦-٤٣٧، مولر فيز، القلاع أيام الحروب الصليبية، ت. محمد وليد الجلاد، مراجعة. سعيد طيان، ط. دمشق، ١٩٨٤م، ص٥٠.

(٢) زردنا:- بلدة من نواحى حلب الغربية، ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج٣، ص١٣٦.

(٣)وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٣، ص٩٧،سعيد السيد علي فرغلي، آل كورتناي ودورهم في الصراع الإسلامي الصليبي، رسالة ماجستير، جامعة الأسكندرية، ١٩٩٢م، ص.ص ١٤١-١٤٣،

Natasha Hodgson, Women, Crusading And the Holy Land in Historical Narrtive, Woodbridge, 2007, p184.

تورون، فألح كونراد على ماريا أن تشجب هذا الزواج وتحمل ابنتها على الانفصال عن زوجها، وفي نفس الوقت تحبب إليها الزواج من كونراد، غير أن إيزابيلا رفضت ذلك الأمر، فلما رأت ماريا تصميم إيزابيلا على موقفها، أخبرتها أنها لن تصبح ملكة على مملكة بيت المقدس إذا استمر زواجها من همفري، ولن تنال شرف الجلوس على العرش، كما أخبرتها والدتها أنها حين تزوجت من همفري كانت قاصرة غريرة لا تدرك شيئًا من أمور الزواج، ومن ثم فإن هذا الزواج باطل ويمكن فسخه، وأرادت أن يصبح كونراد زوجًا لها، ومن ناحية آخرى، كانت ماريا تكن مشاعر المقت والكرآهية الشديدين لهمفري، لأنه حين تزوج من ابنتها منعها عن رؤية والدتها، وكان متبعًا في ذلك نصائح والدته ستيفاني دي ميللي Stephany of Milly صاحبة الكرك[1]، ومن أجل ذلك قام كونراد بالتوجه لمحاصرة عكا، وحشد حوله المؤيدين ومنهم فيليب أسقف بوفيه Beauvais، وهوبيرت Hubert رئيس أساقفة بيزا، الذي كان يمثل كنيسة روما الذي جاء لمساعدته حتى يتم هذا الزواج. بل أكثر من ذلك قام كونراد برشوة كبار قواد الجيش بالأموال والهدايا والكثير من الوعود السخية لهم، وخاصة رجال المندوب البابوي والأسقف البيزي، وبذلك استطاعت ماريا نقض زواج ابنتها عن طريق المندوب البابوي، حيث أخبرته أن ابنتها حين تزوجت كانت قاصرًا، فقام المندوب البابوي باستدعاء همفري الذي أصر على التمسك بزوجته، ووضح أنها حين تزوجها كانت تعي تمامًا ما تقوم به وبرضاء تام من جانبها، غير أن رجال المندوب البابوي الذين أفسدتهم رشاوى كونراد، أخذوا يحثون همفري على الانفصال عن زوجته، وأخبروه أن استمراره في هذا الزواج سوف يجر عليه متاعب

---

(١) الكرك:- وهي قلعة في جنوبي الأردن على بعد عشرة أميال تقريبًا إلى الشرق من الطرف الجنوبي للبحر الميت، وهي تقع فوق قمة جبل صخري تنحدر سفوحه من الجانبين بشدة حتى وادى الكرك الذي يتشعب إلى وادى الست ووادى الفرنجة أسفل المدينة الحصينة تمامًا، وإلى الجنوب من المدينة مباشرة تنتصب القلعة ذاتها وتحميها من الهجوم من الاتجاه الوحيد الصالح من جهة الأرض المرتفعة المجاورة، ولقد شيدت القلعة فوق مصطبتين تفصلهما عن المدينة قناة عميقة، كذلك كانت المدينة محاطة بسور يحف بها ويتماش مع حواف الصخور، مولر فيز، القلاع أيام الحروب الصليبية، ت. محمد وليد الجلاد، مراجعة. سعيد طيان، ط. دمشق، ١٩٨٤م، ص٥٥.

جه، فرضخ لمحاولاتهم ونقض زواجه من إيزابيلا[1]، وبذلك نجد الفساد وانتشار الرشوة قد وصل لقمته داخل المجتمع الصليبي، وأصبحت الرشوة هي السلاح الفعال لحل الكثير من الأزمات لصالح الراشين، دون وجه حق، وأصبح جنون الوصول لعرش المملكة الصليبية، يلهب مشاعر الكثيرين.

ومن خلال أحداث الحملة الصليبية الثالثة، والتي شارك فيها كبار ملوك أوربا في ذلك الوقت، ريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا، وفليب أغسطس ملك فرنسا، وفي ظل الصراع بين العاهلين الكبيرين، لم يقدر هذان الملكان مدى خطورة الوضع الذي يمر به المجتمع الصليبي في ذلك الوقت، فقام ريتشارد أثناء حصار القوات الصليبية لمدينة عكا، برشوة العديد من رجال فيليب أغسطس بالأموال والهدايا المختلفة، واستطاع أن يجذب العديدين ويستميلهم إليه، حتى أدخلهم في خدمته[2]، ويرجح أن ريتشارد فعل ذلك من أجل أن يشعر فيليب أغسطس أنه يستطيع أن يصل إليه شخصيًا لو أراد ذلك، كنوع من أنواع الحرب النفسية بين الطرفين، والتي استمرت بينهم بعد ذلك داخل القارة الأوربية.

وواصلت جريمة الرشوة انتشارها داخل المجتمع الصليبي، حتى أن أثرياء أوربا قدموا إلى المجتمع الصليبي ببلاد الشام، مستخدمين الرشاوى من أجل أن يكون لهم مكانة مرتفعة، وعلى سبيل المثال لا الحصر، تلك الواقعة التي حدثت مع ابنة وليم درويل صاحب الباترون Botron، فقد كانت ابنته من زوجته الأولى والتي كانت تدعى سيليا Celia، وعندما توفي وصل إلى بلاد الشام ثري من مدينة بيزا يدعى بليفين Plivian، وعندما نزل ببلاد الشام علم بأمر ابنة وليم، فطلب من كونت طرابلس رايموند الثالث أن يتزوج من تلك الفتاة التي كانت تعد الوريثة الوحيدة لأبيها، فقد كان من المفترض ألا تتزوج إلا بإذن رايموند، وعلى الرغم من أن الكونت كان قد وعد جيرار دي ريدفورد Gerard of Ridefort (١١٨٩م/ ٥٨٤هـ)، سيد جماعة الداوية، بزواجه من تلك الفتاة، إلا أن الكونت تراجع عن وعده مقابل

(١) ذيل وليم الصوري، ص١٨٩، مجهول، الحرب الصليبية الثالثة، ج١، ص١٥٩.

(٢) ذيل وليم الصوري، نفسه، ص٢١٣.

الرشاوى المالية التي حصل عليها من قبل بليفين والتي قدرت بحوالى مائة ألف دينار بيزنطي، وانتشرت أخبار تلك الواقعة بين العامة، حتى قيل أن الكونت وضع الفتاة في كفة الميزان وفي الكفة الآخرى ذهبًا، فكان ثمنها كبيرًا للغاية[١]، وبذلك تكون بلاد الشام مطمعًا لأثرياء أوربا، من أجل الحصول على السلطة السياسية، ويتضح شيء آخر، وهو خروج أفراد الجماعات الدينية عن قواعد وتقاليد الجماعة والتي كانت تقضي بعدم الزواج، وكل ذلك رغبة في السلطة والثراء.

ووفيما يتعلق لانتشار الرشوة في المؤسسة الكنسية، فمثلما كان لكبار رجال المجتمع من الملوك والأمراء دور في انتشار الرشوة داخل المجتمع الصليبي ببلاد الشام، كان لرجال الدين الصليبيين دور مماثل، بل ويرجح أن دورهم كان أكثر فاعلية في انتشار الرشوة بجرأة وكل وضوح، داخل أرجاء الكنائس والأديرة، والتي من المفترض أنها مصدر هداية للضالين والمخطئين داخل المجتمع الصليبي، غير أن تلك المؤسسات كانت قدوة لهم أيضًا في الأداء الإجرامي.

والذي ساعد على تردي الأوضاع الكنسية، ورجال الدين هو أنهم تحولوا من رجال أكليروس إلى رجال أعمال وتجار، ومالكي مناطق جمركية ودور للضرب وأسواق، ومصالح وظيفية واقتصادية في المدن والقلاع، وبذلك تكون الرعاية الروحية أمست لديهم فقط رداء كهنوتيا يحمل في أكمامه كل هذه المصالح الدنيوية[٢].

وأولى تلك الفضائح المالية، والتي اتهم فيها بطريرك صليبي بالرشوة، هو ماحدث مع دايمبرت بطريرك مملكة بيت المقدس الصليبية، فعندما توجه إلى بيت المقدس في عيد الميلاد عام ١٠٩٩م/٤٩٢هـ، بصحبة كل من بلدوين أمير الرها وبوهيمند أمير أنطاكية، ليتموا رحلة الحج، وعندما وصلوا للمدينة طالب دايمبرت بخلع أرنولف من بطريركية بيت المقدس، حيث أعتبره أنه تم انتخابه بشكل مؤقت، وأن يحل هو محله، بل والأكثر من ذلك أنه طالب كل من بوهيمند وجودفري بمعاملته

---

(١) ذيل وليم الصوري، ص ٧١، هايد، تاريخ التجارة، ج١، ص٣٢٧.

(٢) رأفت عبد الحميد، قضايا من تاريخ الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط. القاهرة، ١٩٩٨م، ص٢٧.

كسيد أعلى، وقد قوبل هذا الرأي بترحاب من جانب بوهيمند، بينما رفضه جودفري تمامًا، باعتباره الحاكم الفعلي لمدينة بيت المقدس[1]، غير أن دايمبرت استطاع عزل أرنولف بعد أن حظي بمكانة طيبة عند الأمير جودفري، ويرجع ذلك للرشاوى التي قدمها دايمبرت له، فقد سعى لتبوء تلك المكانة وذلك المنصب الديني، من أجل جمع المال أكثر من إهتمامه بالشئون الدينية والكنسية، وقد نجح دايمبرت في مخططه معتمدًا في ذلك على الهدايا والرشاوى التي قام بتقديمها لكل من بوهيمند وبولدوين، مما يسر له عزل أرنولف، وانتخابه مكانه بطريركاً على بيت المقدس، حيث جرت عملية الانتخاب في كنيسة القيامة في أوآخر ديسمبر ١٠٩٩م، صفر ٤٩٣هـ[2]، وبذلك تكون حياته الدينية بدأت على أساس جريمة الرشوة، والتي لولاها ما كان ليرتقي تلك المكانة.

ولم تكن جريمة الرشوة الوحيدة التي أقدم عليها دايمبرت، فسجله مليء بتلك الجرائم المنافية للتعاليم الدينية التي من المفترض أنه يحافظ عليها، فقد كان دايمبرت أكثر طمعًا للقوة، لذلك قام بتوظيف الكنوز المالية التي كانت في حوزته من أجل استخدامها في الرشاوى، كي يحقق أهدافه الشخصية[3]. ومن تلك الجرائم المالية التي أرتكبها، أنه في إحدى صراعاته مع الملك الصليبي بلدوين الأول، حين كان بلدوين يطالبه بإمداده بالجنود أو الأموال من أجل دعمه في مواجهة المسلمين، حضر مندوب روجر حاكم صقلية قادمًا من أبوليا في خريف عام ١١٠١م/٤٩٥هـ[4]، ومثل أمام الملك بلدوين، معلنًا أنه منذ أيام قليلة قدم للبطريرك أمام جميع من كان في الكنيسة في ذلك الوقت، مبلغًا قدره ألف دينار بيزنطي، ليقسمه تكفيرًا لخطاياه عن نفسه وذويه،

---

(1) John France, The Crusades, p91.

(٢) سعيد البيشاوي، الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩-١٢٩١م/٤٩٢-٦٩٠هـ)، دار المعرفة الجامعية، ط. الإسكندرية، ١٩٩٠م، ص١١٠.

(3) Oldenburg, The Crusades, p190.

(4) Rowe, " Paschall II and The Relation between The Spiritual and Temporal powers in The Kingdom of Jerusalem", Speculum, Vol.32, No.3, Jul, 1957, p482.

سعيد البيشاوي، المرجع السابق، ص.ص ١٢٠، ١٢١.

بالإضافة إلى معونات مالية أرسلها روجر حاكم صقلية لمملكة بيت المقدس الصليبية، غير أن البطريرك احتفظ بالمال كله وأعماه الطمع ولم يقدم شيئا منه لهذا أو ذاك، وثبتت التهمة عليه أمام الملك على يد الشهود، فلم يستطع دايمبرت تبرئة نفسه، لذلك أصدر بلدوين أمره على الفور بحرمانه من الرئاسة على القبر المقدس وهباته، كما قبض على حجابه وحاشيته ومعارفه ووضعوا تحت الحراسة(١).

ومن أجل ذلك بعث الملك بلدوين إلى البابا Paschall II (١٠٩٩-١١١٨م/٤٩٢-٥١١هـ)، في روما أن يرسل أحد مبعوثيه للتحقيق في تلك الجريمة، وبالفعل أرسل الكاردينال موريس لكي يحقق في تلك الجريمة، ولم يتمكن من مساندة دايمبرت مع وجود شهود للواقعه ضده، فتقرر عزله وحرمانه من سلطاته وواجباته في كنيسة القيامة، كما حرمه أيضًا من الاشتراك في الطقوس الدينية لعيد الفصح(٢). ولم يتمالك البطريرك نفسه لما حل به من مصائب جراء ما أقترفه، فذهب إلى الملك بلدوين خاضعًا باكيًا وركع أمامه، وطلب منه الصفح وألا يحرمه من منصبه في هذا اليوم، غير أن الملك عارض طلبه تمامًا، فاستمر دايمبرت في توسلاته، وقدم رشوة مالية لبلدوين قوامها ثلاثمائة بيزنت(٣) ذهبية. ولما كان الملك بلدوين بحاجة ملحة إلى المال، فقد كان يمر بضائقة مالية شديدة، فقد قبل الرشوة ونهض مسرعًا إلى الكاردينال موريس، وطلب منه أن يعفو عن دايمبرت ويسامحه، ونزولاً عن رغبة الملك ورجاله سمح

---

(1) Albert D'Aix, Historia Hierosolynitana, ed. R.H.C, H.Qcc, Tome, IV, Paris, 1879, p548.

(٢) سعيد البيشاوي، الممتلكات الكنسية، ص١٢١.

(٣) البيزنت:- هو عملة ذهبية بيزنطية، سميت بهذا الاسم نسبة إلى بيزنطة(القسطنطينية)، وكانت هذه العملة متداولة بكثرة في العصور الوسطى حتى منتصف القرن الثالث عشر الميلادي، السابع الهجري على وجه التقريب، وكان البيزنت يعادل العملة الأرمينية المعروفة بالتاهجان Tahegane، وامتاز باستقرار قيمته الذهبية، وكان البيزنت يعرف بالهيبربرون Hyperperon ، وكان يعادل نحو ثلاثة ونصف جرام من الذهب، وعلى الرغم من ذلك، فقد كان هناك اختلافات في حجم الذهب، ويمكن أن يحدد سعر العملة بواسطة تحديد دقيق لتاريخها، عن ذلك انظر:- محمود سعيد عمران، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور مانويل كومنين، ط. الأسكندرية، ١٩٨٥م، هامش(١)، ص٦٤، هنادي السيد محمود، مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الأول، دار العالم العربي، ط. القاهرة، ٢٠٠٨م، هامش(١)، ص ٥٤.

للبطريرك بارتداء الزي الوظيفي والاحتفال بعيد الفصح بكل طقوسه[1].

غير أن أعداء دايمبرت لم يهدأ لهم بال لما وصل إليه ذلك الأمر، ومنهم أرنولف عدوه القديم، فأوصلوا للملك بلدوين أن دايمبرت شخص كاذب، وأنه خبأ الأموال في خزائنه، وجاءت تلك الادعاءات في الوقت الذي استمر في التوتر بين كل من بلدوين ودايمبرت، فاستشاط غضباً لما قاله أرنولف ومؤيدوه، فأخذ يعنف دايمبرت بشده ويلح عليه في طلب الأموال، غير أن دايبمرت استطاع استمالة الكاردينال موريس بالرشاوى إلى جانبه، حيث أعطاه دخل اثنين من قطع الأراضي المخصصة للكنيسة في سرية تامة، وعلم الملك بما صدر من دايمبرت واتهمه بالخيانة، فتقرر عزله وحرمانه من جميع صلاحياته. فغادر دايمبرت بيت المقدس متجهًا إلى يافا وقضى بها الخريف والشتاء لعامي ١١٠١-١١٠٢م/٤٩٥هـ، وفي مارس من عام ١١٠٢م، جمادى الأولى سنة ٤٩٥هـ، غادر يافا متجهًا إلى أنطاكية حيث استقبله الأمير تنكريد بالترحاب والحفاوة البالغة، وعهد إليه بكنيسة القديس جورج التي كانت من أكثر الكنائس ثروة، وتم ذلك بموافقة بطريرك أنطاكية، ذلك في الوقت الذي كان التحقيق مستمرًا مع أتباع دايمبرت الذين تم الزج بهم في السجون، وتحت وطأة الجلد اعترفوا بأن دايمبرت يخفي عشرين ألف بيزنت ، وبناء على ذلك اقتحمت السلطات مقر البطريركية، ووجدوا الأموال التي كان يخفيها البطريرك المعزول في خزائن البطريركية[2]. ومن خلال تلك الأحداث التي وقعت، يتضح كيف كانت رغبات رجال الدين المادية تسبق مهامهم الدينية أمام بريق المال، ولعل ذلك يوضح أن كنائس بلاد الشام بوجه عام، وكنيسة مملكة بيت المقدس الصليبية بوجه خاص، كان يسعى وراءها الكثير من رجال الدين ليس لأهداف دينية، بل لأهداف دنيوية بحتة، والشاهد على ذلك جرائمهم المالية التي ظهرت طوال فترة بقاء الصليبيين ببلاد الشام، حيث

---

(1) Albert D'Aix, Op.cit, p540, Hamilton, The Latin Church, p55,

سعيد البيشاوي، الممتلكات الكنيسية، ص.ص ١١٩،١١٨.

(2)Albert D 'Aix, Historia Hierosolynitana, p.p 545-546, Sybel, The History Literature of the Crusades, London, 1861, p239.

أكد ذلك مرثية سقوط عكا.

وحين توفي فولشر Fulcher (١١٣٥-١١٥٧م/٥٢٩-٥٥١هـ)، بطريرك كنيسة مملكة بيت المقدس الصليبية، اجتمع كبار رجال الدين بالمدينة من أجل اختيار من يخلفه في كرسي البطريركية، وذلك حسب القواعد والقوانين التي يجب أن تتوافر في من يتولى هذا المنصب، ووقع الاختيار على رجل دين يدعي عموريًا، وتم اختياره بطريقة غير سليمة، بسبب تدخل كل من أخت الملكة مليزندا، والكونتيسة سبيلا أخت الملك وزوجة كونت فلاندرز، وتم اختيار عموري الذي كان يشغل منصب قيم كنيسة القبر المقدس، فقد كان على جانب كبير من الثقافة، غير أنه كان شديد الساذجة قليل النفع للكنيسة، وتم اختياره رغم رفض كل من هيرنيسيوس رئيس أساقفة قيصرية، ورالف أسقف كنيسة بيت لحم، فقد عارضا قرار تعينه، والدليل على عدم صلاحيته أنه بعد توليه لمنصب بطريرك المملكة، ترك دفة الأمور لفردريك أسقف مدينة عكا، الذي سافر بدوره إلى روما، حيث قابل البابا هدريان، واستطاع عن طريق رشوته التي أعطاها له ولرجال حاشيته أن يحصل على تأييد بابوي من أجل صلاحية عموري، ثم قفل راجعا مرة آخرى إلى مملكة بيت المقدس ومعه المسوح الكهنوتية، مع الاعتراف الكامل بحق عموري في منصب البطريركية[1]. ويتضح من ذلك الأمر، أن الرشاوى لم تقتصر على بلاد الشام فقط، بل تعدتها إلى بلاط البابوية نفسها، وقبول البابا لتلك الرشاوى مع علمه بعدم صلاحية عموري لهذا المنصب، إنها يدلل على سياسة البابوية في جعل بطريرك مملكة بيت المقدس الصليبية، في مركز أقل من مركز البابا، وحرصت على أن يتولى هذا المنصب شخصيات ضعيفة، حتى لا تقف في مواجهتها في المستقبل.

وتواصلت جرائم الرشوة والفضائح المالية في الظهور بين طبقة رجال الدين الصليبيين، وحدث أنه في عام ١١١٥م/٥٠٩هـ، قام البابا باسكال الثاني بإرسال مندوبه ويدعى برنجر أسقف أورانج Berenger Bishop of Orange، إلى مملكة بيت المقدس، وذلك من أجل أن يقوم بعزل البطريرك أرنولف مالكورون، الذي أساء

(١) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٣، ص٤٢٤.

استخدام منصبه الديني بالإضافة إلى إدانته بعدة تهم، منها قيامه بالتصرف في ثروة الكنيسة، بالإضافة إلى جريمة الرشوة التي كانت السبب الرئيسي في عزله من منصبه[1]. غير أن أرنولف لم يرض بذلك الحكم الذي أصدره برنجر، وتوجه مباشرة إلى مركز البابوية في روما، وقابل البابا باسكال الثاني، ونظرًا للباقة حديثه بالإضافة إلى إسرافه في تقديم الرشاوى المختلفة للبابا وحاشيته، تمكن من نيل تأييدهم له مرة آخرى، فصدر قرار بإعادته إلى منصبه مرة آخرى، فرجع إلى بطريركية مملكة بيت المقدس بتأييد من البابا، ولم يتوقف عما كان يفعله من أخذه للرشاوى المختلفة التي كانت سببًا من أسباب عزله من منصبه[2]. وبذلك تكون البابوية في روما على اتصال دائم ببلاد الشام، وعلى علم تام بكافة أوضاع رجال الدين، فإنها كانت حريصة على تقصي الأخبار والحقائق عن رجال الدين من ناحية، ومن ناحية آخرى حتى تحكم قبضتها عليهم.

وفي إمارة أنطاكية الصليبية، لم تكن الأوضاع أفضل مما في مملكة بيت المقدس، بل كانت أشد قسوة وضراوة في الصراع الذي نشأ بين رجال الدين من أجل الفوز بمنصب بطريرك الإمارة، ومنها ما حدث مع البطريرك رالف، فقد تآمر عليه رجال الدين الآخرون بالإمارة، وتمكنوا من عزله وعينوا بدلاً منه مساعد شماس يدعى عموريًا، وقد فعلوا ذلك بناءً على تحريض من الأمير ريموند، الذي كان مدفوعًا بدوره من قبل عموري بالرشاوى المختلفة، فقد كان عموري هذا من ولاية ليموزان، ولم يكن يصلح لمنصب البطريركية بسبب جهله من ناحية، وطريقة معيشته التي قضاها في الرذائل من ناحية آخرى. وقد ساهم رالف بنفسه فيما وقع له من عزل، فقد كان على علم بتلك الصفات السيئة لعموري، ورغم ذلك اتخذه صنيعة له وشخصا مقربا إليه، غير أن تقديره جانبه الصواب في عموري، فما لبث عموري أن تآمر مع أعداء رالف على خلعه كي يخلفه هو في منصبه، وقد ساعده في ذلك رجل يدعى بطرس وكان يلقب بأرامون، الذي كان على اتصال وثيق بالأمير رايموند ورجال الدين بالبطريركية، وعن

(١) سعيد البيشاوي، الممتلكات الكنسية، ص١٢٨.

(٢) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص٣١٦.

طريق الرشاوى والهدايا المتنوعة تمكن من جذب أنظار رايموند إليه، فعزل رالف وعينيه خلفاً له(١)، وبعد أن تدخل روجر في هذا الصراع، حاول رالف اجتذابه إلى صفه بالرشوة الصريحة، غير أن روجر رفض عرض رالف تماما، وتم خلع رالف بعد ذلك، حيث أتهمه رايموند أنه كان على علم بالمكائد التي كان يحيكها ضده النورمان، فقام بحبسه حتى توفي عام ١١٣٩م/٥٣٣هـ(٢). وبذلك انقلبت جريمة الرشوة ضد صاحبها، ولم تحقق له مآربه الشخصية التي كان يتمناها، وأدت في نهاية الأمر إلى هلاكه. هذا ومن الجدير بالذكر أن تلك الواقعة تبرز أن الكثير من رجال الدين الذين كان يتم تعيينهم في منصب البطريركية، كانوا في الواقع غير مؤهلين لتلك المناصب، وإلا ما كانوا ليلجئوا للرشوة من أجل تعيينهم كما في تلك الواقعة، بالإضافة إلى ذلك؛ انزلاق رجال الدين في صراعات داخلية مريرة فيما بينهم، جعلتهم غير ملائمين لمكانتهم الكنسية.

واستمرارًا لتدهور الأوضاع الكنسية داخل المدن والإمارات الصليبية، ولحوق هذا التدهور ببطريركية مدينة صور، فلقد أهمل رجال الدين في المدينة تنصيب بطريرك لها لمدة أربع سنوات متتالية، وظلت الكاتدرائية خالية من ذلك المنصب طوال هذه الفترة، وبالتالي تدهورت الأوضاع الكنسية لعدم وجود بطريرك يشرف عليها ويتدبر أمورها، ولذلك أصبح الفساد منتشرًا بها، حتى هرب رجال الدين من ذلك المنصب، لأنه ألحق بكل من يتولى هذا المنصب صفات سيئة حطت من قدره أمام الرعية(٣).

ونتيجة لاستمرار تلك الفضائح من جانب رجال الدين الصليبيين، قام البابا إنوسنت الثالث Innocent III (١١٦٠-١١٦١/١٢١٦م/ ٥٥٤-٥٥٥/٦١٢هـ)، بإرسال تحذيرللأساقفة ورجال الدين من أجل أن يتجنبوا استخدام الرشوة أو الابتزاز، والتي انتشرت بينهم بصورة أقلقت البابوية بصورة واضحة، جعلت

---

(١) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٣، ص.ص١٩٩،١٩٨.

(2) Helene Wieruszowski, The Norman Kingdom of Sicily and the crusades, in setton: The Later Crusades, 1189-1311,Vol.II, London, 1969, p10.

(٣) وليم الصوري، المصدر السابق، ج٣، ص٦٣.

البابوات يرسلون تلك التحذيرات بتتابع مستمر[١].

وقد امتد الفساد داخل السلك الكنسي للقرن الثالث عشر الميلادي، السابع الهجري، حتى عانت مملكة عكا أشد المعاناة من مفاسد رجال الكنيسة، الذين كان من المفترض أن يكونوا صمام أمان للمجتمع الصليبي، من خلال الرقابة الأخلاقية، غير أن أوضاعهم كانت على عكس ذلك تمامًا، فقد تفشت بينهم الرشوة، وبيعت المناصب الكنسية، بحيث كان لا يصل رجل الدين إلى منصبه إلا بعد أن يقوم بدفع مبالغ مالية، حتى تحولت مقار الأسقفيات إلى مكاتب مثل مكاتب الصيارفة، تبيع الوظائف لمن يدفع أكثر[٢]، وقد ظهر ذلك بشكل واضح في أبيات مرثية سقوط عكا:-

«الآن أريد إخبارك عن رجال الدين

الذين أدمنوا السيمونية (بيع الوظائف الدينية)

لا أحد يحصل على الوظائف الكنسية لمزاياه

أو حكمته بل بواسطة عرض الرشاوى»[٣].

وظهر ذلك جليًا عندما زار جاك ديفتري مملكة عكا الصليبية، فقد شاهد شدة التدهور والانحلال الذي أصاب رجال الدين، فقد كانوا يتفآخرون بمناصبهم الكنسية التي ارتقوا إليها عن طريق الرشوة الصريحة، فقد وصف تلك المناصب بأنها مثل مكاتب الصيرافة عند اليهود، التي كانت تغدق عليهم بأموال وفيرة. كذلك المناصب الكنسية بالنسبة للصليبيين التي كانت ينعمون بسببها في رخاء ونعيم وفير، نتيجة للرشاوى المختلفة التي كانوا يسعون خلفها من أجل رفع مستوى معيشتهم، ونتيجة لتلك الرشاوى فقد أصابهم الضعف والتراخي والكسل، فتركوا حياة التقشف وكسرات الخبز التي اعتادوا على تناولها، وتناولوا مختلف أنواع الأطعمة وأشهاها، ولم يربوا أبناءهم على التعاليم الكنسية المفروضة عليهم[٤]. ومن هذا المنطلق، يكون

---

(1) Alan, Encyclopedia, p435.

(٢) محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص٢٠٩.

(3) Templar of Tyre, p410 .

(٤) جاك دي فيتري، ص٢٢٢.

المستوى الخلقي لرجال الدين الصليبيين، قد وصل لأدنى مستوياته، ومع إدراكهم لعدم وجود رقابة عليهم، جاهروا بأخذ الرشوة علانية، مما نتج عنه تناقض صريح لدورهم الديني من ناحية، وعدم مصداقية العامة فيهم من ناحية آخرى.

وفيما يتعلق بطبقة العامة وعلاقتها بجريمة الرشوة، فلم تمدنا المصادر المعاصرة إلا بالقليل النادر من الإشارات المتعلقة بتلك الجريمة بين طبقة العامة، ومنها ما ورد على لسان الرحالة الصليبي دانيال(١١٠٦-١١٠٧م/٥٠٠-٥٠١هـ)، فلقد ذهب إلى زيارة الضريح المقدس، وهناك استقبله حارس الضريح بلطف، وعن طريق رشوته لحارس الضريح أدخله لداخل الضريح، حيث إنه غير مصرح لأحد بذلك، فقام بالتمدد داخله، وقياس ارتفاعاته، ونتيجة لتلك الرشوة التي أعطاها لحارس الضريح، قام الحارس بإزاحة بعض الألواح التي تغطي أجزاء من الضريح، وأعطاه جزءًا من ذلك الأثر المهم، ورجاه أن لا يشيع بهذا الخبر داخل القدس(١)، وبهذا يكون حال المجتمع الصليبي متناقض في أفكاره، فكيف يقوم أحد الحجاج برحلة للحج من أجل مغفرة ذنوبه، ومن ناحية آخرى يستخدم الرشوة تلك الجريمة البشعة، من أجل الوصول لمكان مقدس ممنوع دخوله، وبذلك تنافت المصداقية في أقواله وأفعاله.

ولم تقتصر تلك آلافعال على الحجاج فقط، بل شملت أيضًا المسيحيين الشرقيين القاطنة داخل الإمارات الصليبية(٢)، ومنها طائفة السريان، التي صب عليهم جاك دي فيتري جام غضبه، نظرًا للأوضاع التي كانوا عليها، فقد كانوا يشتغلون بالتجارة، ويكنزون الأموال، ومن أجل ذلك تقبلوا الرشوة بأنواعها المختلفة من المسلمين، من أجل معرفة أحوال المجتمع الصليبي من ناحية، ونقل أسراره العسكرية من ناحية آخرى، مما كان له أسوأ الأثر على المجتمع الصليبي(٣). ويرجح أن ما قامت به العناصر السريانة من خيانة الصليبيين، نتيجة للتفرقة في المعاملة التي وجدوها من ناحية،

---

(١)دانيال، رحلة حج راعي الدير الروسي دانيال في الأراضي المقدسة (حوالي: ١١٠٦-١١٠٧)، ت. سهيل ذكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٣١، ط. دمشق، ١٩٩٨م، ص٣٣٥.

(٢) للمزيد من التفاصيل عن عناصر تكوين المجتمع الصليبي، انظر الفصل الأول.

(٣) جاك دي فيتري، ص٢٢٩.

وحنينهم للسيادة الإسلامية من ناحية آخرى، جعلهم يساندون القوى الإسلامية في صراعهم ضد الإمارات الصليبية ببلاد الشام.

ومما سبق يتضح أن جريمة الرشوة تفشت داخل المجتمع الصليبي، ولم يتورع عن الإتيان بها رجال السياسة أو رجال الدين أو حتى العامة، وعلى الرغم من اختلاف الهدف من الرشوة بالنسبة لكل طبقة فيهم، إلا أنهم وجدوا في الرشوة الحل السريع لحل مشاكلهم، ولم يلتفتوا إلى الآثار الجانبية التي نتجت عن تلك الجريمة، التى طالت حتى باباوات روما، وكانت تلك الجريمة من أهم أسباب انهيار مؤسسات المجتمع الصليبي، لأنها كانت السبب في تولي العديد من العناصر فاقدة الكفاءة لأماكن حساسة ومناصب خطيرة داخل المجتمع الصليبي، ساعدت في النهاية على انهياره من الداخل أوآخر القرن الثالث عشر الميلادى، السابع الهجري.

الفصل الخامس

القوانين والعقوبات ومدى تطبيقها داخل المجتمع الصليبي

* نشـأة القـوانين وتطورهـا لـدى الصـليبيين وتعـدد أنـواع المحاكم.

* التنظيم القضائي في المجتمع الصليبي.

* عقوبة جريمة القتل.

* عقوبة جريمة الزنا.

* عقوبة جريمة الرشوة.

يتناول هذا الفصل بالدارسة القوانين والعقوبات التي نشأت داخل المجتمع الصليبي ببلاد الشام، فمثلما تعددت أنواع الجرائم داخل المجتمع الصليبي، تعددت أيضًا بالضرورة القوانين والعقوبات الرادعة لهذه الجرائم، ولم يكن هناك مصدر واحد لهذه القوانين، بل تعددت وتنوعت حتى أصبحت القوانين والعقوبات مختلفة من إمارة لآخرى، ولذلك يوضح هذا الفصل نشأة القوانين داخل المجتمع الصليبي ببلاد الشام، وتعددها واختلاف تطبيقها.

وبالنسبة لنشأة القوانين وتطورها لدى الصليبيين وتعدد أنواع المحاكم، فمع بداية الزحف الصليبي على بلاد الشام، وتزايد الجرائم بدرجة كبيرة بين جنود الجيوش الصليبية، لم يكن هناك قانون فعال من أجل معاقبة المجرمين على ما اقترفوه من جرائم، ولم تكن المواعظ الدينية لتسد ذلك العجز الذي شكل ظاهرة إجرامية خطيرة، كادت تعصف بالحركة الصليبية مع بدايتها، ومن أجل ذلك تشكلت محكمة من قادة الجيوش الصليبية ومن رجال الدين، وتم تكليف تلك المحكمة بمعاقبة ومطاردة المجرمين، وتنفيذ أقصى أنواع العقوبة لردعهم. وعلى سبيل المثال، كان يتم معاقبة مدمن الخمر بقطع أذنيه، وفي حالة إتهام رجل الدين بالزنا وثبوت التهمة عليه، يتم تعذيبه بطريقة وحشية عن طريق الكي بالنار، ثم ضربه بالقضبان، وبعد ذلك يتم تجريده من ملابسه داخل المعسكر. وكانت تلك العقوبة بمثابة ترويع للآخرين حتى لا يقترفوا تلك الجريمة، ومع ذلك لم تنجح تلك العقوبة في وقف تيار جريمتي الزنا والدعارة الذي انتشر داخل المعسكرات الصليبية[1]، بالرغم من نشاطات رجال الدين الذين صاحبوا جيوش الحملة الصليبية الأولى، في إعادة الصليبيين إلى جادة صوابهم محاولة منهم لإرضاء الرب، فإن الجنود الصليبيين بقوا على سلوكياتهم الإجرامية[2]، وبذلك كانت الإرهاصات الأولى لإيجاد قوانين منظمة لمواجهة الجريمة.

ولذلك فلم يكن من السهل بعد أن استقر الصليبيون ببلاد الشام، أن يعملوا بتشريعات يومية لجيش يزحف عبر بلدان مختلفة، ويتغير موقعه وتشكيله ليأخذ شكلاً

(1)Joseph Francais Michaud, History of Thc Crusades, New York, 1855, vol. I, p136.

(٢) حسين عطية، طبائع الفرنج، ص ٢٨.

جديدًا كل يوم، فكان لابد من العمل بقوانين جديدة تحكم المجتمع الصليبي وتنظم أموره، وخاصة العلاقات بين فئاته المختلفة، فقد كان المجتمع الصليبي ببلاد الشام هو أكثر المجتمعات الفرنجية احتياجًا لتلك القوانين[٣]، حيث كانت تسوده النظرة العنصرية بين فئاته المختلفة.

وبمضي الوقت تمكن الصليبيون من وضع نظم سياسية واقتصادية واجتماعية لممتلكاتهم ببلاد الشام، وذلك حتى يتمكنوا من ممارسة حياتهم وحقوقهم بجوانبها المختلفة، ولم يتم ذلك بسهولة ويسر، بل كان بعد مجهود وعناء وفترة طويلة من الزمن، حتى تمت عملية التوافق والملاءمة بين ما كان سائدًا في الغرب الأوربي من نظم إقطاعية استبدادية قائمة على تسلط النبلاء وأصحاب الإقطاع ورجال الكنيسة على عامة الصليبيين، وبين الأوضاع التي كانت فى المدن الشامية التي قاموا باحتلالها، ولذلك كانت الأنظمة والقوانين التي أوجدتها المملكة اللاتينية في بيت المقدس والإمارات الصليبية ببلاد الشام، أرقى من مثيلاتها في الغرب الأوربي خلال تلك الفترة[٤].

ويرجح أن بداية نشأة القوانين الصليبية لمكافحة الجريمة، ترجع إلى عهد جودفري Godfery of Bouillon (١٠٩٩-١١٠٠م/٤٩٢-٤٩٣هـ) على الرغم من مدة حكمه القصيرة، حيث عرفت بخطابات الضريح المقدس The Letters dou Sepulcher، وتم وضع تلك القوانين بناء على موافقة كل من النبلاء والسادة الاقطاعيين من الصليبيين بمدينة بيت المقدس، واعتمد في تدوينها على الأعراف والتقاليد التي كانت سائدة في أوربا[٥]، وقد فقدت تلك الخطابات عقب فتح صلاح

---

(٣) حسين عطية، «قوانين مملكة بيت المقدس الصليبية في ضوء المصادر الصليبية المعاصرة»، ص٢.

(4) Helen Nicholason & David Nicolle, God's Warriors, Crusaders, Saracens, and the Battle for Jerusalem, Oxford, 2005, p39.

أحمد الشامي، تاريخ العلاقات، ص١٩٣.

(٥) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة: زياد العسيلي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٠م، ص٧٧.

Marawn Nader, Burgesses and Burgess Law in the Latin Kingdoms of Jerusalem=

الدين الأيوبي لبيت المقدس ١١٨٧م/٥٨٣هـ(٦). ثم قام جودفري بتأسيس سلطتين قضائيتين، هما المحكمة العليا Haute Courte، من أجل محاكمة النبلاء، ومحكمة الفيكونت Courte de la Borgesie لمحاكمة البرجوازيين، فقد اجتمع جودفري بعدد من الحكماء وطلب منهم تحرير تقارير عن أعراف بلادهم الأصلية المختلفة، وبعد أخذه موافقة كل من البطريرك والبارونات والحكماء من الرجال، أخذ من هذه الكتابات التي طلبها وصنع منها تشريعات وقوانين عمل بها، وبعد ذلك تجددت وتحورت تلك التشريعات على يد ملوك مملكة بيت المقدس الصليبية(٧)، وبذلك أراد جودفري أن يكون لمدينة بيت المقدس سلطة تشريعية، تساعد في حل النزاعات القضائية التي ازدادت في تلك الفترة بين المجتمع الصليبي الوليد بالمنطقة. ويدل ظهور تلك القوانين خلال تلك الفترة المبكرة من تاريخ الصليبيين على الحاجة الماسة والملحة لسن تلك القوانين منذ بواكير تاريخ ذلك الكيان.

وعندما خلفه الملك بلدوين الأول Baldwin I، الذي كان نشيطًا في سن التشريعات القانونية ومنها القوانين التي تعلقت بالخدمة العسكرية ومصادرة الإقطاعات، والتي كانت نواة لقوانين الأسيس Assise(٨) الشهيرة(٩)- هي عبارة عن

=and Cyprus (1099-1325), Cornwall, 2006, p36.

(6) Marawn Nader, Ibid, p29.

(7)John de Ibelin, Le Liver de Assises, ed by: Peter .W Edbury, Leiden, 2003, p.p 51-54,

حسين عطية، قوانين مملكة بيت المقدس الصليبية، ص ٣.

(٨) للمزيد من التفاصيل عن تلك القوانين انظر:-

Liver des Assises de Jerusalem, ed. Bugnot (Lois II), R.H.C, Paris, 1843, John de Ibelin, Le Liver de Assises, ed by: Peter .W Edbury, Leiden, 2003, Peter. WEdbury," Law and Custom in the Latin East: Les Letters dou Sepulcher", M.H.R, 10, 1995, p.p 71-79, Peter. WEdbury, John of Ibelin and the Kingdom of Jerusalem, Woodbridge, 1997, , Peter. WEdbury, "Two Thirteen-Century Manuscripts Legal Texts from saint Jean d' Acre" , Journal of Warburg and Courtauld Institutes, Vol.57, 1994, Josha prawer, "The Assise de Teneure and The Assise de Vente: A Study of Landed=

مجموعة من القوانين الفرنسية تم تنظيمها وترتيبها في البلاط الملكي لكل من مملكة بيت المقدس الصليبية، ومملكة قبرص، وذلك في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري، وذلك العمل احتوى على عدة قوانين وتشريعات مختلفة، منها The Livers of John de Ibelins، وتشريعات James of Ibelin and Philip of Novara والتي عرفت باسم The Clef des Assise، و تشريعات آخرى مثل:- The Liver au Roi, The Liver du Pledeant, The Liver du Plaidoyer, The Assise de La Cour des Bourgeois, and The Lignages d'Outremer، كل هذه الأعمال تم إدراجها تحت اسم قوانين مملكة بيت المقدس، وقد تم تدوين تلك التشريعات بداية في عام ١١٠٠م/ ٤٩٤هـ، على عهد خلفاء الملك بلدوين الأول، غير أن تلك التشريعات لم تصل إلينا، حيث تم فقدها بعد الفتح الإسلامي لمدينة بيت المقدس الصليبية، بعد معركة حطين الشهيرة عام ١١٨٧م/٥٨٣هـ، وتعد تلك القوانين الشهيرة محاولة لمعالجة الأوضاع القانونية لكثير من القضايا المختلفة، وتعد تلك القوانين من الأهمية بمكان حيث تم استياقها من روح القوانين الفرنسية واليونانية والأنطاكية وغيرها من القوانين الأخرى، وترجع أهمية تلك القوانين إلى أنها بمثابة شاهد على الأوضاع القانونية للإمارات الصليبية ببلاد الشام- غير أنه يلاحظ أن دستور المملكة لم يكن ثابتًا، حيث تعرض لكثير من التغير والتبديل حسب الظروف التي كانت تمر بها الإمارات الصليبية ببلاد الشام، ووضح من تلك التشريعات أن ملك بيت المقدس على الرغم مما تحقق له من سيادة على أمراء أنطاكية والرها وطرابلس، إلا أنه كان محدود السلطان في عاصمته أمام سطوة رجال الدين(١٠).

ولذلك فقوانين الأسيس تعد تعبيرًا عن النشاط القانوني لدى الصليبيين في القرنين

=Property in the Latin Kingdom " , The Economic History Review, New series, Vol.4, No.1, 1951, p.p 77-87,

(9) John L, Lamonte, Feudal Monarchy In The Latin Kingdom Of Jerusalem (1100-1291) , New York 1970, p.p6-7.

(١٠) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٣٨٥، محمد مؤنس، الحروب الصليبية، ص١١٦.

الثاني والثالث عشر الميلاديين/ السادس والسابع الهجريين ببلاد الشام[١١]، ونجد في تلك القوانين تأثرها الواضح بالأوضاع القانونية التي كانت سائدة في الغرب الأوربي وخاصة فرنسا، فقد كان الغرب الأوربي على علم بالأوضاع القانونية بالأمارات الصليبية[١٢]، ولذلك فقد كان يبعث بمجموعة من رجال القانون المتخصصين وخاصة من مملكة فرنسا في عهد أسرة آل كابيه Capet، بزيارات متعددة لمملكة بيت المقدس الصليبية، حيث كانوا يمكثون بها لبعض من الوقت من أجل الاطلاع على التشريعات القانونية بالمملكة لتعديلها أو الإضافة عليها، وكل تلك التعديلات كانت تتم بموافقة الملك الصليبي[١٣]. وقد بدأت كتابة تلك القوانين رسميًا في عهد الملك بلدوين الثالث، وقد قام الملك عموري بالإضافة عليها Amalric of Jerusalem (١١٣٦-١١٧٤م/ ٥٣٠-٥٦٩هـ)، حيث طلب من أحد أتباعه ويدعى ران دي تاليف Ran de Talave، أن يجمع اثنين من أتباعه واثنين من الإقطاعيين من أجل صياغة الأعراف والقوانين، وتم له ما أراده بالفعل وتم تأييد تلك القوانين[١٤]. ويرجح أن خوف الغرب الأوربي على تلك الممتلكات وما كان يحدث فيها من جرائم متنوعة، جعلهم يداومون باستمرار على تقويم أي اعوجاج بدا لهم، عن طريق تلك البعثات القانونية.

وبالنسبة للشكل النهائي لقوانين الأسيس التي وصلت إلينا، فيرجح أنه تم تدوينها طبقًا للنموذج البروفانسي ومضافًا إليها القانون الروماني التشريعي[١٥]، ولم تكن تلك القوانين وحدها التي سميت بقوانين الأسيس، بل خرجت عدة مؤلفات

---

(١١) سعيد عاشور، أوربا في العصور الوسطى، ج٢، ص١٣٤.

(12) Smail, Latin Syria and The West, 1149-1187, in: The Royal Historical Society, Fifth Series, Vol.19, 1969, p3.

(13) Joshua Prawer ,The history of the Jews in the Latin Kingdom of Jerusalem, Oxford, 1988, p51.

(14) Liver de Assises, p.p522,533,542, James A .Brundage, "Latin Jurists in the Levant, The legal elite of crusader states", in: crusaders and Muslims in Twelfth century Syria, Edited by: Maya Shatzmiller, New York, 1993, p.p27,29.

(١٥) يوشع براور، الاستيطان الصليبي، ص ١٠٣.

بنفس الاسم، ومنها مجموعة القوانين التي عرفت باسم The Livre ou Roi أو كتاب الملك، ومجموعة آخرى باسم Assises et Bonusuges، والتي اعتبرت قوانين إصلاحية من أجل المجتمع الصليبي(١).

وبالإضافة إلى تلك القوانين التي تم سنها من أجل تنظيم نظام الحكم بالإمارات الصليبية، تم عقد مجلس بمدينة نابلس Nablus ١١٢٠م/٥١٣هـ، بناء على مطلب من جورموند بطريرك مملكة بيت المقدس الصليبية، الذي طلب من الملك بلدوين الثاني BaldwinII of Jerusalem (١١٣١م/٥٢٥هـ) وكبار رجال الكنيسة وأشراف المملكة من النبلاء، ضرورة سرعة إجراء ذلك المجمع(٢)، ويرجح أن الصليبيين عقدوا ذلك المجمع، لتحقيق عدة أهداف، وأهمها معالجة التدني الخلقي الذي أصاب المجتمع الصليبي ببلاد الشام خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي/ السادس الهجري، وكذلك الأزمة الاقتصادية الطاحنة الناجمة عن إغارات أسراب الجراد. فقد اتخذ قرارات صارمة لمواجهة تفشي الجريمة، إلا أن تلك القرارت كانت مؤقتة لمواجهة الظروف الصعبة التي تمر بها الإمارات الصليبية، حيث تم العمل بها وقت صدورها فقط، وسرعان ما عاد الصليبيون لما كانوا عليه من تدن أخلاقي، والذي يميز مجمع نابلس أنه يعد أول تشريع صليبي عالج الجرائم الأخلاقية التي تفشت داخل الإمارات الصليبية(٣)، وإن كانت جميع تلك الإجراءات الإصلاحية التي التي تم اتخاذها في مجمع نابلس ظلت مجرد خطابات ميتة(٤)، ويرجح أن عقد ذلك المجمع كان لحفظ ماء وجه المجتمع الصليبي أمام البابوية في روما بوجه خاص، والغرب الأوربي بوجه عام، حتى يتمكنوا من طلب الدعم للإمارات الصليبية ببلاد

---

(1) John Lamonte, Feudal Monarchy, p26, Susan Bdgington, Medicine and Surgery, p87.

(٢) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص ٣٥٧.

(٣) حسين عطية، مجلس نابلس، ص٤٥، صفاء عثمان، مملكة بيت المقدس في عهد الملك بلدوين الثاني (١١١٨-١١٣١م/٥١٢-٥٢٥هـ)، دار العالم العربي، ط. القاهرة، ٢٠٠٨م، ص.ص ٢٩٠-٢٩١.

(4) Daniel Rops, Cathedral and Crusades, Studies of the Medieval Church 1050-1350, London, 1957, p449.

الشام بشكل مستمر ولإظهار الكيان الصليبي بمظهر الكيان الشرعي الذي يحافظ على الأخلاق فيه من خلال قوانين منضبطة.

وفيما يتعلق بالتنظيم القضائي في المجتمع الصليبي، فمن أجل ذلك تم إنشاء المحاكم القضائية لمواجهة تفشي الجرائم بالمجتمع الصليبي، فقد أوجد الصليبيون في بلاد الشام نظامًا قضائيًا مرتبطًا بالنظام الإقطاعي ارتباطًا وثيقًا[١]، وعلى الرغم من تعددها، إلا أن البحث سوف يركز على المحاكم القضائية فقط، والتي اختصت بالنظر فى القضايا الإجرامية داخل المجتمع الصليبي، وهى كما يلي:-

أولاً:- المحكمة العليا The Haute Court:- وقد عرفت في اللاتينية بالمحكمة العامة Curia Generalis، وعرفت في اللغة الفرنسية المحلية باسم البرلمان Parlement ، غير أن الكتب والرسائل القانونية أشارت إليها باسم المحكمة العليا The Haute Court[٢]، والتي تعتبر المنبع الأكبر للقضاء عند الطبقة العليا داخل المجتمع الصليبي، فقد مرت تلك المحكمة بعدة مراحل من التطور، ففي السنوات الأولى من عمر المملكة الصليبية عدت المحكمة العليا مصدرًا للقوة والنفوذ[٣]، وظهر فيها تحديد لسلطات الملك الصليبي، وتألفت تلك المحكمة من الملك الذي تولي رئاستها، حيث كان يجتمع فيها بالبارونات[٤]، وممثلين عن الكنيسة والهيئات الرهبانية كالداوية Order of the Temple والإسبتارية Order of the Hospital، وممثلين عن رعايا المدن التجارية الإيطالية وغيرها من المدن التجارية الأخرى باعتبارهم كيانًا مهمًا داخل المجتمع الصليبي[٥]، بمعنى آخر فإن تلك المحكمة تمثلت فيها القوى البارزة داخل المجتمع الصليبي.

وكانت تلك المحكمة في أصلها هيئة قضائية، لكن لم تلبث أن اتسعت

---

(١) سعيد البيشاوي، الممتلكات الكنسية، ص٩٩.

(٢) يوشع براور، الاستيطان الصليبي، ص١٤١.

(3)John L, Lamonte, Feudal Monarchy In The Latin Kingdom Of Jerusalem (1100-1291) , New York 1970, p88.

(٤) إرنست باركر، الحروب الصليبية، ترجمة. السيد الباز العريني، ط. بيروت ١٩٦٧م، ص٥٩.

(٥) لمزيد من التفاصيل عن تكوين المجتمع الصليبي، انظر الفصل الأول.

اختصاصاتها بمرور الوقت، فأصبحت بمثابة هيئة تشريعية، لابد لها من الموافقة على أي قانون أو تشريع جديد داخل الإمارات الصليبية، ولم يكن لتلك المحكمة مكان محدد، بل كانت تعقد في أى مكان داخل حدود الإمارات الصليبية، وحسب الظروف المحيطة[1].

واختصت تلك المحكمة بالنظر قضايا مثل القتل والاغتصاب والاعتداءات المختلفة والاقراض والتقصير في الخدمة أو الطاعة ووراثة الإقطاعات والمنازعات[2]، وأيضًا تخصصت تلك المحكمة في نظر قضايا السلب والنهب والخيانة العظمى، والتي عدت من جرائم خرق القانون الإقطاعي[3]، وقد تزايد نفوذها تدريجيًا وتم إعطاؤها مزيدًا من الصلاحيات، وظهر ذلك جلياً، عندما أحيلت إليها قرارات مجمع نابلس من أجل البت فيها[4]، وقد وصلت المحكمة العليا لأعلى درجات نفوذها، وذلك خلال عهد الملك الصليبي بلدوين الثاني، حيث أصبح لها نفوذ قوي على إدارة المؤسسات الصليبية، وكانت قرارات تلك المحكمة تقع موضع الاحترام والتقدير من كافة الصليبيين، مما ساعد على تنفيذ قراراتها وتدعيم مصداقيتها أمام المجتمع الصليبي[5].

ومع مرور الوقت تزايدت سلطات الملك الصليبي خاصة في عهد كل من فولك أوف أنجوي Foulque of Anjou (١١٣١-١١٤٣م/٥٢٥-٥٣٨هـ)، بلدوين الثالث Baldwin III (١١٤٣-١١٦٣م/٥٣٨-٥٥٨هـ) والملك عموري Amaury (١١٦٣-١١٧٤م/٥٥٨-٥٧٠هـ)، وفي المقابل فقدت المحكمة العليا تدريجيًا قوتها، وأصبحت مجرد تابع للإرادة الملكية[6]، ويرجح أن فترة ضعف نفوذ

---

(١) سعيد البيشاوي، الممتلكات الكنسية، ص.ص ١٠٠،٩٩.

(2) John La Mont, Feudal Monarchy, p102.

(٣) يوشع براور، الاستيطان الصليبي، ص١٤٨.

(٤) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٢، ص٣٥٨،

Ruhricht, Regesta, doc:89, p20,

صفاء عثمان، مملكة بيت المقدس، ص ١٧٨.

(٥) صفاء عثمان، المرجع السابق، ص١٨٠.

(٦)John La Monte, Op.Cit, p88.

المحكمة العليا تجاه الملكية الصليبية، كان نابعًا من رغبة الملوك الصليبيين أنفسهم في التحرر من سيطرة الكنيسة.

ومع تولي الملك الصليبي بلدوين الرابعBaldwin IV (١١٧٤-١١٨٥م/ ٥٧٠-٥٨١هـ)، تزايدت المشاكل الخارجية والضغط على المملكة الصليبية من جانب المسلمين، فكان الصليبيون بحاجة لقوة رادعة تقف في مواجهة المسلمين، لذلك كان تزايد نفوذ المحكمة العليا من خلال الأمراء بسبب ضعف الملك الصليبي وصغر سنه، مما أدى إلى تعاظم دور المحكمة العليا في أوصال المملكة[١]، وبذلك تأرجحت قوة نفوذ المحكمة العليا داخل المجتمع الصليبي بين الصعود والهبوط في تناسب عكسي مع قوة ملوك الصليبيين.

وتعاظم نفوذ المحكمة العليا في الفترة التي أعقبت سقوط مملكة بيت المقدس الصليبية ١١٨٧م/٥٨٣هـ، على يد صلاح الدين الأيوبي، فقد مارست دورها في انتخاب ملوك ونواب المملكة والأمراء الإقطاعيين خلال الفترة التي أعقبت تلك الكارثة – من وجهة النظر الصليبية- وحتى مقدم الحملة الصليبية الثالثة. وأشهر تلك الاختيارات هو انتخاب جاي لوزيجنان ملكاً صليبيًا[٢]، وبذلك يفترض أن يكون النفوذ الملكي قد ضعف أمام سلطة المحكمة العليا، مما أدى إلى تدهور قوة السلطة المركزية التي تمثلت في الملك الصليبي آنذاك.

وقد سيطرت المحكمة العليا خلال القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري، على مقاليد الأمور داخل الكيان الصليبي ببلاد الشام، فقد تحكمت في السياسة الملكية داخل وخارج حدود المملكة الصليبية ببلاد الشام، وأصبح أمراء تلك المحكمة الآمر الناهي بشئون المملكة الصليبية[٣]، ونستنتج من ذلك أن الأمراء الصليبيين تحايلوا على

(1)Luchaire, Achille, Histoire des institutions monarchiques de la France sous les premiers Capétiens (987-1180), Paris, 1891, pp.243-277, John L, Lamonte, , Feudal Monarchy, p89.

(2)Eracles, L'Histoire D'Eracles Empereur et La Conqueste De La Terre d'Qutremer, Recueil des Historiens des Croisades, Hist. Occidentaux, Tom. II, Paris, 1849, pp306-308, John L, Lamonte, op.cit, p93.

(3)John de Ibelin, Le Liver de Assises, pp. 419-421.

الأوضاع التي مرت بها الإمارات الصليبية داخل بلاد الشام، حتى سيطروا على مقاليد الأمور من خلال الانضمام للمحكمة العليا، ولا نغفل حقيقة مؤكدة وهي أن القوانين الصليبية دوماً تسن من جانب العناصر التي تحرص على مصالحها من خلال التشريعات المتعددة.

ثانيًا:- المحكمة الأكليرية The Church Court:- ومثلما كان للطبقة العليا و الأمراء محكمتهم الخاصة بهم، وجدت محاكم خاصة لرجال الدين الصليبيين، فلقد كانت للكنائس اللاتينية بالإمارات الصليبية نفس الهيكل الإداري على غرار مثيلاتها في الغرب الأوربي، غير أن دائرة نفوذها كانت أوسع من أي نفوذ محكمة أخرى[١]، وكان لها السلطة القضائية على رجال الدين والهيئات الدينية المنظمة (الإسبتارية والداوية وغيرها من الهيئات الأخرى)،فقد اختصت تلك المحكمة في النظر في شئون الديانة الكاثوليكية[٢]، وقضايا الهرطقة وزواج رجال الدين ومعاقبة المجرمين منهم، غير أن حالات الخيانة والقتل كانت تنظرها المحكمة البرجوازية[٣]، وأيضًا نظرت في قضايا السحر والشعوذة والبدع والزنا واللواط وشئون الوصيات[٤].

ويتضح من ذلك أن الكنيسة حرصت على الانفصال عن شئون المجتمع الصليبي حتى في النظام القضائي، لكي لا يتدخل أي من رجال الحكومة الصليبية بشئونها الخاصة، حتى فيما يتعلق بالجرائم، مع ملاحظة أن ذلك الأمر كانت له انعكاساته السلبية حيث شكلت المؤسسة الكنسية الصليبية ما يمكن وصفه دولة داخل دولة Imperia in Imperio خاصة مع اتساع أملاكها بدرجة كبيرة، مع عدم إغفال نفوذ الرهبان الفرسان Fighting Monks كالاسبتارية والداوية والتيتون وغيرهم.

---

(١) إرنست باركر، الحروب الصليبية، ص ٦٤.

(2)John L, Lamonte, , Feudal Monarchy, p109, Adrian Boas, Jerusalem in The Time of The Crusades, London, 2001, p22,

صفاء عثمان، مملكة بيت المقدس، ص ١٨٤.

(3) Jonathan Philips, The Crusades, p120.

(4) John La Monte, Op.Cit, p215 ،هانس ماير، تاريخ الحروب الصليبية، ص٢٥٠، سعيد البيشاوي، الممتلكات الكنسية، ص٣٨٥.

ثالثًا:- المحكمة البرجوازية The Court des Bourgeois:-وترجع نشأة تلك المحكمة إلى نمو الطبقة البرجوازية داخل المجتمع الصليبي، بحيث أصبح لها تواجد ونفوذ قوي، مما استوجب معه منحهم امتيازًا قضائيًا للفصل في الجرائم التي كانت تقع فيها بينهم[1]، وتألفت من أثني عشر مشرعًا أو محلفًا، وكان هؤلاء المحلفون من اللاتين الذين ولدوا أحرارًا، وفي الغالب كانوا من العنصر البروفانسي، إلى جانب العناصر الإيطالية الأخرى، حيث كان الأمير أو السيد الإقطاعي هو المسئول عن اختيارهم وتعيينهم كمحلفين، وكان يحق لأحد الخصوم أمام هذه المحكمة أن يتخذ أحد المحلفين محاميًا عنه، إلا أن تلك الحالة كانت تحتم على المحلف ألا يتدخل في إصدار الحكم على الخصم الذي تولي الدفاع عنه[2]. ويرجح هنا أن اختيار العنصر البروفانسي كأعضاء محلفين داخل تلك المحكمة، إنما يرجع لما تمتعوا به من خبرات قضائية، قدمت معهم من الغرب الأوربي، وخاصة إقليم بروفانس بجنوب فرنسا.

وقد اختصت تلك المحكمة بقضايا المواطنين الصليبيين وبما كان يقع بينهم من جرائم، ومنها القتل والخيانة والسرقة والاغتصاب والاعتداءات المختلفة[3]. وأيضًا اختصت بالنظر في المنازعات التي كانت تقع بين رجال الدين وعامة الشعب في مختلف الإمارات الصليبية، وكانت تلك المحكمة تمارس أعمالها أيام الاثنين والأربعاء والجمعة من كل أسبوع، وكان العمل يتوقف بها خلال احتفالات المملكة بالأعياد والمناسبات الدينية والتاريخية[4].

رابعًا:- محكمة الموانئ أو المدن التجارية:- ولقد اعتمدت المدن التجارية الإيطالية على قوانين مدينة أمالفي عند دخولها الموانى الصليبية بالساحل الشامي،

---

(١) صفاء عثمان، مملكة بيت المقدس، ص١٨٠

(٢) جمعة الجندي، "نظم الحكم والإدارة في مملكة بيت المقدس"، ضمن كتاب دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، كتاب تكريمي للأستاذ الدكتور/ إسحق عبيد، تحرير:- محمد مؤنس عوض، ط. القاهرة، ٢٠٠٣م، ص.ص ٢١٨-٢٢٠، نهى فتحي الجوهري، إمارة طرابلس الصليبية في القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري، دار العالم العربي، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٢٢٠.

(3) John La Mont. Feudal Monarchy, p106.

(٤) جلال حسني سلامة، عكا أثناء الحملة الصليبية الثالثة، دار الفاروق، نابلس، ١٩٩٨، ص٥٥.

وذلك قبل إنشاء المحاكم الخاصة بهم بالإمارات الصليبية[1]، ومن الجدير بالذكر أن اعتمادهم على قوانين مدينة أمالفي، يرجع إلى سبق تلك المدينة في التعامل مع مدن الساحل الشامي قبل غيرها من المدن الإيطالية الأخرى[2]، ومن المؤكد أنهم اعتمدوا على قوانين مدينة أمالفي بسبب خبرتها التجارية المسبقة مع مدن الساحل الشامي من ناحية، آخرى حتى لا يخضعوا للسيطرة الصليبية من ناحية أخرى.

وعلى الرغم من أن تلك القوانين نظمت العلاقة بين التجار وطرق التعامل فيما بينهم، إلا أنها لم تتطرق للجرائم التي كانت تحدث على ظهر السفن التجارية أو الموانئ الصليبية، مثل جرائم القتل والخيانة العظمى، فربما تولت المحكمة البرجوازية النظر في تلك القضايا قبل إنشاء محكمة الميناء التي تولت تلك القضايا[3].

وقد تم إنشاء تلك المحكمة في عهد الملك الصليبي عموري (١١٦٣-١١٧٤م/ ٥٥٧-٥٦٩هـ)، فقد كان لها حق الفصل في نظر القضايا المتعلقة بالبحرية، ولم تكن لتختلف عن المحاكم الآخرى، إلا في أنها اختص بها الحي الإيطالي في كل مدينة من المدن الشامية التي وقعت تحت السيطرة الصليبية، وكان يترأسها القنصل، واختصت بالنظر فى قضايا القتل والسرقة والتزوير[4]، وكانت تلك المحاكم تنظر في المشكلات التي كانت تقع بين الإيطاليين والصليبيين، والتي كانت تقع بين أبناء الجنسيات المتعددة[5].

وكانت تحدث دائمًا مشاجرات في مثل تلك الحالات، لأن الإيطاليين بطبيعة الحال كانوا لا يرغبون في أن يسلموا أحد المشتبه فيهم إلى سلطات خارجية، ولذلك فلم يكن

---

(١) حاتم الطحاوي، "القانون البحري لمملكة بيت المقدس الصليبية، قراءة في مجموعة قوانين بيت المقدس"، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مجلد (٥٨)، عدد(٤)، أكتوبر ١٩٩٨، ص ٤٨٥.

(٢) سهير محمد إبراهيم نعينع، " علاقات مصر التجارية بمدينة أمالفي في العصور الوسطى"، ندوة: طرق التجارة العالمية عبر العالم العربي على مر عصور التاريخ، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، العدد(٨)، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٣٠٨.

(٣) حاتم الطحاوي، المرجع السابق، ص٥٠٣.

(٤) إرنست باركر، الحروب الصليبية، ص٦٤.

(5) John Lamont, Feudal Monarchy, p111.

قانون المحاكم الكوميونية هو نفسه القانون المطبق في المدن والإمارات الصليبية ببلاد الشام، بل كان هو القانون السائد في المدينة الإيطالية الأم، كما كانت أيضًا إجراءات التنفيذ معروفة من الوطن الأم. ويضاف إلى ذلك أن الأحكام القضائية كانت تتم بواسطة أقرانهم من أبناء المدن الإيطالية[1]، ولذلك ففي الاتفاقيات التي كانت يتم عقدها مع الكومينات التجارية الإيطالية، كان يتم الاشتراط أن تنظر قضايا القتل والخيانة والسرقة أمام الملك أو تنظرها محكمته[2]، مستندين في ذلك على قوانين مملكة بيت المقدس، والتي نصت على إحالة المستوطنين المتهمين بجريمة قتل إلى محكمته الخاصة[3]. وفي المقابل منحت السلطات الصليبية المدن الإيطالية حق محاكمة مواطنيهم في الجرائم الأخرى غير القتل، وإذا تمت محاكمة المواطن الإيطالى تحت نفوذ المحكمة الملكية، فإنه يكفي أن يدفع ضمانًا ماليًا حتى يتم محاكمته أمام القنصل التابع لمدينته[4]، وبذلك خرجت الجاليات الإيطالية من تحت السيطرة القضائية الصليبية إلا في بعض الحالات المحدودة.

وبالإضافة إلى العديد من أنواع المحاكم المختلفة، التي انتشرت فى مملكة بيت المقدس بمدينة عكا في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي، السابع الهجري، فقد عمت الفوضى في تلك الفترة الممتلكات الصليبية ببلاد الشام، وصار بالمدينة الواحدة أكثر من سبع عشرة محكمة، كل منها تمارس سلطاتها القضائية بما يتراءى لها دون الرجوع إلى حكومة المدينة التابعة لها، ولها الحق في إصدار الأحكام التي تتدرج في شدتها حتى تصل إلى عقوبة الإعدام والشنق، ومع ذلك فقد كثر مرتكبو الجرائم بسبب حق الحماية، فكان في إمكان أي شخص أن يرتكب أي جريمة مهما كانت شناعتها في شارع ما، وبمجرد هروبه إلى شارع أو حي آخر، يصبح طليقًا وغير مسموح بإقامة أية

---

(١) يوشع براور، الاستيطان الصليبي، ص١٢٢.

(2) Conder, The Latin Kingdom, p.p164-165.

(٣) هايد، تاريخ التجارة، ج١، ص٣٤٠.

(٤) مصطفى حسن محمد الكناني، اتفاقية بين فليب أوغسطس ملك فرنسا و القومون الجنوي (١١٩٠م/٥٨٦هـ)، مجلة كلية الآداب، جامعة أسيوط، العدد: ١١، ١٩٩٢م، ص.ص ٢٥-٢٦.

دعوى قضائية ضده[1]. ويضاف إلى أسباب الضعف في السلطة القضائية، ضعف سلطة الملك الصليبي، والذي أسهم بشكل كبير في الانهيار الأمني في سائر المدن الصليبية ببلاد الشام، مما ساعد على ارتفاع معدلات الجريمة ، والفشل في تطبيق القانون في ظل محدودية نفوذ الشرطة الصليبية، وفشل السلطات المحلية في السيطرة على المهاجرين الجدد القادمين من أوربا[2]، ويمكن أن نستنتج من ذلك أن الصليبيين في عصر ضعفهم عانوا من فوضى تشريعية وقضائية دعمت انهيارهم ككيان سياسي مثلما حدث أخيرًا في عام ١٢٩١م/ ٦٩٠هـ، عندما سقطت عكا على أيدي المماليك.

وفيما يتعلق بالجماعات الدينية الصليبية مثل الداوية والإسبتارية والتيتون وغيرها من الجماعات الأخرى، فلم تكن لتتقيد بالقوانين التي كانت تطبق فى الإمارات والمدن الصليبية، فقد كان لكل جماعة قوانينها الخاصة بها، فبالنسبة لجماعة الداوية قام برنارد كاليرفوس Bernard Chairvaux في عام ١١٢٨م/ ٥٢١هـ، وذلك أثناء زيارته للأراضي المقدسة أثناء الحملة الصليبية الثانية[3]، بوضع قوانين تلك الجماعة، حيث تم كتابتها باللغة اللاتينية، ثم ترجمتها بعد ذلك إلى اللغة الفرنسية[4]، وبذلك خرجت تلك الجماعة عن سيطرة الملك الصليبي بشكل كامل.

وقد كانت العناصر الإسلامية التي عاشت تحت السيطرة الصليبية، تعاني أشد المعاناة من تردي أوضاعها المعيشية، ويضاف إلى ذلك أن القانون الصليبي نفسه لم يكن ليساوي بين عناصر المجتمع في تطبيق القانون على الجرائم التي كانت تتم بين طبقاته المختلفة، فقد جعل القانون الصليبي المسلمين في مرتبة أقل من المسيحيين اللاتين والشرقيين معًا، فعلى سبيل المثال، تم فرض عقوبات شديدة قاسية ضد المسلم الذي يتعدى بالضرب على الصليبي، رجل كان أو امرأة، بل وصل الأمر إلى شنقه إذا ما تكرر منه ذلك الفعل مرة آخرى، في حين أن القانون الصليبي لم يقترب من الصليبي

---

(١) جرجس فام ميخائيل، الأحوال السياسية لمملكة بيت المقدس لصليبية وعلاقاتها الخارجية (١١٩١-١٢٩١م/ ٥٨١- ٦٩٠ هـ)، رسالة دكتوراه، جامعة الزقازيق، ١٩٨٩م، ص.ص ٣٢٦-٣٢٧.

(٢) محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص٨٠.

(3) James Kroemer, The Eschatology of Bernard of Clairvaux, Wisconsin, 2000, p 42.

(4) Indrikis, Crime and Punishment, p 93.

إذا ما تعدى بالضرب على المسلم. وكان الوضع الاجتماعي والقانوني لأي عضو من هذه الأقليات تحدده وظيفته والمكان الذي يعيش فيه، وبذلك تميز المسيحيون الشرقيون أمام القانون الصليبي عن المسلمين، وقد ظهر ذلك مبكراً بمجمع نابلس والذي نص على عقوبات صارمة على كلا الطرفين إذا ما حدث بينهما أي نوع من الارتباط أو الاختلاط(١).

ونتيجة لذلك فقد قامت العناصر الإسلامية الداخلية التي خضعت للقوانين الصليبية في تلك الفترة، بتقديم التماسات إلى الحكومة الصليبية لكي تعفيهم من تطبيق القانون عليهم، وقد ذكر حنا دي إبلين ذلك في كتابه، أن السوريين قدموا إلى حاكم بيت المقدس، ورجوه أن يظلوا يتعاملون وفقًا لعاداتهم والعرف السائد بينهم، وأن يكون لهم رئيس يحتكمون إليه في قضاياهم ومنازعاتهم والفصل في الخلافات التي تقع بينهم، فوافقهم على ذلك فيما عدا ما يخص جرائم القتل أو بتر أحد الأعضاء، فإما أن تعرض عليه فيحكم فيها أو يتركها لنائبه(٢).

وفيما يتعلق بوظائف السلك القضائي، فقد تعددت وظائفه، ومن تلك الوظائف الفيسكونت Viscount(٣)، الذي كان من الفرسان، حيث كان يتم ترشيحه من قبل الملك، وكان لابد أن يتوافر فيه درايته بالشئون القضائية، من أجل إتمام عمله المكلف به(٤). فقد كان يترأس المحكمة البرجوازية، ويشرف على أعمالها وتنفيذ قراراتها

---

(1)Mansi (J.D), Sacrorum Concilorum nova et amplissma Collectio, Vol. 21, Ahademishche druck –u Verlag , Sanstalt, Austria, 1961, p.p 263-264,

حسين عطية، " المسلمون في الإمارات الصليبية في بلاد الشام "، حولية كلية الآداب، جامعة عين شمس، المجلد: السابع والعشرون، العدد: الثاني، ط. القاهرة، ١٩٩٩م، ص.ص ٨٤-٨٥.

(2)John de Ibelin, Le Liver de Assises, p54, John la Monte, Feudal Monarchy, p108.

ناجلا محمد، المسلمون في مملكة بيت المقدس، ص.ص ٧٦، ٨١-٨٢.

(٣) الفيسكونت:- كان يقوم أحيانًا بأعمال الشرطة، ويقوم بدوريات ليلية في شوارع المدن، كما كان مكلف بمهمة ملاحقة المجرمين والقبض عليهم، وقد ساعده في تلك المهمة المحتسب، حيث كان يتولى المجرمين بعد القبض عليهم، فيقدمهم للمحاكمة ويسلمهم لها، فيأخذهم المسئول عن ذلك لتنفيذ العقوبة البدنية عليهم أو الحبس، انظر:-
Adrian Boas, Jerusalem, p22,

يوشع براور، عالم الصليبيين، ص١٠٢.

(٤) إرنست باركر، الحروب الصليبية، ص.ص٥٩، ٦٠.

وأحكامها، وما كان يتبع ذلك من تحصيل الغرامات المالية التي كانت تفرض على المتقاضين، وكان يرأس الشرطة المحلية، ويقوم بإرسال الدوريات الليلية من أجل حفظ الأمن في شوارع المدينة، وكان يقود بنفسه فرقة من الشرطة لتمشيط الشوارع(١).

وقد كان لوظيفة القهرمان Seneschal أهمية كبرى، فقد كان يترأس جلسات المحكمة العليا نيابة عن الملك الصليبي في أثناء غيابه وذلك في أوقات السلم، وكان يستثنى من ذلك الجلسات التي كانت تناقش القضايا الجنائية والقضايا المتعلقة بالإقطاع، فقد كانت تتم مناقشة تلك القضايا في حضور الملك الصليبي فقط، وكان القهرمان يتمتع بالأسبقية في تلك المكانة التي كانت تحل محل الملك في بعض الأوقات، بيد أن سلطته التنفيذية لم تكن لتتعدى سلطة الملك الصليبي، وكان اسمه يذكر دائمًا في نهاية العقود، وكان منصبه أقرب ما يكون لمنصب رئيس الوزراء حاليًا(٢).

وكانت وظيفة كبير كتاب الإنشاء أو الرئيس الأعلى للقضاء Chancellar، من الأهمية في السلك القضائي، فقد كان هذا المنصب كنسيًا يتولاه رجال الكنيسة، وكان هذا الموظف مسئولاً عن كتابة القوانين التشريعية التي تم سنها وتحرير الوثائق، ولأهمية تلك الوظيفة، كان هذا الموظف يحمل خاتم الأمير(٣).

وتأتي بعد ذلك وظيفة القاضي، والتي كانت في مرتبة أقل من تلك الوظائف الأخرى، ويرجع ذلك إلى أن تلك الوظيفة كان يتولاها أحد الأساقفة أو أحد الشخصيات البارزة في المجتمع الصليبي، إلا أن تلك الوظيفة لم تكن لها تأثير أو نفوذ على السلطة الملكية، ولم تتطور تلك الوظيفة على مر الزمن، بل سادها الجمود، ويرجع ذلك إلى زيادة سلطة النبلاء، ونزعتهم إلى الاستقلالية بعيدًا عن السيطرة الملكية(٤).

---

(1)Benevenisti (Meron), The Crusaders in The Holy Land Jerusalem, 1976, p28, Richard, La Comte de Tripoli, p p. 40-43, Riley Smith, The Feudal Nobility and the Kingdom of Jerusalem (1174-1277), London, 1973, p 87,

يوشع براور، الاستيطان الصليبي، ص١٧٩، نهى فتحي، إمارة طرابلس، ص٢١٦.

(٢) يوشع براور، نفسه، ص١٥٢.

(3) Richard, La Comte de Tripoli, p 49,

جمعة الجندي، نظم الحكم والإدارة، ص٢٢٤، نهى فتحي، المرجع السابق، ص٢١٥.

(٤) يوشع براور، المرجع السابق، ص١٥٣-١٥٤، جمعة الجندي، المرجع السابق، ص ٢٠٤، نهى فتحي، المرجع

وفيما يتعلق بالسجون داخل المجتمع الصليبي، فقد وردت إشارات بسيطة عنها، فقد ذكر أحد الرحالة أثناء زيارته لمملكة بيت المقدس في القرن الثاني عشر الميلادي، السادس الهجري، أنه يوجد موقع عرف باسم أكرا (الجمجمة)، وكان خارج المدينة، حيث كان مبنى منعزلاً تمامًا، وتم تخصيصه من أجل الذين حكم عليهم بالإعدام، وقد أطلق عليه اسم الجمجمة، نظرًا لأن المجرمين كانت تقص شعورهم في ذلك الموضع، وقد انتشر ذلك النظام الذي أسس عليه هذا السجن داخل المدن والإمارات الصليبية المختلفة[1].

ووجد نموذج آخر للسجون التي انتشرت داخل المدن والإمارات الصليبية، وهو السجن الذي صمم تحت الأرض، وكانت مساحته كبيرة، وكان لهذا السجن باب من الحديد، حيث كان يسجن فيه عدد كبير من السجناء[2].

والآن نتجه إلى دراسة العقوبات المتعددة على الجرائم المختلفة في المجتمع الصليبي مثل القتل والزنا والرشوة.

وفيما يتعلق بجريمة القتل والعقوبة التي فرضت بشأنها، فلقد حرم الكتاب المقدس تلك الجريمة بشدة، منكرًا إراقة دماء الأبرياء[3]، وكانت قوانين الأسيس صريحة بهذا الشأن، فلقد اعتبرت جريمة القتل من أعمال العنف الجائر التي يجب معاقبة فاعلها، وكانت عقوبتها الإعدام[4]، وإذا حدث نزاع بين شخصين وأصيب أحدهم ثم توفي جراء إصابته هذه، فإن المحكمة تقوم بتوقيع الجزاء على المعتدي

السابق، ص٢١٤.

(١) جون أوف وورزبرغ (١١٦٠-١١٧٠م)، وصف الأرض المقدسة، ت. سهيل ذكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج ٣٤، ط. دمشق، ١٩٩٨م، ص٣١٩.

(٢) فاطمة نبهان عوده، رسالة دكتوراه غير منشورة، عبد الله بن فضل الله الشيرازي، تاريخ وصاف، جامعة عين شمس، ١٩٩١م، ج٣، ص٤٢٤.

(٣) يقول الكتاب المقدس على لسان متى: " قد سمعتم انه قيل للقدماء لا تقتل ومن قتل يكون مستوجب الحكم.وأما أنا فأقول لكم أن كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم ومن قال لأخيه رقا يكون مستوجب المجمع ومن قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم"،إصحاح (٢٢،٢١).

(4) Liver des Assises des Jerusalem, p549.

وتعامله معاملة القتلة، ويتم تنفيذ عقوبة القتل عليه[1].

ومن المؤكد أن الصليبيين عندما قدموا إلى بلاد الشام من فرنسا والدول الأوربية الأخرى، كانت لديهم قوانين راسخة منذ زمن طويل وخاصة فرنسا، حيث استفادوا منها في سن قوانينهم الخاصة بهم ببلاد الشام، غير أنهم لم يكونوا ليلتزموا بتلك القوانين التي سنوها، أو حتى القوانين المقدسة، بل كانت تتم تطبيق العقوبة على الجاني بحسب مكانته والظروف التي أحاطت بالجريمة أثناء وقوعها.

غير أنه في بعض حالات القتل، لم يكن يتم توقيع العقوبة على القاتل مباشرة، بل كان يتم سجنه، حتى يعترف بجريمته في حالة الإنكار، حيث كان يتم تعذيبه على يد أسرة الضحية بأمر من المحكمة عن طريق التفويض لأهل الضحية للقيام بذلك، وكان القاتل يظل تحت التعذيب لمدة ثلاثة أيام، فإذا لم يعترف بجريمته يتم حبسه لمدة عام حتى يأتي شاهد يقوم بإنصافه، وخلال تلك الفترة إذا لم يأتي أحد الشهود، فإنه يكون قد قام بتسديد الجزاء الموقع عليه، جراء ذلك الحبس[2]، وبذلك كانت الوحشية في تطبيق العقوبة على المشتبه فيه إذا لم يكن هناك دليل مادي على جريمته.

وكانت عقوبة الإعدام التي طبقت على الجاني في منتهى القسوة والوحشية، فكان الإعدام ينفذ بنزع أطراف الجاني الواحد تلو الآخر، وذلك بأن تقطع ذراعاه ثم ساقاه، وهكذا حتى تقطع رأسه، كما كان الذبح وسيلة آخرى من وسائل الإعدام التي طبقت على الجناة، حيث كان الجاني يتم ذبحه مثل الشاة[3]، وبهذا لم يكن هناك شفقة أو رحمة في تنفيذ العقوبات على القاتل.

ولم تكن تلك هى العقوبة الوحيدة التي ينالها القاتل، بل تعدى ذلك إلى حرمان القاتل من إقطاعياته طيلة حياته، وذلك في حالة ارتكابه لجريمته، وتم استدعاؤه إلى المحكمة للمثول أمامها وتخلف عن الذهاب في الموعد المحدد، ولم يأت بحجة غياب

---

(1) Liver des Assises de Jerusalem, p548.

(2) Piers D. Mitchell, Medicine in the Crusades: Warfare, Wounds, and The Medieval Surgeon, Cambridge, 2004, p133.

(٣) على السيد، المجتمع المسيحي، ص١٥٥.

أو عذر منعه من الحضور، فيفقد إقطاعيته على إثر ذلك الغياب[1]، وطبقت تلك العقوبة في حالة إذا لم يتم القبض على القاتل، ولم يشر القانون على من تطبق في تلك الحالة.

وقد كانت المحكمة تمهل القاتل لعدة أيام حتى يتمكن من إثبات براءته، عن طريق إحضار أدلة واضحة على براءته، أو عن طريق إحضار الشهود الذين يثبتون براءته من تهمة القتل، وإذا أخفق في كلا الحالتين، تقوم المحكمة بإنزال العقاب به نتيجة لجريمته[2].

وعلى الرغم من تلك القسوة في تنفيذ العقوبة، إلا أنها لم يكن يتم تطبيقها دائمًا، بل سادت الإمارات والمدن الصليبية نوع من الفوضى في تنفيذ الأحكام القضائية، مما جعل تلك القوانين تتعطل عن العمل، وظهر ذلك جليًا في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي، السابع الهجري، ففي عام ١٢٥٩م/٦٥٧هـ، قدم من فرنسا رجل ذو مقام رفيع، يدعى سير جودفري أوف سيرجينس Sir Geoffrey of Sergines ، حيث تم تعيينه كفيل Bailli لمملكة بيت المقدس في عكا، وذلك بعد وفاة سير جون أوف إبلين Sir John of Ibelin، لورد أرسوف، الذي كان يشغل ذلك المنصب، وقد كان جودفري ذا سلطة قضائية كبيرة، ولم يكن ليعفو عن أي شخص بسبب عائلته أو هداياه، وقام بشنق فارس يدعى جون رينر John Renier، حيث كان هذا الفارس قد قتل أسقفًا تابعًا لفماجوستا Famagusta بقبرص Cyprus، فقام بأخذه من الربع البيزي، وطبق عليه العقوبة اللازمة، كما قام بشنق العديد من القتلة[3]، واختلف في من يطبق العقوبة داخل المجتمع الصليبي، فلم يكن وضعها مستقر، فتارة يطبقها مندوب البابا وتارة يطبقها الملك، وأخرى تطبقها المحكمة، وكان هناك تخبط شديد في تنفيذ العقوبات داخل المجتمع الصليبي ببلاد الشام، خاصة في مراحل الضعف السياسي كما هو واضح خلال القرن الثالث عشر

---

(1) Liver des Assises, p305.

(2) De Sempad Le Connetable, Assiese D' Antoiche, Venise, 1876, p32-34.

(3) Eracles, p4, The Templar of Tyre, p33.

الميلادي/ السابع الهجري.

وفيما يتعلق بعقوبة الزنا، فمع بداية عهد الصليبيين ببلاد الشام واحتلالهم للمدن الساحلية الشامية، لم يكن هناك قانون محدد لتطبيقه على الجرائم التي كانت تقع من قبل الجنود، وظهر ذلك واضحًا عندما حاصر الصليبيون مدينة أنطاكية، فعندما انتشرت جريمة الزنا والدعارة بين الجنود، وخرجت الأمور عن سيطرة رجال الدين والقادة، قرروا تطبيق عقوبة الإعدام على كل زانٍ وزانية يتم القبض عليهم متلبسين بجريمتهم. وعينوا قضاة من بينهم من أجل تطبيق تلك العقوبة على المذنبين ومنحهم السلطة الكاملة في الكشف عن أصحاب تلك الجريمة، وظهر رأي معارض لتلك العقوبة بين الصليبيين، غير أن تلك الفئة المعارضة تم إدانتها بارتكابها عددًا من جرائم الزنا والدعارة، وتم تطبيق العقوبة عليهم، وتم ملاحقة العاهرات داخل المعسكرات الصليبية، وقطعت رءوسهم، فكانت أصوات الصراخ تعلو داخل المعسكرات الصليبية من أجل ذلك[1]، حيث لم يكن يلتمس أي عذر لأي حالة تلبس، وقد تعددت التحذيرات بالكتاب المقدس تجاه الزنا، نظرًا لما يسببه من مفاسد أخلاقية وما ينتج عنه من تفكك أسري، وظهر ذلك جليًا وبوضوح داخل المجتمع الصليبي[2].

ويبدو أنه لم يتم العمل بتلك القوانين إلا في حالة الأزمات فقط، ومن أجل ذلك عمل رجال الدين على مواجهة انتشار ظاهرتي الزنا والدعارة بعد أن تضخم الأمر، وذلك في اجتماع نابلس ١١٢٠م/٥١٣ هـ، حيث اجتمع القادة الصليبيون بقيادة الملك الصليبي بلدوين الثاني وبطريرك مملكة بيت المقدس جورموند، والعديد من أمراء

---

(1) The Caxton Eracles, p357,

وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج١، ص٣٠١،

Marawn Nader, Burgesses and Burgess Law in the Latin Kingdoms of Jerusalem and Cyprus (1099-1325), Cornwall, 2006, p27.

(٢) وجاءت إصحاحات الإنجيل واضحة: إنجيل متى ٥ يقول المسيح: ٢٧وَسَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: لاَ تَزْنِ! ٢٨أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امرأة بِقَصْدِ أَنْ يَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ! ٢٩فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ الْيُمْنَى فَخّاً لَكَ، فَاقْلَعْهَا وَارْمِهَا عَنْكَ، فَخَيْرٌ لَكَ أَنْ تَفْقِدَ عُضْواً مِنْ أَعْضَائِكَ وَلاَ يُطْرَحَ جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ! ٣٠وَإِنْ كَانَتْ يَدُكَ الْيُمْنَى فَخّاً لَكَ، فَاقْطَعْهَا وَارْمِهَا عَنْكَ، فَخَيْرٌ لَكَ أَنْ تَفْقِدَ عُضْواً مِنْ أَعْضَائِكَ وَلاَ يُطْرَحَ جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ».

المدن الصليبية الأخرى وغيرهم، حيث تقرر في ذلك المجلس فرض عقوبات على الجرائم التي تقع داخل المجتمع، ومنها ما فرض على جريمة الزنا، وتم النص على الآتي:-

«كل من تثبت مضاجعته لزوجة غيره، يعزل بعد قبوله حكم القاضي ويتم استبعاده عن هذه البلاد، أما الزانية فيتم ذبحها، مالم يرد زوجها أن يغفر لها، فإذا فعل فليعبر كلاهما البحار»[1].

وبذلك فقد تم تخفيف الحكم من الذبح والقتل، إلى الاستبعاد من البلاد في حالة إذا عفا الزوج عن زوجته الخائنة[2]، ويرجح من ذلك أن عملية تخفيف الحكم على المرأة الخائنة إنما يرجع لسببين، أحدهما: انتشار الزنا بين طبقات المجتمع الصليبي بصورة كبيرة، خاصة بين المتزوجين، والسبب الآخر: هو الخوف من تطبيق عقوبة الإعدام على المذنبين منهم، فإنه سوف يساهم في النقص العددي الذي ظل يعاني منه المجتمع الصليبي طوال فترة تواجده ببلاد الشام على مدى القرنين الثاني والثالث عشر الميلاديين/ السادس والسابع الهجريين.

كما يلاحظ أن هناك من ارتكب جريمة الزنا ولم يعاقب نظرًا لعلو مكانة منصبه، كما في حالة البطريرك هرقل الذي اتهم صراحة من جانب المؤرخ وليم الصوري William of Tyre ، وكذلك المؤرخ المجهول الذي ذيل على تاريخه، بعلاقات منحله مع امرأة من نابلس ومع ذلك أفلت من العقاب، ودل ذلك على أن القوانين التي تم سنها لم تكن لتنفذ على الجميع.

أما اللواط، فقد نصت قوانين بيت المقدس على:-

«إذا ما ثبت على أحدهم تدنسه بدنس اللواط، فليحرق الفاعل والمفعول به»[3].

وينم ذلك القانون عن شيوع اللواط داخل المجتمع الصليبي بصورة خطيرة، فلقد

---

(1) Mansi (J.D), Sacrorum Concilorum nova et amplissma Collectio, Vol. 21, Ahademishche druck –u Verlag , Sanstalt, Austria, 1961, p263.

(٢) جان ريتشارد، وضع المرأة، ص١٦٧.

(3) Mansi, Sacrorum Concilorum, p264.

هانس ماير، تاريخ الحروب الصليبية، ص١٢١.

حذر الكتاب المقدس من تلك الجريمة الشنعاء[1]، وترجع أسباب تفشي تلك الجريمة إلى:-

أولاً:- طبيعة نزل الحجاج الأوربيين في المدينة، فقد كانت أماكن النوم مشتركة، بحيث كان ينام على السرير الواحد ثلاثة أفراد، مما ساعد على إنحدار الأخلاق ونشر الرذيلة، ومن ثم غدت نزلهم أو الخانات التي يقيمون فيها مشهورة بسوء السمعة[2].

ثانيًا:- وجود عدد كبير من الشباب العزاب بعيدًا عن بلادهم لفترت طويلة بلا استقرار، مما فتح الباب لانتشار تلك الفاحشة[3].

ثالثًا:- كثرة الغلمان اللقطاء من مختلف البلاد والجنسيات[4].

رابعًا:- عدم تأصل الشعور الديني، مما يسر لمرتكبي تلك الجريمة أمرهم[5].

خامسًا:- كثرة الأوربيين الوافدين إلى بلاد الشام من الفسقة، الذين أبعدتهم الكنيسة عن بلادهم تطهيرًا لها منهم، وتكفيرًا عن الجرم الذي ارتكبوه، ومع مجيئهم للإمارات الصليبية ببلاد الشام، وجدوا المناخ مهيئاً لمعاودة تلك الجريمة، فانخرطوا فيها بلا رادع ولا وازع ديني[6].

وقد ورد في قوانين بيت المقدس ما نصه:-

«إذا ما ثبت على أحد (يقصد به أحد الصليبيين) مضاجعته لمسلمة يخصى، أما هي فيجدع أنفها»[7].

---

(١) الكتاب المقدس، اللاويين، ١٨/٢٢، " لا تضاجع ذكرًا مضاجعة امرأة، أنه رجس"، وأيضا في اللاويين يقول" وإذا اضطجع رجل مع ذكر إضطجاع المرأة فقد كلاهما رجسًا. أنهما يقتلان. دمهما عليهما".

(٢) براور، الاستيطان الصليبي، ص٢٤٠، محمد فوزي، نهاية الصليبين، ص٢١٣.

(٣) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ص١٣٥، سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٣٩٧، محمد فوزي، نهاية الصليبين، ص٢١٣.

(٤) علي السيد، المجتمع المسيحي، ص١٢٠، محمد فوزي، نفسه، ص٢١٣.

(٥) علي السيد، نفسه، ص ١٢٠، محمد فوزي، نفسه، ص٢١٣.

(٦) علي السيد، نفسه، ص١٢١، محمد فوزي، نفسه، ص٢١٣.

(7) Mansi, Op. Cit p 264, Marawn Nader, Burgesses and Burgess Law in the Latin Kingdoms of Jerusalem and Cyprus (1099-1325), Cornwall, 2006, p27.

وقد تم سن هذا القانون من أجل منع الاجتماع الجنسي بين كل من الصليبيين والمسلمين، وكان ذلك من أجل الاضطهاد[1]، وعلى الرغم من قسوة ذلك القانون، إلا أنه لم ينفذ، إذ كان الجاني يطلب أن يستعاض عن ذلك بحكم آخر، أو يلجأ إلى التوبة فتسقط عنه العقوبة[2]، وينم هذا القانون عن وجود حالات للاتصال الجنسي بين الصليبيين وبعض المسلمات، فأرادوا منع تلك الحالات بمثل تلك العقوبات، غير أن المصادر لم تفصح عن حالات من مثل ذلك النوع، وعلى الرغم من عدم ذكرها، فإنه لم يمنع وجودها نظرًا لنصوص القوانين الصريحة الدالة على حدوث ذلك، والجدير بالذكر أن ذلك الاتصال الجنسي لم يكن بإرادة المسلمات، لكن ربما رجع ذلك أن بعضهن كن أسيرات لدى الصليبيين، وطبق الصليبيون تلك العقوبة خوفًا من أن ينجب المسلمات أطفالاً ثم يحولنهم إلى الإسلام دون علم آبائهم.

ولم تكن تلك العقوبة الوحيدة التي تلحق بالزانية، فقد نص القانون على أنه في حالة ما إذ زنت البنت العذراء وفقدت عذريتها، أو أصبحت حاملاً أو أنجبت طفلاً غير شرعي، فإن القانون نص على أن الفتاة تفقد حقها فى الحصول على الإقطاعية التي خلفها لها أبوها إلى الأبد، وتلك من قوانين المحكمة التي نصت على حرمان الفتاة من ميراثها، إذا قامت بأحد ثلاث أشياء:-

أولاً:- الخيانة والخزي الذي تلحقه بوالدها ووالدتها وكل أقاربها.

ثانيًا:- هو التآمر والخطيئة.

ثالثاً:- إذا قامت بتلويث سمعتها، وفقدت عذريتها التي يجب أن تحافظ عليها من أجل زوجها، ونص القانون بأن تئول إقطاعياتها إلى شقيقتها التي تليها، أما إذا كانت الثانية سيئة السمعة أيضًا، فيتم حرمانها هي الأخرى منها، لكن القانون لم يمنع بقية الشقيقات من الحصول على الإقطاعية بسبب خطأ إحدى الشقيقات، وهذا ما تنص عليه قوانين وأحكام مملكة بيت المقدس[3]، إذن كان لتلك الجريمة أثر خطير من

(1) Christopher Tyerman, The Crusades, p116.

(٢) هانس ماير، تاريخ الحروب الصليبية، ص١٢١.

(3) Liver des Assises de Jerusalem, p629.

الناحية الاجتماعية، مما استلزم معه تغليظ العقوبة إلى أقصى درجة ممكنة، حتى تكون عبرة لغيرها.

والجدير بالذكر أن قضية العذرية لم تكن بالشيء المهم لدى الصليبيين، فقد كانوا يتباهون بالحب غير الشرعي، أو ربما أن ذلك الاهتمام بالعذرية كان نتيجة تأثر الصليبيين بالقوانين الإسلامية التي شددت على ذلك الأمر، والتي على أساسها أيضًا صيغت الكثير من القوانين الصليبية.

وقد نصت قوانين بيت المقدس في حالة اغتصاب أحد الصليبيين لإحدى المسلمات ما يلي:-

«إذا قام أحد الصليبيين باغتصاب جاريته المسلمة رغمًا عنها، فنص القانون على مصادرة تلك الجارية منه، ويكون هذا المغتصب أمام القانون غير شرعي»[1].

وقد دل ذلك على مدى الظلم الذي تعرضت له المسلمات من قبل القوانين الصليبية، والمهانة التي كن يتعرضن لها، وقد ذكر لنا أسامة بن منقذ قصة الأسيرة رفول بنت أبي الجيش، والتي أسرها أحد الصليبيين، وعندما كانت على علم بما سيحدث لها، فقد ألقت بنفسها في أحد الأنهار، وذلك خوفًا من العار الذي كان سيلحق بسمعتها، إذا اغتصبها ذلك الصليبي[2].

ونصت قوانين بيت المقدس فى حالة اختلاط المسلم بامرأة صليبية بإرادتها أو إكراهًا لها، على ما يلي:- «أنه إذا قام أحد المسلمين بمعاشرة أحد نساء الصليبيين بموافقتها، يتم معاقبتهما بعقوبة الزنا، أما في حالة إذا قام بأغتصبها بالإكراه فهى لا تتحمل ذنبًا على ذلك الجرم، ويتم إخصاء المسلم المتهم بذلك»[3].

وقد اعتبر القانون تلك الجريمة من الأفعال الجائرة والتي كانت تحدث يوميًا، وإن كان لم يتم تفعيله، نظرًا لأن الضحية كانت يصعب عليها إقامة الحجة والبينة على الجاني، لذلك كانت تجد المحكمة صعوبة في محاكمة الجاني[4]. وكانت ضحيته تعيش في

---

(1) Mansi, Sacrorum Concilorum, p264.

(٢) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ص١٧٩.

(3) Mansi, Op. Cit p264.

(4) Liver des Assises de Jerusalem, p549.

معاناة شديدة بسبب تلك الحادثة[1]، ولعل في ذلك اضطهاد للمسلمين الذين كانوا تحت السيطرة الصليبية، فلم يكن ليتساووا مع الصليبيين في نظر قضاياهم.

ولم تكن فرق الرهبان بمنأى عن تلك الجريمة، بل امتدت إليهم أيضًا، ووجدت لها العقوبة الخاصة بها، وأول من وضع تلك العقوبات هو ريموند دي بوي Raymond of Le Puy، فقد أعد مجموعة من القوانين من أجل الحفاظ على نظام جماعة الإسبتارية بوجه خاص، ففرض تلك العقوبات على مرتكبي الجرائم من أفراد الجماعة، وعندما تولي ريموند منصب مقدم فرقة الإسبتارية، عقد اجتماعًا موسعًا حضره كبار رجال الفرقة، وقرأ عليهم القوانين التي وضعها من أجل حماية الفرقة، حيث لم يكن لفرقة الإسبتارية أية قوانين تحكمهم حتى تولي ريموند، وهي قوانين تعلقت بأمور العفة والطاعة[2].

وفيما يلي نص القانون الذي يتعلق بجريمة الزنا، والذي نص على:- «أنه إذا اقترف أحد الرهبان جريمة الزنا، فعليه إما أن يتوب بشكل سري، أو يفرض على نفسه عقوبة مناسبة تتناسب مع حجم الجريمة التي مدنيًا، أما إذا انكشفت جريمته وأصبحت معروفة لدى الجميع، فعليه أن يقوم بالتعري داخل الكنيسة في المدينة التي اقترف فيها تلك الجريمة، في يوم الرب بعد القداس، وبعد مغادرة الناس للكنيسة، حتى يقوم رئيسه الديني بجلده، وتطبق تلك العقوبة عليه في حالة إذا كان راهبًا دينيًا، أما إذا كان راهبًا مدنيًا، فإن العقوبة هنا تختلف تمامًا، فيقوم رجال الدين داخل الكنيسة بجلده بالسوط بشدة دون شفقة، ويتم طرده من جماعته إلى الأبد، وإذا حدث بعد أن يتم تطبيق تلك العقوبة عليه، وهداه الله وأراد التوبة، والعودة مرة أخرى إلى جماعته، فإن على الجماعة أن تقبله مرة آخرى كعضو ضمن بقية الأعضاء، وتقوم الجماعة فى تلك الحالة بفرض عقوبة عليه مناسبة لحجم الجريمة التي مدنيًا، ويعامله أعضاء المجموعة بمثابة عضو غريب عنهم وذلك لمدة عام كامل، ويتم وضعه تحت المراقبة من قبل

(1) Pier Mitchell, Medicine in the Crusades, p128.

(٢) نبيلة مقامي، فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، دار الكتاب الجامعي، ط. القاهرة، ١٩٩٤م، ص١٤١.

رجال الدين الآخرين، حيث يتم تقديم تقرير واف عن سلوكه وتصرفاته خلال تلك الفترة، ثم بعد ذلك يتم التشاور فيما بينهم بخصوص ذلك المذنب، ومدى منفعته للجماعة»(١). ويلاحظ من خلال ذلك القانون عدم المساواة في تطبيق العقوبة بين أفراد الجماعة، بل اختلفت حسب مكانة كل واحد، والطبقة الاجتماعية التي قدم منها، مما يدل على عدم النزاهة في تطبيق القوانين بين أفراد الهيئة الواحدة، مما كان يؤدي إلى زيادة معدل الجريمةِ بين أفراد الهيئة من ناحية، وزيادة وانتشار الفساد بين أفراد الهيئة من جهة أخرى، ومن ناحية ثالثة أصبحت الجماعة قدوة لأفراد المجتمع الصليبي في التعصب ورفض الآخر.

وكذلك وضع ريموند قانونًا آخر، في حالة ما إذا اتهم أحد أعضاء الجماعة أحد زملائه بتلك الجريمة، وليس لديه بينه:- «أنه إذا قام أحد الرهبان باتهام زميل له بتهمة الزنا دون دليل واضح على ذلك، ففي تلك الحالة يتم تطبيق عقوبة الزاني عليه والتي كان من المفترض أن يتم تطبيقها على زميله المذنب»(٢).

وعلى الرغم من ذلك، تم تطبيق عقوبة أخرى على الفارس الذي يتم ضبطه متهمًا بممارسة جريمة الزنا، فإنه كان يتم تخيره إما أن تأخذ المرأة العاهرة بمقوده في المعسكر وهو في قميصه، وتقوم بشده بحبل تجريحًا له، وبين أن يتخلى عن حصانه وسلاحه ويطرد من الجيش(٣)، أو أن يتم تجريد الاثنين من ملابسهما ويجبران على المشي أمام الجيش، وهما مقيدًا اليدين خلف ظهريهما، ويقوم جلادان بجلدهما بالعصي بشدة، وكان الهدف من ذلك هو تخويف الآخرين(٤).

أما عند الفرسان فكان العقاب على تلك الجريمة عند هيئة فرسان التيتون بالتوبة

---

(١) ريموند دوبري، قانون ريموند دوبري، ت. سهيل ذكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج ٣٣، ط. دمشق، ١٩٩٨م، ص.ص ٢٨٣، ٢٨٤.

(٢) ريموند دوبري، المصدر السابق، ص٢٨٩.

(٣) جوانفيل، حياة القديس لويس، ص٢٢٤، جوناثان سميث، الحملة الصليبية الأولى، ص١٦٤، محمود الحويري، الأوضاع الحضارية، ص٧٨.

(٤) حسن عبد الوهاب، دراسات في تاريخ الحضارة الأوربية في العصور الوسطى، (المجتمع الصليبي في بلاد الشام)، ط. الأسكندرية، ٢٠٠٠م، ص١١.

لمدة عام كامل، هذا إذا كانت جريمته فعلها بشكل سري، أما إذا تم كشفها أمام العلن وكانت فعلته فاضحة، يطلق على بيته أسوء الأسماء، ويقوم بالخدمة مع العبيد، ويخدم بدون ارتداء الصليب، ويأكل مع الأجراء جالسًا على الأرض، ويصوم ثلاثة أيام من كل أسبوع على الخبز والماء[١].

وبذلك تكون العقوبات التي عرفت عند هيئات الفرسان، يبدو أنها كانت مقسمة حسب نوع المخالفة التي يرتكبها العضو، وذلك لوجود عقوبات ثانوية وعقوبات بسيطة وأخرى جسيمة، فالمخالفات الثانوية كانت تتراوح ما بين سبعة أيام وأربعين يومًا[٢].

ويلاحظ هنا التفريق في تطبيق عقوبة الزنا عند كل من العامة، وفرسان الهيئات الدينية، فعلى الرغم من أن جميعهم على دين واحد، وعقيدة واحدة، والكل يعمل في خدمة القضية الصليبية -من وجهة نظرهم- إلا أنه لم يكن هناك مساواة في تطبيق العقوبة بين كافة الرعية، سواء أكان رجل من العامة أو من عناصر الهيئات الدينية، وكان ذلك العامل أحد أهم أسباب الانهيار الداخلي للمجتمع الصليبي ببلاد الشام.

وبصفة عامة، فإن وجود قوانين تعاقب حالات الزنا داخل الهيئات الدينية الحربية الصليبية كالاسبتارية، يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك على أن الفساد تطرق إلى تلك المؤسسات التي صورتها المصادر التاريخية الصليبية الباكرة على أنها عناصر من الأتقياء والأطهار وجند المسيح Militia Christi.

وقد تمثلت عقوبة جريمة الرشوة على المتهم الذي كان تثبت إدانته بتلك الجريمة في العزل من كافة الوظائف التي كان يتقلدها، بل وكان يتم سجنه جراء ما اقترفه[٣]، بل لقد وصلت عقوبة تلك الجريمة إلى حد التعذيب بالجلد داخل السجن، حتى يعترف المتهم بمكان الأموال التي أخذها جراء تلك الرشوة[٤].

---

(1) Indrikis Sterns, Crime and Punishment among The Teutonic Knights, Speculum, Vol. 57, No.1, Jan, 1982, p91.

(٢) علي السيد، المجتمع الصليبي، ص.ص١٥٧، ١٥٦.

(3) Albert D'Aix, Historia Hierosolynitana, ed. R.H.C, H.Qcc, Tome, IV, Paris, 1879, p548.

(4) Albert D'Aix, Ibid, p.p 545-546 .

ويلاحظ من غلظة عقوبة تلك الجريمة، أن أثارها كانت من الخطورة على المجتمع الصليبي بمكان، مما جعل السلطات الصليبية تتشدد في تنفيذها، ولا تبالي بوضع أو مكانة المتهم.

وكانت قوانين الجماعات الدينية الصليبية بالنسبة لجريمة الرشوة متفاوتة في إنزال العقاب بالمرتشين، فكانت جماعة الداوية تعاقب المرتشي بالطرد من الجماعة، وكانت جماعة الإسبتارية تسحب منه الرداء الخاص بالجماعة، أما بالنسبة للجماعات الألمانية. فقد تراوحت عقوبة المرتشي بها بين العقوبتين، وذلك إذا اقترف الأخ نفسه تلك الجريمة، أو تسبب في تورط أحد الأخوة بها[1]، وبذلك تكون الجماعات الدينية الصليبية، شكلت مجتمعًا مستقلاً بذاته، حتى في سياسته في معاقبة المجرمين.

ووجدت عقوبات لجرائم آخرى شملتها قوانين الأسيس، غير أنه لم ترد إشارات عنها في المصادر الصليبية إلا نادرًا، على الرغم من انتشارها بشكل خطير داخل المجتمع الصليبي، ومن أمثلة تلك الجرائم:

ومثلما كان للجرائم الأخرى التي تم تفصيلها في الفصول السابقة، وما كان لها من أثر على المجتمع الصليبي ببلاد الشام، حيث ساعدت على تفككه، وزيادة عوامل التناحر بين عناصره، كان لجريمة السرقة تأثير سلبي على المجتمع الصليبي، فعلى الرغم من انتشار السرقة بصورة كبيرة داخل طبقات المجتمع الصليبي، إلا أن الإشارات التي وردت عنها بالمصادر الصليبية، كانت نادرة للغاية، ولم تذكر منها إلا النزر اليسير الذي وقع أثناء أحداث الحملة الصليبية الثالثة، ومنها على سبيل المثال:-

فأثناء حصار القوات الصليبية لمدينة عكا، حدثت مجاعة شديدة داخل المعسكر الصليبي، بسبب ندرة الطعام، قام الجنود الصليبيون بأفعال جلبت عليهم اللوم والنقد، فمع كثرة المشاركين في الجيوش الصليبية واختلاف أجناسهم وألسنتهم، ومع شدة المجاعة، قام هؤلاء الجنود وخوفًا من عار التسول، بالسطو على مخازن الخبازين، وسرقوها حتى لا يموتون جوعًا[2].

---

(١) حسن عبد الوهاب، مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي، ص٩٧.

(٢) أمبروز، حملة الملك ريتشارد قلب الأسد، ت. سهيل ذكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج=

وحادثة أخرى وقعت خلال الحملة الصليبية الثالثة، فقد أمسك الجنود بأحد اللصوص وهو يقوم بالسرقة، فقاموا بتقييده وأحكموا وثاقه وأبقوه تحت الحراسة في دار أحد الخبازين حتى ينظروا في أمره، غير أن ذلك اللص استغل انشغال أهل الدار بما يقومون به من أعمال منزليه، فتخلص من قيوده وانطلق هاربًا خارج البيت[١]. والشاهد من تلك الحادثتين، أن الدافع بينهما مشترك وهو دافع الحاجة لسد الجوع، ويلاحظ في هاتين الحادثتين، أن السلطات الصليبية لم تطبق العقوبة على السارقين، فاكتفوا فقط بحبسهم، مما يدلل على مدى تأثير المجاعة على الجميع، بمعنى أن هناك ظرفا استثنائيا عام تطلب عدم التشدد في فرض العقوبة.

وفي القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري، تأسف جاك الفيتري على ما كان يحدث داخل المجتمع الصليبي بمملكة عكا الصليبية، فقد رأى الصليبيين في عسقلان يقومون بالسطو على القوافل الصليبية التي كانت تمر بمدينتهم، فكانوا يسرقون ما تحمله الأمهات من أشياء ادخرتها لأبنائهن، واعتدوا على أمتعتهن وجرى في دماء أولئك اللصوص السلب والنهب، وعندما رأت تلك النساء ما تعرضن له من أعمال السطو والسرقة من أبناء جلدتهم وإخوانهم المسيحيين- تلك الأشياء التي تمت سرقتها، كان المسلمون قد تركوها لهم ومن أجل أبنائهم أيضًا- تمنوا الرحيل فوراً إلى بلادهم في الغرب الأوربي مع السفن التجارية الراحلة[٢]، نظرًا لقدوم اللصوص وأوباش مدن الغرب الأوربي والبحر المتوسط، لكي يمارسوا جرائمهم ضد إخوانهم القادمين الجدد من الصليبيين لبلاد الشام[٣]، ودلت تلك الحادثة على دلالات مهمة منها:

- عدم شعور الصليبي بالأمان داخل المجتمع الصليبي.
- انتشار اللصوص داخل المجتمع الصليبي بصورة كبيرة خرجت عن نطاق

=٣٢، ط. دمشق، ١٩٩٥م، ص ٢٧٧.

(١) مجهول، الحرب الصليبية الثالثة، ج١، ص١٧١.

(٢) جاك دي فيتري، تاريخ مملكة بيت المقدس، ص٢٦٥.

(3) Thomas Cleve, The Fifth Crusade, p382.

سيطرة السلطات الصليبية نفسها.

- شعور الصليبي بالغربة في الأراضي المقدسة، وتفكيره جديًا في الرحيل عن الأراضي التي قاتلوا من أجل الاستيلاء عليها خلال أحداث الحملة الصليبية الأولى.

- قام الصليبي بعقد مقارنة بين معاملة المسلمين وبين معاملة إخوانه من الصليبيين، وكانت النتيجة في صالح المسلمين، وكانت تلك من أخطر النتائج على المجتمع الصليبي ببلاد الشام.

وقد ازداد معدل جريمة السرقة في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري، فقد كانت الظروف مهيأة بمملكة عكا الصليبية لتفشي تلك الجريمة، ويرجع ذلك لتجمع عدد كبير ممن لفظتهم أوربا بسبب جرائمهم من اللصوص والمشعوذين[1]، والمغامرين والهاربين من العدالة[2].

وقد حاول مجمع نابلس معالجة جريمة السرقة التي انتشرت بصورة خطيرة داخل المجتمع الصليبي، ففرض عقوبات صارمة لمواجهة تلك الجريمة، ومنها ما يلي:-

«أنه إذا ما ثبت على أحد جرم السرقة، إذا تجاوزت المسروقات ثلاثة دنانير بيزنطية، تبتر أعضاؤه وهي اليد والعينان، أما إذا كانت أقل من ثلاثة دنانير، يكوى وجهه ويطاف به في المدينة تحت الجلد، وإذا وجد على بدنه شيء، يعاد إلى المتضرر، وإذا لم يكن لديه شيء، يسلم نفسه إلى صاحب المسروقات، وإذا عاد إلى ارتكاب نفس الجرم، يحرم من جميع أعضائه أو يحرم من حياته».

بل وأضاف المجمع قانونا آخر لمقاومة السرقة، وهو إذا قام أحد الأفراد بسرقة شخص وكان السارق قاصرًا، يتم وضعه تحت الوصاية إلى أن ترى دائرة الملك ما العمل في شأنه.

ولقد أضاف المجمع قانون للحد من السرقة بين البارونات، وهو إذا اكتشف أحد البارونات أحد زملائه في جرم السرقة المشهود، لا تبتر أعضاؤه، بل يرسل إلى دائرة

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن تكوين المجتمع الصليبي ببلاد الشام، انظر الفصل الأول.

(٢) لطيفة أبو عنين، الحياة الاقتصادية، ص.ص ١٣١-١٣٢، محمد فوزي، مملكة عكا، ص.ص ٢١٢-٢١٣.

الملك ليحاكم[1].

ويلاحظ أن تلك العقوبات كانت تعجيزية للمتهم، ولا تعطي له فرصة للحياة مرة آخرى، مما يدل على وحشيتها وعدم آدميتها، وجاءت العقوبات التي فرضتها قوانين المحكمة البرجوازية أشد قسوة، وكشف ذلك القانون أيضًا تورط النبلاء في تلك الجريمة والذين من المفترض أن يكونوا بعيدين تمامًا عن شبهة تلك الجريمة نظرًا لعلو مكانتهم الاجتماعية.

وقد ذكرت قوانين المحكمة البرجوازية، عقوبة السرقة التي كانت غريبة على المجتمع الشامي ولم يكن يعتدها من قبل، لأنها اتسمت بشيء من الغرابة، «فكان السارق يتم ضربه بالسوط ويطرد من الإقطاعية، وإذا عاود الجريمة مرة أخرى، كانت تبتر يده أو يشنق، ونفس العقوبة كانت تنزل بالمتواطيء معه، أما بالنسبة للمجني عليه الذي كان يترك السارق يهرب، فإنه كان يفقد كل ما يمتلك، وينزل إلى مرتبة العبيد، لأن القانون هنا اعتبر أن الجريمة ارتكبت في حق الحاكم، وليس ضد شخص»[2].

ولقد وصل الأمر إلى إخصاء اللصوص الذين كانوا يرتكبون جرائم السرقة الصغيرة، وكان الهدف من ذلك هو جعل هؤلاء اللصوص لا ينجبون ذرية من الأبناء يقلدون أفعال أبائهم الآثمة، ويرجح أن ذلك العقاب طبق بصورة كبيرة داخل المجتمع الصليبي، ويدلل على ذلك كثرة وجود الغواني على ما يبدو داخل المجتمع الصليبي، نتيجة لازدياد عدد الخصيان داخل المجتمع الصليبي ببلاد الشام، حيث كانوا يقومون جميعا بخدمة النساء من بنات الطبقات العليا[3]. وربما نتج عن انتشار جريمة السرقة، نشأة جماعة الفرسان الداوية، والتي كانت مهمتها الرئيسية هي تأمين الطرق التي كان يسلكها حجاج بيت المقدس من نهب قطاع الطرق اللاتين[4].

وقد أظهرت القوانين الخاصة بجريمة السرقة، أن تلك الجريمة لم تبتعد عن كبير أو

---

(1) Mansi, , Sacrorum Concilorum, p266.

(2) Assises de Jerusalem, Cour des Bourgeois, pp.173-181.

(٣) يوشع براور، عالم الصليبين، ص٨٤.

(٤) ناجلا محمد، المسلمون في مملكة بيت المقدس، ص ٨٠.

صغير، غني أو فقير، نبيل كان أو رجل من العامة، فقد كانت القوانين واضحة في ذلك الجانب، ويضاف إلى ذلك أيضًا، وجود الطبقية في تنفيذ العقاب على الجاني[1]، مما أعطى تلك القوانين عدم المصداقية، بل ويرجح أيضًا أنها لم تكن لتطبق على طبقة النبلاء، وطبقت فقط على طبقة العامة من الصليبين، الذين لم يكن لديهم مقدرة على الالتفاف حول القانون.

وقد كان للفساد الأخلاقي دوره في انتشار جريمة أخرى لها طابع مختلف، وهي جريمة الاحتيال، فلقد صحبت رحلات الحج مجموعات كبيرة من النساء المحتالات بسبب رواج الظروف في المدن الصليبية وخاصة مدينة عكا، فكان من السهل عليهن أن يتدثرن في دثار الوقار والغنى، ويقمن بالنصب على الحجاج الذين ينخدعون بمظهرهن المحتشم، ولم تقتصر تلك الجريمة على النساء الوافدات السيئات النية، بل كان للسكان المحليين دور كبير في انتشار تلك الجريمة، فقد قاموا بغش أولئك الحجاج واقتناص ما معهم من الأموال بدون أدنى جهد، ولذلك شارك في القيام بتلك الجريمة عدد كبير من سكان المدن الصليبية ببلاد الشام، وشاركهم في تلك الجريمة التجار الإيطاليون، محتمين في ذلك بالامتيازات القضائية التي حصلوا عليها من الملوك والأمراء الصليبيين، والتي اختصت المحاكم الوطنية في نظر تلك القضايا[2].

ومن العرض السابق يمكن استنتاج ما يلي:-

- حرص الصليبيون منذ بداية احتلالهم لمدن بلاد الشام على سن التشريعات لمواجهة الجرائم التي انتشرت بين الجيوش الصليبية بصورة كبيرة، والتي جعلت رجال الدين يلقون باللوم على قادة الجيوش الصليبية بسبب المحن التي مروا بها.
- تعددت الجرائم في مملكة بيت المقدس الصليبية ومن بعدها مملكة عكا، وبقية الإمارات الصليبية الآخرى، على نحو استدعى تنوع القوانين التي تم سنها لمواجهة ذلك، ومثل ذلك الوضع يعكس لنا أن دراسة مثل تلك القوانين يعد أمرًا بالغ الأهمية

(١) محمد فوزي، نهاية الصليبيين، ص٢١٢.

(٢) جاك دي فيتري، تاريخ مملكة بيت المقدس، ص ٢٢٧، يوشع براور، الاستيطان الصليبي، ص ٢٤٠، هايد، تاريخ التجارة، ج١، ص٣٤٠-٣٤١، محمد فوزي، المرجع السابق، ص ٢٢٣.

لفهم طبيعة الكيان الصليبي على مدى القرنين الثاني والثالث عشر الميلاديين/ السادس والسابع الهجريين.

- كانت القوانين الصليبية صورة مصغرة للقوانين التي كانت تطبق في فرنسا ذلك الوقت، فقد كانت تلك القوانين الفرنسية المصدر الأساسي للتشريع الصليبي، وكانت فرنسا تمد الكيان الصليبي من وقت لآخر بالمشرعين لتطوير تلك القوانين لمواجهة تطور الجريمة وانتشارها بصورة كبيرة.

- كان للطبقية دورها في التفرقة في تنفيذ القوانين بين أبناء المجتمع الصليبي، فقد اختلف تطبيق العقوبة في الجريمة الواحدة بين النبلاء وعامة الشعب، مما أدى إلى إفلات الكثير من المجرمين من العقاب، وفي المقابل نزل العقاب على المذنبين من عامة الصليبيين فساعد ذلك على تزايد الاختلاف والفرقة بين أبناء الطبقتين.

- عندما كانت مملكة الصليبيين قوية، كان هناك اتجاه قوي لتطبيق القوانين وفرضها على الجميع، وعندما ضعفت كانت القوانين – على الأرجح- مجرد حبر على ورق وانطبق ذلك الوضع على الإمارات الصليبية.

- إن التأمل في العقوبات المذكورة تدل دلالة وضاحة على أن الكيان الصليبي على نحو واقعي كان أبعد ما يكون عن المثالية التي صورتها لنا كتب الحوليات الصليبية الباكرة، فقد صورت الصليبيين على أنهم جند المسيح الأطهار، بينما الواقع التاريخي دل بوضوح على تفشي كافة أشكال الجريمة في صفوف الغزاة، وعلى نحو كشفت عنه قوانين بيت المقدس نفسها، وكذلك النصوص الصريحة لمؤرخي الصليبيين خاصة منذ النصف الثاني عشر من القرن الثاني عشر الميلادي/ السادس الهجري فصاعداً.

- كشفت العقوبات التي فرضت على الهيئات الدينية الحربية الصليبية مثل الإسبتارية، والداوية، والتيتون وغيرهم أنهم بالفعل كانوا أشبه بدولة داخل الدولة Imperia in Imperio ، فقد وجدت لها قوانينها الخاصة بها المختلفة عن قوانين المملكة الصليبية، وكان ذلك – مع عوامل آخرى- مؤشرًا دالاً على التفكك والتناثر الذي عانى منه بشدة المجتمع الصليبي.

الخاتمة

بعد هذه الدراسة للجرائم والعقوبات في المجتمع الصليبي في بلاد الشام خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين/ السادس والسابع الهجريين، توصلنا إلى نتائج عديدة منها:-

- حرص الصليبيين على سن العديد من القوانين والتشريعات لمواجهة الجرائم التي تفشت داخل مجتمعهم منذ بداية تأسيس الكيان الصليبي، وحتى سقوط أخر المعاقل الصليبية ببلاد الشام في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي / السابع الهجري، حتى يظهروا بالشكل اللائق أمام العالم المسيحي، وحتى يحافظوا على الأهداف التي من أجلها خرجوا من الغرب الأوربي.

- أظهرت الدراسة أن الملوك الصليبيين لم تطبق عليهم العقوبات الخاصة بالجرائم، كما لم تسن قوانين خاصة بهم لمعاقبتهم على ما كانوا يقترفونه من جرائم على الرغم من أن المصادر الصليبية ذكرت تورط الكثير منهم في ارتكاب الجرائم، وبذلك أصبح الملك فوق القانون يفعل ما يشاء دون حساب.

- كما كان لرجال الدين وضع خاص بهم داخل المجتمع الصليبي، فلم تكن تطبق عليهم عقوبات للجرائم التي كانوا يقترفونها إلا في حالة غضب الملك عليهم أو الأمير الصليبي، ولم تكن العقوبات التي تطبق على العامة تطبق عليهم، بل كانت لهم عقوبات خاصة بهم على حسب ظروف ووضع كل رجل دين ومدى قربه من السلطة الحاكمة.

- أثبتت الدراسة وجود نوع من الترابط بين بعض الجرائم، وأنه من أجل القيام بجريمة ما كان لابد من ارتكاب جريمة أخرى لإكمال الجريمة الأولى، وقد ظهر ذلك بوضوح بين كل من جريمتي القتل والرشوة، فقد كانت تستخدم جريمة الرشوة من أجل تنفيذ جريمة القتل، وبذلك وجد ترابط زمني واحد بين الجريمتين.

- وجود النزعة الطبقية في تنفيذ العقوبات على المذنبين من الصليبيين من ناحية، ومن العناصر السكانية التي خضعت للسيطرة الصليبية من ناحية أخرى، فقد كان المذنبون من النبلاء يسمح لهم استبدال العقوبة بغرامة مالية، أما عناصر السكان الآخرين لم يكن مسموح لهم بذلك، مما أدى إلى زيادة أشكال العنف داخل المجتمع

الصليبي.

- زيادة الإحساس لدى المواطن الصليبي بعدم الأمان داخل مجتمعه نتيجة لوقوع ذلك الكيان الدخيل وسط محيط إسلامي معاد له من ناحية، وتباين طبقات المجتمع الصليبي من ناحية أخرى، مما أدى إلى زيادة نسبة الاحتكاك بين عناصره المتباينة، فأدى ذلك إلى ارتفاع معدل الجرائم.

- كان لزيادة معدل الجرائم داخل المجتمع الصليبي في مواسم معينة، وهى الشهور التي كانت تأتي فيها القوافل التجارية من أوربا وعلى متنها الحجاج الصليبيون، فقد كانوا حديثي عهد ببلاد الشام،مما أدى إلى وجود نوع من النفور بين الحجاج الذين أرادوا الاستقرار ببلاد الشام، وبين الصليبيين القدامى الذين استقروا بالمنطقة فترة طويلة، كل ذلك كان من عوامل ازدياد الجريمة داخل المجتمع الصليبي ببلاد الشام.

- كان للمرأة دور في ارتكابها للجرائم، وكان لطبقة العامة النصيب الأكبر من ارتكاب المرأة للجريمة، خاصة فيما يتعلق بجريمتي القتل والزنا، فقد تفننت النساء في قتل أزواجهن من أجل التفرغ لعشاقهن القادمين من الغرب الأوربي، وبذلك ارتبطت كل من جريمتي القتل والزنا، فقامت النساء بالإقدام على الجريمة الأولى وهي القتل، لكى يستطيعوا القيام بالجريمة الثانية وهى الزنا.

- ساعدت الظواهر البيئية على انتشار الجريمة، فطبيعة المناخ ببلاد الشام اختلفت عن الطبيعة المناخية بأوربا، فكان لزيادة نسبة الحرارة تأثيرها على سلوك الصليبيين المقيمين ببلاد الشام، مما أدى إلى إقدامهم على ارتكابهم الجرائم المختلفة نتيجة لعدم تحملهم لطبيعة المناخ ببلاد الشام.

- أوضحت الدراسة أنه نظرًا لتعدد وتباين طبقات المجتمع الصليبي من لغات وديانات مختلفة، وأن كل طائفة لجأت إلى قوانينها لكي تحاكم بها، أدى ذلك إلى وجود بيئة خصبة للمجرمين من أجل ارتكاب جرائمهم بكل سهولة، لأنهم سوف يحاسبون حسب قوانينهم التي سوف تكون أكثر رحمة من القوانين الصليبية.

- أثبتت الدراسة تدني المستوى الأخلاقي لعدد من رجال الدين من الصليبيين الذين تولوا مناصب دينية متقدمة داخل المجتمع الصليبي، وأن قطاعًا لا يستهان به

من تلك الطبقة لم يكن مؤهلاً بالقدر الكافي لارتقاء تلك المناصب التي شغلوها طوال فترة تواجد الصليبيين ببلاد الشام، ودل على ذلك تناسي رجال تلك الطبقة لمكانتهم الدينية وحرصهم على تحقيق مكاسب مادية وإشباع رغباتهم الجنسية وذلك على حساب مكانتهم.

- كما أن الجرائم قد انتشرت على نطاق واسع في المجتمع الصليبي بحكم تكوينه غير المنسجم، ناهيك عن الطبقية الجامدة التي كونت كثيرًا من الأحقاد والضغائن في ظل جمود هذا النظام طوال فترة تواجد الصليبيين ببلاد الشام، وهو ما أغلق الباب أمام الرقي الطبقي مما فتح الطريق للأحقاد والضغائن وما نتج عنها من جرائم.

- كان لتعدد وتداخل القوى السياسية داخل المجتمع الصليبي ومحدودية نفوذ الملك في ظل وجود قوى مستقلة داخل المملكة مثل الهيئات الدينية العسكرية والقومونات الإيطالية، دور لا ينكر في محدودية سلطات الملك والشرطة، مما وفر مناخًا مناسبًا للجريمة والمجرمين الذين عرفوا جيدًا كيف يرتكبون جرائمهم ويهربون بلا عقاب ولا حساب.

- تفشت جريمة القتل داخل المجتمع الصليبي وتنوعت أشكالها بسبب الخلافات السياسية وأطماع رجال الدين، ناهيك عن الخلافات الأسرية والأمراض الاجتماعية.

- كما شاعت وانتشرت جريمة الزنا بالرغم من تشديد الكتاب المقدس النكر على الزنا والزناة، ومع ذلك شاعت الجريمة بسبب الفوارق الطبقية وعدم التزام رجال الدين بدورهم المنوط بهم وانهماكهم في ملذاتهم، وبالتالي اقتدى بهم عامة الصليبيين وخاضوا كخوضهم مما أدى إلى غرق المجتمع بكل قطاعاته في جريمة الزنا، ولم تفلح قوانين أو مواعظ في التصدي لهذا المرض.

- كما لم تقل جريمة الرشوة عن القتل والزنا انتشارًا في المجتمع الصليبي، وظلت تتفاقم وتتصاعد في كل المناسبات نظرًا لتدنى الدخل المالي لدى عامة الصليبيين من ناحية، ومن ناحية أخرى انتشار البطالة داخل المجتمع الصليبي، ومن ناحية ثالثة الصراع على الوظائف الذي شمل العديد من أبناء المتجمع الصليبي.

- كما وإن قطاعًا كبيرًا من رجال الدين الصليبيين الذين تولوا المناصب الكنسية،

لم يكونوا مؤهلين بالدرجة الكافية لتولي مهامهم الدينية والتي تمثلت في وعظ وإرشاد أبناء المجتمع الصليبي، مما أدى إلى تورطهم في العديد من الجرائم الأخلاقية التي كانت متناقضة تماما مع صفاتهم الدينية من ناحية، ومن ناحية أخرى انعدام الثقة بينهم وبين أبناء المجتمع الصليبي مما ساعد على انتشار الرغبة في الخروج على تلك التعاليم الدينية، بذريعة أن من كان يبشر بتلك التعاليم الدينية هو أول من قام بخرقها.

- إدراك الكثير من عقلاء الصليبيين مدى الانهيار الخلقي والسياسي الذي وصل إليه المجتمع الصليبي ببلاد الشام، ويضاف إلى ذلك انعدام الأمن وكثرة انتشار الجرائم، ناهيك عن رؤيتهم لتفكك المجتمع الصليبي ونشوب الصراعات الدينية والمذهبية بين أبنائه من ناحية، وتنامي القوى الإسلامية المحيطة بالكيان الصليبي من جميع الاتجاهات من ناحية أخرى، ومن ناحية ثالثة رؤيتهم لقلة الدعم الذي كان يأتيهم من الغرب الأوربي والذي تمثل في شراذم القوى الأوربية، كل ذلك جعلهم يدركون عدم جدوى استمرارهم للعيش داخل المجتمع الصليبي ببلاد الشام، فقاموا بجمع أموالهم وممتلكاتهم ورحلوا إلى قبرص وعادوا إلى الغرب الأوربي بصورة نهائية.

الملاحق

جريمة القتل

اسم الضحية	عام الجريمة	وظيفة الضحية	أداة الجريمة	نوع الضحية ذكر/أنثى	مكان الجريمة	تفسير المصادر
ثوروس	٧ مارس ١٠٩٨م/٢ ربيع الأخر ٤٩١هـ	أمير	قطع الرأس أو الموت بالسهام	ذكر	الشارع	كان الأهالي يضمرون الحقد والكره لثوروس أميرهم، وذلك بسبب أنه قام بمصادرة ما عندهم من ذهب وفضة، بالإضافة إلى ظلمه لهم، وكان إذا أراد أحد الثورة ضده، قام ثوروس بتحريض الترك حتى يثخنوه نهباً وسلباً لكل ما يمتلك، وذلك عن طريق رشوتهم من أجل القيام بذلك، وبذلك عاش أهالي الرها في خوف دائم من حاكمهم، ولـيم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص ٢٦٢-

						٢٦٣.
وليم جوردان	١١٠٩م، ٥٠٣هـ	أمير	قتل بسهم أطلق بالمصادفة ودون تدبير أو بيد أحد رجاله في ظروف غامضة	ذكر	أحد الطرق	وهو أن نزاع دب بين كل من عائلة الطرفين، وذهب وليم جوردان فور علمه بنشوب هذا النزاع لكي يفضه، فتم إصابته بسهم طائش أودى بحياته، وانتشرت الشائعات بأن برترام هو من دبر تلك المكيدة كي يتخلص من غريمه، غير الحقيقة المؤكدة لم تعرف حتى الآن، وليم الصوري، ج٢، ص٢٧٦.
ميلون دى بلانسي	خريف عام ١١٧٤م/٥٧٠هـ	أمير	طعن بالخنجر أو بالسيف	ذكر	أحد شوارع مدينة عكا	ونتيجة لسياسة ميلون الخاطئة، حيث كان يقوم بتصريف شئون المملكة

			على يد شخص مجهول			حسب هواه، كما أنه كان يوزع الانعامات وفق ما شاء، مما أثار بذلك سخط الكثيرين عليه ونقمتهم له، حتى وصلت الأمور إلى طريق مسدود، ولذلك تأمر البعض سرأ للقضاء عليه، وعندما علم بتلك المؤامرة لم يهتم واستمر في تصرفاته الطائشة، وفي أحد الأيام وبينما هو يسير في أحد شوارع مدينة عكا الصليبية، طعنه شخص مجهول طعنة نافذة أودت بحياته وذلك في خريف عام ١١٧٤م/٥٧٠هـ وذلك نتيجة تصرفاته، وقد اختلفت الآراء في سبب مقتله، فهناك رأي يقول أنه

						قتل بسبب ولائه الشديد للملك بلدوين الرابع، ورأي آخر يقول أنه قتل بسبب أنه كان يرتب في السر الخطوات للاستيلاء على زمام السلطة الملكية، حتى أشيع أنه أرسل إلى أقربائه في فرنسا لكي يحضروا إلى مملكة بيت المقدس الصليبية، حتى يكونوا عوناً له في تنفيذ رغباته، وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٤، ص ١٨٠.
ستيفاني	١٢١٩م/٦١٥هـ	أميرة	بالضرب المبرح	أنثى	عكا	حوالت ستيفاني قتل يولاند ابنة زوجها جون أوف برين بوضع السم لها، وعندما علم جون بذلك الأمر أبرح ستيفاني ضرباً بقسوة بالغة حتى ماتت بين يديه، نتيجة

						لتلك القسوة، رنسيمان، الحملات الصليبية، ج٣، ص١٨٠.
ريموند ابن بوهمند الرابع	١٢١٣م/٦١٠هـ	أمير	الخناجر المسمومة	ذكر	كاتدرائية العذراء المباركة بأنطرطوس	أكدت المصادر أن جماعة الحشاين كانت وراء اغتيال ريموند ابن بوهمند الرابع أمير طرابلس، غير أن اصابع الاتهام تشير إلى جماعة الإسبتارية، نظراً لما كان بينها وبين بوهيمند الرابع من خلافات، فتعاونوا مع الحشاشين ضد إخوانهم الصليبيين، مقابل مصالحهم الشخصية، أولفر أوف بادربورن، الاستيلاء على دمياط، ت. سهيل ذكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج ٣٤ دمشق، ١٩٩٨م، ص٦٩،

						نهى فتحي، إمارة طرابلس، ص٧٢، محمد مهيوب، الاغتيالات، ص ٢٠٠، عثمان عبد الحميد، الإسماعيليون في بلاد الشام، ص ١٧٦.
فيليب بن بوهيمند الرابع	١٢٢٥م/٦٢٢هـ	غير معروف	السم	ذكر	غير محدد	قيام قسطنطين ملك الأرمن بقتل فيليب بن بوهيمند الرابع أمير طرابلس عن طريق دس السم له، وذلك إنتقاماً من بوهيمند بسبب توتر العلاقات الأرمينية الصليبية بتحالف بوهيمند الرابع مع سلاجقة الروم، الذين هاجموا حصون الأرمن، Vahrm's, Chronicle of The Armenian Kingdom in Cilicia

						during The Time of The Crusades, Trans: Charles Fried, "Neumann", London, ١٨٣١, p.p ٤٦-٤٧, حسين عطية، إمارة أنطاكية، ص٣٢١.
ستفين الشارتري	١١٣٠م/٥٢٤هـ	بطريرك مملكة بيت المقدس الصليبية	السم	ذكر	منزله	مطالبة ستفين للملك الصليبي بلدوين الثاني بالتنازل عن مدينتي يافا وبيت المقدس وضمهم لتبعية لكرسي البطريركية، وليم الصوري، المصدر السابق، ج٣، ص٦٨، محمد عبد الله محمد مهيوب المقدم، الاغتيالات، ص٢٠٩.
رالف أوف دمفرونت	١١٤٣م/ ٥٣٧هـ	بطريرك إمارة	السم	ذكر	غير محدد	صراع على السلطة والنفوذ بين كل من ريموند الثاني

		أنطاكية				أميرط أنطاكية و رالف أوف دمفرونت بطريرك المدينة، أنتهى بمقتل رالف مسموماً، وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٣، ص.ص ١٩٣-١٩٧، سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٤٣٤.
أحد كرادلة البابا هونوريوس الثاني	غير محدد	أحد كرادلة بابا الفاتيكان	السم	ذكر	غير محدد	قيامه بالتفتيش على الكنائس الصليبية ومتابعة أعمال رجال الدين بها، ثم وفاته فجأة، روايات ميخائيل السوري الكبير، ضمن: الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، تأليف وتحقيق وترجمة: سهيل ذكار، الجزء الخامس، دمشق، ١٩٩٥م، ص ١٦٥.

بلدوين الثالث	١٠ فبراير ١١٦٢م/٢ ذو الحجة ٥٥٧هـ	ملك مملكة بيت المقدس الصليبية	السم	ذكر	بيروت	صراعه مع أمه الملكة مليزندا حول حكم مملكة بيت المقدس، وثار أنصار والدته منه، بعد وفاتها، عبد الحفيظ محمد علي، مشكلات الوراثة في مملكة بيت المقدس وأثرها على تاريخ الحركة الصلبية (١١٣-١١٨٧م)، دار النهضة العربية، ط. القاهرة، ١٩٨٤م، ص.ص ٧٢،٧٣.
ألفونسو جوردان	١١٤٨م/٥٤٢هـ	كونت تولوز	السم	ذكر	قيسارية	خوف رايموند أمير طرابلس من مقدمه إلى بلاد الشام، حتى لا يزعزع أركان حكمه، فأقدم على قتله، وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٣، ص٢٩١.

ريموند الثاني	١١٥٢م/٥٤٧هـ	أمير طرابلس	بقتل بالخناجر	ذكر	طرابلس	صراعه مع زوجته هوديرن أحت الملكة مليزندا، ومقتله على حدود مدينته بيد الحشاشين طرابلس، سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص ٥١٢،٥١٣
جيرارد	١١٧١م/٥٦٦هـ	أمير صيدا	قتل بالحرق	ذكر	ممكلة بيت المقدس	خروج جيرارد عن طاعة الملك الصليبي بلدوين الثالث، وتعاونه مع المسلمين، وتصيده للحجاج الصليبيين، أسامة زكي زيد، صيدا ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية ١٩٨٨م، ص١٤٨.
كونراد أوف مونتفرات	١١٩٢م/٥٨٨هـ	أمير صور	طعن بخناجر مسمومة	ذكر	صور	الصراع الذي دار بين كل من كونراد و جاي لوزيجنان على عرش مملكة

						بيت المقدس، مجهول، الحرب الصليبية الثالثة، ج٢، ص١٦٣، نيل وليم الصوري، ص٢٢٦.
برتراند	١٢٥٨م/٦٥٥هـ	أمير	أصيب بالسهام ثم قطعت رأسه	ذكر	جبيل	الصراع حول الخروج عن التبعية بين برتراند أمير جبيل وبوهمند السادس أمير طرابلس، رنسيمان، الحملات الصليبية، ج٣، ص٣٣٨، نهى فتحي، إمارة طرابلس، ص٨٨.
فيليب مونتفرات	١٢٧٠م/٦٦٨هـ	أمير صور	طعن بخنجر مسموم	ذكر	صور	الصراع بينه وبين بيبرس سلطان مصر، The Templar of Tyre, part III of the Deeds of the Cypriots, Trans by, Paul Crawfod, Cornwall, ٢٠٠٣, PP.٦٠-٦٣

المصادر والمراجع

قائمة المختصرات

A.H.R.: The American Historical Review.
B.S.O.S.: Bulletin of the School of Oriental Studies.
D.O. : Dumbarton Oaks.
C.H.R.: The Catholic Historical Review.
E.H.R.: The English Historical Review.
J.M.S.: Journal of Medieval Studies.
P.P.T.S.: Palestine Pilgrims Text Society.
R.H.C.: Recueil des Historiens des Croisades.

المصادر العربية:

١. ، أبو الفداء، تقويم البلدان ، تحقيق رينود ، ماك كوكين ديسلان ، ط. باريس ١٨٤٠م.

٢. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، راجعه وصححه:- محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، ط. بيروت، ٢٠٠٣م.

٣. ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، تحقيق: خليل منصور، ط. بيروت، ١٩٩٦م.

٤. ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق خليل منصور، دار الكتب العلمية، ط. بيروت ١٩٩٦م.

٥. ابن العميد، أخبار الأيوبيين، تحقيق: كلود كاهن، ١٩٥٥-١٩٥٧م.

٦. ابن أيبك الدواداری، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، ط. القاهرة، ١٩٧٢م.

٧. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط. بيروت، ١٩٩٢م.

٨. ابن جبير، تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، تحقيق: محمد زينهم، دار المعارف، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.

٩. ابن حوقل، صورة الأرض ، ط. القاهرة ب.ت .

١٠. ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار المعرفة بيروت، ١٩٨٢م.

١١. ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجى، ط. القاهرة، ١٩٩٤م.

١٢. أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين النورية و الصلاحية، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط. بيروت، ٢٠٠٢م.

١٣. أسامة بن منقذ، كتاب الاعتبار، تحقيق فيليب حتى، ط. القاهرة ٢٠٠١م.

١٤. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، ط. بيروت ١٩٨٠م.

١٥. الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البر و البحر ، تحقيق مهرن ط. بطرسبرج ١٨٦٥م .
١٦. الذهبى، دول الإسلام، تحقيق: حسن إسماعيل مروة، دار صادر، ط. بيروت، ١٩٩٩م.
١٧. صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ط. بيروت، ١٩٩٠م.
١٨. الصفدي، الوافي بالوافيات، ط. شتوتجارت، ١٩٩١م.
١٩. العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق: محمد محمود صبح، ط. القاهرة، ١٩٦٥م.
٢٠. القزويني، أثار البلاد وأخبار العباد، الجزء الأول، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط. القاهرة، ٢٠٠٣.
٢١. المقدسي المعروف بالبشاري ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، تحقيق دي جويه ، ط. ليدن ١٩٠٤م.
٢٢. المنصورى، التحفة الملوكية فى الدولة التركية، تحقيق: عبد الحميد صالح صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، ط. بيروت، ١٩٨٧م.
٢٣. النويري، نهاية الأرب فى فنون الأدب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج ٣١، تحقيق : السيد الباز العريني، ١٩٩٢م.
٢٤. ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ط. بيروت ١٩٧٩م .

المصادر الفارسية:

٢٥. عبد الله بن فضل الله الشيرازي، تاريخ وصاف، ت. فاطمة نبهان عوده، رسالة دكتوراه، ط. القاهرة، ١٩٩١م.
٢٦. مجهول، أخبار سلاجقة الروم، من مؤلفات القرن السابع الهجري، ترجمة: محمد السعيد جمال الدين، المركز القومي للترجمة، ط. القاهرة، ٢٠٠٧م.

المصادر الأجنبية المعربة:

٢٧. أودو أوف دويل، رحلة لويس السابع إلى الشرق، من كتاب(الحملتان الأولى

والثانية حسب روايات شهود عيان كتبت أصلا بالإغريقية والسريانية والعربية واللاتينية)، ت. سهيل زكار، الجزء الأول، دار حسان، دمشق، ١٩٨٤.
٢٨. ريموند دوبري، قانون ريموند دوبري، ت. سهيل ذكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج ٣٤، ط. دمشق، ١٩٩٨م.
٢٩. الكتاب المقدس.
٣٠. مجهول، الحرب الصليبية الثالثة، ت. حسن حبشي، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.
٣١. مجهول، تواريخ أسرة بلانتغنت، ت. سهيل ذكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج ٣٠، ط. دمشق، ١٩٩٨م.
٣٢. مجهول، كتاب حملة الملك ريتشارد إلى أراضي القدس المقدسة، ت. سهيل ذكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج ٣١، ط. دمشق، ١٩٩٥م.

المصادر الأجنبية:

33.Albert of Achen, Historia Ierosolimitana, History of The Journey to Jerusalem, Trans By: Susan Edgington, Oxford, 2007.
34.Albert D ŏAix, Historia Hierosolynitana, ed. R.H.C, H.Qcc, Tome, IV, Paris, 1879.
35. Ambroise, The Crusade of Richard Lion-Heart, Trans. by Merton Jerome Hubert, New York 1941.
وقد تم الإعتماد على الترجمة العربية له:
أمبروز، حملة الملك ريتشارد قلب الأسد، ت. سهيل ذكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج ٣٢، ط. دمشق، ١٩٩٥م.
36. Annales des Terre Sainte, 1095-1291, Edited By: Gaston Raymoud, Paris, 1884.
37. Anonymous, Gesta Francorum et aliorum

Hierosolimitanorum, edited and translated by Rosalind Hill, Oxford, 1967.

وقد تم الاعتماد على الترجمة العربية له:

مجهول، أعمال الفرنجة حجاج بيت المقدس، ت. حسن حبشي، ط. القاهرة ١٩٥٨م.

38. Anonymous Pilgrim V.2, (1187 – 1198), Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S London, 1894.

39. Anonymous , City Of Jerusalem (1220 A.D) , Trans. by C.R.Conder , London 1896 .

40. Benjamin of Tudela, The Itinerary of Benjamin of Tudela, Trans By:- Michael Signer and Others, California, 1993.

وقد تم الإعتماد على الترجمة العربية له:-

بنيامين التطيلي، رحلة بنيامين التطيلي، ت. يحيى الخشاب، ط. بغداد، ١٩٤٩م.

41. Burchard Of Mont Sion (1280A.D), Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S, Vol: XII, London 1896.

وقد تم الإعتماد على الترجمة العربية له:

الحاج بورشارد من دير جبل صهيون، وصف الأرض المقدسة، ت. سعيد عبدالله البيشاوي، مراجعة: مصطفى الحياري، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط. عمان، ١٩٩٤م.

42. Cartulaire Genera de l'Ordre des Hospitaliers de Saint Jean de Jerusalem, ed.Le Roulx(J.D.), tome III, Paris, 1899.

43. Continuation de Guillaume de Tyre dite du manuscript de Rothalin (1229-1261), ed. R.H.C, H.Occ.,T.II, Paris,1869.

وقد تم الإعتماد على الترجمة العربية له:

تتمة كتاب وليم الصوري لمؤلف مجهول والمنسوب خطأ إلى روثلان (١٢٢٩-

١٢٦١م)،ت. أسامة زكي زيد، ط. طنطا، ١٩٨٩م.

44.Daniel, Pilgrimage of the Russian Abbot Daniel in the Holy Land, Trans. by Wilson, P.P.T.S, Vol: VI, London 189.

وقد تم الإعتماد على الترجمة العربية له:

دانيال، رحلة حج راعي الدير الروسي دانيال في الأراضي المقدسة (حوالي: ١١٠٦-١١٠٧)، ت. سهيل ذكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٣١، ط. دمشق، ١٩٩٨م.

45. De Sempad Le Connetable, Assiese D' Antoiche, Venise, 1876.

46. Documents on the later crusades, 1274-1580, Trans by, Norman Hously, New York, 1996.

47. Eracles, L'Histoire D'Eracles Empereur et La Conqueste De La Terre d'Qutremer, Recueil des Historiens des Croisades, Hist. Occidentaux, Tom. II, Paris, 1849.

48. Ernoul, Chronique d' Ernoul et de Bernard Le Tresier, ed., M.L. de Mas Latrie, Paris, 1871.

49. Felix Fabri, The Book of the Wanderings of Felix Fabri, 1480-1483, Trans by. Aubrey Stewart, Vol.2, P.P.T.S, London, 1896.

50.Fulcher Of Chartres, A History Of The Expedition To Jerusalem (1095-1127), Trans. by Frances Rita Ryan, The University Of Tennessee, U.S.A 1969.

وقد تم الإعتماد على الترجمة العربية له:

فوشيه الشارتري، الاستيطان الصليبي في فلسطين، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس ١٠٩٥ –

١١٢٧م، ت. قاسم عبده قاسم، ط. القاهرة ٢٠٠١م.
فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة: زياد العسيلي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٠م.

51. Guillaume de Tyre, La Continuation de Guillaume de Tyre (1184-1197), Par Marqaret Ruth Morgan, Paris, 1952.

وقد تم الإعتماد على الترجمة العربية له:
مجهول، ذيل وليم الصوري، ت. حسن حبشي، ط. القاهرة، ٢٠٠٢م.

52. Gervas (The Monk of Canterbury), The Gesta Regum with its Continuation, ed, William Stubbs , R.S., vol.73., pt.2, London, 1965.
53. Geoffrey De Vinsauf, Richard Of Holy Trinity , Itinerary Of Richard I and Others To The Holy Land, Trans. by A Classical Schola And A Gentheman Well – Read In Mediaeval History , Cambridge 2001.
54. Heimskringla or The Chronicle of the kings of Norway, by:- Snorri sturlsan(1179-1241), Trans:- Samuel laing, London,1844.
55. Jacques de Vitry, History of Jerusalem, Trans. By, Aubrey Stewart, P.P.T.S, Vol: XI, London, 1896.

وقد تم الإعتماد على الترجمة العربية له:
جاك دي فيتري، تاريخ مملكة بيت المقدس، ت. عبد اللطيف عبد الهادي السيد، ط. ليبيا، ٢٠٠٥م.

56. Jacques de Vitry, Letters de Jacques de Vitry, Eveque de Saint Jean d,Acre, (Par . R.B.C.Huygens),Leiden, 1960.

57. Joannes Phocas , The Pilgrimage Of Joannes Phocas In The Holy Land (in the year 1185 A..D) , Trans. by Aubrey Stewart , London 1896.

58. John de Ibelin, Le Liver de Assises, ed by: Peter .W Edbury, Leiden, 2003.

59. John Kinnamos, The Deeds of John and Manuel Comnenus, trans. C.M. Brand (New York, 1976.

وقد تم الاعتماد على الترجمة العربية له:-

يوحنا كيناموس، أعمال يوحنا ومانويل كومينوس، ت. سهيل ذكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج٢٩، ط. دمشق، ١٩٩٧م.

60.John Of Wurzburg , Description Of Holy Land, Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S , Vol : V , London 1896.

وقد تم الاعتماد على الترجمة العربية له:-

جون أوف وورزبرغ (١١٦٠-١١٧٠م)، وصف الأرض المقدسة، ت. سهيل ذكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج ٣٤، ط. دمشق، ١٩٩٨م.

61. Joinville, The Life of Saint Louis. Trans. Rene Hague from the text edited by Natalis de Wailly. New York, 1955.

وقد تم الاعتماد على الترجمة العربية له:-

جوانفيل، القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام، ت. حسن حبشي، ط. القاهرة ١٩٦٨م.

62. Les Gesta des Chiprois, ed. R.H.C. Doc Arm, t.II, Paris, 1906.

63. Letter:- Instruction of St. Louis, Addressed, on his deathbed, to Philip-Le-Hardi, In:- History of The Crusades, By: Joseph Francois Michaud, New York, 1855.

64. Liver des Assises de Jerusalem, ed. Bugnot (Lois II), R.H.C, Paris, 1843.

65. Mansi (J.D), Sacrorum Concilorum nova et amplissma Collectio, Vol. 21, Ahademishche druck –u Verlag , Sanstalt, Austria, 1961.

ترجمة ضمن رسالة صفاء عثمان، مملكة بيت المقدس في عهد الملك بلدوين الثاني (١١١٨-١١٣١م/٥١٢-٥٢٥هـ)، رسالة ماجستير، ط. القاهرة، ٢٠٠٥م.

66. Marino Sanudo, The Book of the Secrets of the Faithful of the Cross - Liber Secretorum, United Kingdom, 2010.

وقد تم الاعتماد على الترجمة العربية له:-

مارينو سانوتو ، كتاب الأسرار للمؤمنين بالصليب في استرجاع الأراضي المقدسة و الحفاظ عليها، مراجعة : بلليغرنيور ونكاليا و سمير الخادم ، ت. الأب سحيم رزق الله ، ط. بيروت ١٩٩١م.

67. Mas Latrie, Historie de l'ile de Chypre Sous le regne des princes de la maison de Lusignan, tom.1, Paris, 1861.

68. Mathew of Paris, English History from the year 1235 to 1273, Trans, From The Latin By, J.A.Giles, London, 1853.

69. Mathien d'Edesse, Chronique de Mathien d'Edesse (962-1136), Avec la Continuation de Gregoire le Peter Jusq'en 1162 ed .M.G.Dulaurier, Paris, 1858.

وقد تم الإعتماد على الترجمة العربية له: حولية متى الرهاوى، ضمن: الموسوعة الشامية فى تاريخ الحروب الصليبية، تأليف وتحقيق وترجمة: سهيل ذكار، الجزء الخامس، دمشق، ١٩٩٥م.

70. Michael Le Syrien, Chronique, ed, par Chabot, Paris, 1903.

وقد تم الإعتماد على الترجمة العربية له: روايات ميخائيل السورى الكبير، ضمن: الموسوعة الشامية فى تاريخ الحروب الصليبية، تأليف وتحقيق وترجمة: سهيل ذكار، الجزء الخامس، دمشق، ١٩٩٥م.

71.Oliver of Paderborn, The Capture of Damietta, Translated from the Latin by John J. Gavigan, Philadelphia, 1948.

وقد تم الاعتماد على الترجمة العربية له:-

أولفر أوف بادربورن، الإستيلاء على دمياط، ت. سهيل ذكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج ٣٣، ط. دمشق، ١٩٩٨م.

72.Petrus Tuderodus, Historia de Hierosolymitana Itinere, edited by: John Besly, in: Hisotira Francorum scriptores, edited by: A Duchesne 4, Paris, 1641.

وقد تم الإعتماد على الترجمة العربية له: بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ت. حسين عطية، الأسكندرية، ١٩٩٨م.

73.Ralph of Caen, The Gesta Tancredi of Ralph of Caen, Trasn. Bernard Bachrach & David Bachrach, Hampshire, 2005.

74. Raymond D,Aguilers , Historia Francorum Qui Ceperunt Iherusalem , Trans. by John Hugh Laurita L.Hill , Philadelphia 1968 .

وقد تم الاعتماد على الترجمة العربية له:-

ريموندداجيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ت. إنجليزية: جون هيوم جيل – لوريتال جيل، ت. عربية: حسين محمد عطية، ط.الإسكندرية، ١٩٩٠م.

75.Richard Of Holy Trinity , Itinerary Of Richard I and Others To The Holy Land , (Formerly Ascribed To Geoffrey De Vinsauf) Trans. by A Classical Schola And A Gentheman

Well – Read In Mediaeval History , Cambridge 2001.

76. Robert the monks history of the first crusade, Historia The rosolimitana, Trans by: Carol Sweelenham, Ashgate, 2005.

77. Rogger of Wendover, The Crusade of Frederick II: From The Chronicle of Rogger of Wandover the Chronicle, in: Christian Society and the Crusades 1198-1229, tr. Johan paderborn, edited by Edward Peters, Philadelphia, 1971.

وقد تم الاعتماد على الترجمة العربية له:-

روجر أوف ويندوفر، ت. سهيل ذكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج ٣٩، ط. دمشق، ٢٠٠٠م.

78. Rohricht, Regesta Regni Hirosolymitani, Innsbruch, 1893

79. The Canons of the First Lateran Council, 1123, in: Medieval Sourcebook, Ninth Ecumenical: Lateran Council, 1123, in: HYPERLINK "http://www.fordham.edu/hasall/basis/LateranI" www.fordham.edu/hasall/basis/LateranI .

80. The Caxton Eracles, Vol. I, in: A Middle English Chronicle of the first crusade, edited and with an introduction by: Dana cushing, Toronto, 2001.

81. The Chronicle of Bury st. Edmunds, Trans. By: Antonia Gransden, London, 1964.

82. The Monk Theodosios the Constantinopolitan, The Life of Leontios patriarch of Jerusalem, Trans.by: Dimitris Tsougarakis, New York, 1993.

83.Theoderichs , Description Of The Holy Places, Trans. by Aubrey Stewart, London 1896.
84.The Templer of Tyre, part III of the Deeds of the Cypriots, Trans by, Paul Crawfod, Cornwall, 2003.
85.Vahrm's, Chronicle of The Armenian Kingdom in Cilicia during The Time of The Crusades, Trans: Charles Fried, "Neumann", London, 1831.
86.William Archbishop Of Tyre, A History Of Deeds Done Beyond The Sea, Trans. by Babcock and Krey, New York 1943.

وقد تم الاعتماد على الترجمة العربية له: وليم الصوري، الحروب الصليبية، ت. حسن حبشي، ط. القاهرة، ١٩٩١م.

87.Xorduim Hospitalairiroum, in R.H.C.O.cc., vol.V, Paris.

المراجع العربية:

٨٨. إبراهيم أحمد العدوي، المجتمع الأوربي في العصور الوسطى، مطبعة جامعة القاهرة، ط. القاهرة، ١٩٨٤م.
٨٩. إبراهيم خميس إبراهيم سلامة، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، دار المعرفة الجامعية، ط. الأسكندرية، ٢٠٠٢م.
٩٠. إبراهيم خميس، جماعة الفرسان الداوية، الإسكندرية، ٢٠٠٢م.
٩١. أحمد أحمد بدوي، الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط. القاهرة، ١٩٧٩.
٩٢. أحمد الشامى، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، دار النهضة العربية، ط. القاهرة، ١٩٨٥م.
٩٣. أحمد حويني وآخرون، البطالة وعلاقتها بالجريمة والانحراف في الوطن العربي،

أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ط. الرياض، ١٩٩٨م.
٩٤. أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، ط. القاهرة.
٩٥. أحمد عبد الرازق، البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. القاهرة، ١٩٧٩م.
٩٦. أحمد عبد القادر الشاذلي، الاغتيالات السياسية في إيران، العربي للنشر والتوزيع، ط. القاهرة، ١٩٩٧م.
٩٧. أسامة زكي زيد، الصليبيون وإسماعيلية الشام في عصر الحروب الصليبية (القرن الثان عشر الميلادي/السادس الهجري)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. الأسكندرية ، ١٩٨٠م.
٩٨. أسامة زكي زيد، صيدا ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للتاب، ط. الأسكندرية، ١٩٨٨م.
٩٩. إسحاق تاوضروس عبيد، روما وبيزنطة من قطيقة فوشيوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قنسطنين ٨٦٩-١٢٠٤م، دار المعارف، ط. القاهرة، ١٩٧٠م.
١٠٠. جلال حسني سلامة، عكا أثناء الحملة الصليبية الثالثة، دار الفاروق، نابلس، ١٩٩٨.
١٠١. جمال فاروق السيد محمد الوكيل، تطور إستراتيجية الحروب الصلية في القرن الرابع عشر الميلادي في ضوء كتاب مارينو سانودو، طنطا، ٢٠٠٦م.
١٠٢. جمعة الجندي، "نظم الحكم والإدارة في مملكة بيت المقدس"، ضمن كتاب دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، كتاب تكريمي للأستاذ الدكتور/ اسحق عبيد، تحرير:- محمد مؤنس عوض، ط. القاهرة، ٢٠٠٣م.
١٠٣. جوزيف نسيم يوسف، العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، ط. القاهرة، ١٩٦٣م.
١٠٤. حامد زيان غانم، الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط. القاهرة، ١٩٨٣م.

١٠٥. حسن حبشي، نور الدين والصليبيون، ط. القاهرة، ١٩٤٥م.
١٠٦. حسن سيد أحمد أبو العينين، دراسات في جغرافية لبنان، ط. بيروت، ١٩٦٨م.
١٠٧. حسن عبد الوهاب حسين، دراسات في تاريخ الحضارة الأوربية في العصور الوسطى، (المجتمع الصليبي في بلاد الشام)، ط. الأسكندرية، ٢٠٠٠م.
١٠٨. ــ، مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية، ط. الأسكندرية، ١٩٩٧م.
١٠٩. حسين عبد الحميد أحمد، الجريمة، دراسة مقارنة في علم الإجتماع الجنائي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ١٩٩٥م.
١١٠. حسين محمد عطية، إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون (١١٧١-١٢٦٨م/٥٦٧-٦٦٦هـ)، دار المعرفة الجامعية، ط. الأسكندرية، ١٩٨٩م.
١١١. دندل جبر، الزنا، مكتبة المنار، ط. الزرقاء، الأردن، ١٩٨٧م.
١١٢. رأفت عبد الحميد، قضايا من تاريخ الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، ط. القاهرة، ١٩٩٨م.
١١٣. رشيد الحمد، محمد سعيد صباريني، البيئة ومشكلاتها، ط. الكويت، أكتوبر ١٩٧٩م.
١١٤. زبيدة عطا، بلاد الترك في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، ط. القاهرة، ب.ت.
١١٥. زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، ط. بيروت، ١٩٨١م.
١١٦. زينب عبد المجيد عبد القوي، الإنجليز والحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، ط. القاهرة، ١٩٩٦م.
١١٧. سامية عامر، الصليبيون في فلسطين، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٢م.

١١٨. سعدون عباس نصرالله، رحيل الصليبيون عن الشرق فى العصور الوسطى، دار النهضة العربية، ط. بيروت، ١٩٩٥م.
١١٩. سعيد عبد الله البيشاوي، الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩-١٢٩١م/٤٩٢-٦٩٠هـ)، دار المعرفة الجامعية، ط. الإسكندرية، ١٩٩٠م.
١٢٠. عبد الحفيظ محمد علي، مشكلات الوراثة في مملكة بيت المقدس وأثرها على تاريخ الحركة الصلبية (١١٣-١١٨٧م)، دار النهضة العربية، ط. القاهرة، ١٩٨٤م.
١٢١. عبدالله عبد الرحمن الربيعي، أثر الشرق الإسلامى فى الفكر الأوربى خلال الحروب الصليبية، كلية العلوم الإجتماعية، جامعة الإمام، ط. الرياض، ١٩٩٤م.
١٢٢. سعيد عبد الفتاح عاشور، أوربا العصور الوسطى، مكتبة الانجلو المصرية، ط. القاهرة،١٩٧٦.
١٢٣. ــ، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ط. القاهرة، ١٩٩١م.
١٢٤. ــ، الحركة الصليبية، صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامى في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، ط. القاهرة، ٢٠٠٩.
١٢٥.السيد الباز العريني، الشرق الأدنى في العصور الوسطى – الأيوبيون، دار النهضة العربية، ط. بيروت، ١٩٦٧.
١٢٦. ــ، الشرق الأوسط والحروب الصليبية، القاهرة، ١٩٦٣.
١٢٧. السيد عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، ط. الأسكندرية، ٢٠٠٢م.
١٢٨. ــ، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، ط. الأسكندرية، ١٩٦٦م.
١٢٩. شاكر مصطفى، صلاح الدين، الفارس المجاهد والملك الزاهد المفترى

عليه، دار القلم، ط. دمشق، ١٩٩٨م.
١٣٠. شوقي ضيف، الرحلات، ط. القاهرة، ١٩٥٦م.
١٣١. صفاء عثمان محمد إبراهيم، مملكة بيت المقدس في عهد الملك بلدوين الثاني (١١١٨-١١٣١م/٥١٢-٥٢٥هـ)، دار العالم العربي، ط. القاهرة، ٢٠٠٨م.
١٣٢. طه عبد العليم رضوان ، في جغرافية العالم الإسلامي ، ط. القاهرة ١٩٨٩م.
١٣٣. عادل إسماعيل محمد هلال، العلاقات بين المغول وأوربا وأثرها على العالم الإسلامى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، ط. القاهرة، ١٩٩٧م.
١٣٤. عارف تامر، سنان وصلاح الدين، ط. بيروت، ١٩٥٦م.
١٣٥. عثمان عبد الحميد عشرى، الإسماعيليون فى بلاد الشام على عصر الحروب الصليبية ٤٩١-٦٩١هـ/١٠٩٧-١٢٩٠م، ط.الخرطوم، ١٩٨٣م.
١٣٦. عزت حسنين، جرائم القتل بين الشريعة والقانون دراسة مقارنة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. القاهرة، ١٩٩٣م.
١٣٧. عفاف سيد صبره، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، دار الكتاب الجامعي، ط. القاهرة، ١٩٨٥م.
١٣٨. علي أحمد محمد السيد، أدب الرحلة مصدراً لتاريخ الحروب الصليبية (٤٨٨-٦٩٠هـ/١٠٩٥-١٢٩١م)، الأسكندرية، ٢٠٠٠م.
١٣٩. علي السيد علي، القدس في العصر المملوكي، دار الفكر للدارسات والنشر والتوزيع، ط. القاهرة، ١٩٨٦م.
١٤٠. عمر السعيد رمضان، دروس في علم الإجرام، دار النهضة العربية، ط. بيروت، ١٩٧٢م.
١٤١. علية عبد السميع الجنزوري، الحروب الصليبية (المقدمات السياسية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. القاهرة، ١٩٩٩م.

١٤٢. ـــ، إمارة الرها الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. القاهرة، ٢٠٠١م.
١٤٣. عبد القادر أحمد يوسف، علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر، ط. بيروت، المكتب العصرية، ط. ١٩٦٩م.
١٤٤. عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالشريعة الإسلامية، الجزء الأول، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، ١٩٨٦م.
١٤٥. قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، ط. القاهرة، ٢٠٠٣م.
١٤٦. لويس شيخو ، بيروت تاريخها وآثارها ، ط. بيروت ١٩٢٥م.
١٤٧. مجموعة مؤلفين، شروحات مجموعة قوانين الكنائس الشرقية، تقديم: مار إغناطيوس موسى الأول داود، منشورات المكتبة البولسية، ط. بيروت، ٢٠٠٥م.
١٤٨. محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في الشرق والغرب، دار الغرب الإسلامي، ط. الدار البيضاء، ١٩٨٢م.
١٤٩. محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك فى مصر وبلاد الشام، ٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠م- ١٥١٧م، دار النفائس، ط. بيروت، ١٩٩٧م.
١٥٠. محمد محمد مرسى الشيخ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، ١٩٩٤م.
١٥١. محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية دراسات في التاريخ المقارن، دار العالم العربي، ط. القاهرة، ٢٠١٠م.
١٥٢. ـــ، الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، ط. القاهرة،١٩٩٥م.
١٥٣. ـــ، في الصراع الإسلامي-الصليبي، السياسة الخارجية للدولة النورية ٥٤١-٥٦٩هـ/١١٤٦-١١٧٤م، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط. القاهرة، ١٩٩٨م.

١٥٤. ــ، صلاح الدين الأيوبي بين التاريخ والأسطورة، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٨م.
١٥٥. ــ، العلاقات بين الشرق والغرب في القرنين ١٢-١٣م/٦-٧هـ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، ط. القاهرة، ٢٠٠٠م.
١٥٦. ــ، " أضواء على الطب في المناطق الصليبية خلال المرحلة من ١٠٩٨ إلى ١١٧٤م/ ٤٩١-٥٧٠هـ "، ضمن كتاب (عصر الحروب الصليبية بحوث ومقالات)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، ط. القاهرة، ٢٠٠٦م.
١٥٧. ــ، الرحالة الأوربيون في العصور الوسطى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، ط. القاهرة، ٢٠٠٤م.
١٥٨. ــ، الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩- ١١٨٧م)، ط. القاهرة ١٩٩٢م.
١٥٩. محمود جلال الدين الجمل ، الجبهة العربية في المشرق ، ط. القاهرة، ١٩٦٣م.
١٦٠. محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية ١٠٩٥ – ١٢٩١م، الأسكندرية، ١٩٩٥م.
١٦١. ــ، الحملة الصليبية الخامسة، دار المعارف، ط. الآسكندرية، ١٩٨٥م.
١٦٢. ــ، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور مانويل كومنين، ط. الأسكندرية، ١٩٨٥م.
١٦٣. محمود محمد الحويري، بناء الجبهة الإسلامية المتحدة وأثرها في التصدي للصليبين، دار المعارف، ط. القاهرة، ١٩٩٢.
١٦٤. ــ، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر و الثالث عشر من الميلاد، ط. القاهرة ١٩٧٩م.
١٦٥. مصطفى الحياري، مدينة القدس في عصر الفاطميين والفرنجة، ط. عمان،

١٩٩٤م.
١٦٦. مصطفى مجدى هرجة، أحكام الرشوة في ضوء الفقة والقضاء، الإسكندرية، ١٩٩٠م.
١٦٧. مصطفى محمد الحناوي، الفرسان الإسبتارية ودورهم في الصراع الصليبي الإسلامي، مكتبة الرشد، ط. الرياض،٢٠٠٤م.
١٦٨. مصطفى وهبة، موجز تاريخ الحروب الصليبية، مكتبة الإيمان، القاهرة، ١٩٩٧م.
١٦٩. موضي عبدالله السرحان، بيروت تحت الحكم الصليبي وعلاقتها بالمسلمين (٥٠٤-٦٩٠هـ/ ١١١٠-١٢٩١م)، ط. الرياض، ١٩٨٦م.
١٧٠. نبيلة إبراهيم مقامي، فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، دار الكتاب الجامعي، ط. القاهرة، ١٩٩٤م.
١٧١. نسرين محمود على الأربلي، التدابير الأمنية، الأمن في مصر وبلاد الشام في عهد الناصر صلاح الدين، مكتبة التفسير، أربيل، ٢٠٠٦م.
١٧٢. نهى فتحي الجوهري، إمارة طرابلس الصليبية في القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري، دار العالم العربي، القاهرة، ٢٠٠٨م.
١٧٣. نور الدين حاطوم، تاريخ العصر الوسيط في أوربا، ج١، ط. بيروت، ١٩٦٧م.
١٧٤. هنادي السيد محمود، مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الأول، دار العالم العربي، ط. القاهرة، ٢٠٠٨م.
١٧٥. يسري الجوهري، جغرافية البحر المتوسط، ط. الأسكندرية، ١٩٨٤م.
١٧٦. يوسف عزت، تاريخ القوقاز، ترجمة: عبد الحميد غالب، ط. القاهرة، ١٩٤٠م.

المراجع الأوربية المترجمة:

١٧٧. إرنست باركر، الحروب الصليبية، ت. السيد الباز العريني، ط. بيروت ١٩٦٧م.

١٧٨. أمين معلوف، الحروب الصليبية كما رآها العرب، ترجمة: عفيف دمشقية، دار الفارابي، ط. بيروت، ١٩٩٨م.
١٧٩. جوناثان رايلي سميث، الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية، ترجمة: محمد فتحي الشاعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. القاهرة، ١٩٩٩م.
١٨٠.ـــ، حالة الصليبين الذهنية تجاه الشرق (١٠٩٥ – ١٣٠٠م)، ضمن كتاب: " تاريخ اكسفورد للحروب الصليبية "، تحرير: جوناثان رايلي سميث، ت.قاسم عبد قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، ط. القاهرة،٢٠٠٧م.
١٨١. ديفز، أوربا فى العصور الوسطى، ترجمة: د/ عبد الحميد حمدى محمود، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٥٨م.
١٨٢. رايلي سميث، الإسبتارية فرسان القديس يوحنا، ترجمة: صبحي الجابي، ط. دمشق، ١٩٨٤م.
١٨٣. ستفين رنسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ت. نور الدين خليل، ط. الأسكندرية ١٩٩٨م.
١٨٤. سمايلي، المؤرخون في العصور الوسطى، ت. قاسم عبده قاسم، ط. القاهرة، ١٩٨٠م.
١٨٥. كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغارفي العربي، ت. صلاح الدين هاشم، ج١، الخرطوم، ١٩٦١م.
١٨٦. مارشال بلدوين، اضمحلال وسقوط بيت المقدس ١١٧٤-١١٨٩م/ ٥٧٠-٥٨٥هـ، ضمن كتاب تاريخ الحروب الصليبية، تحرير: سعيد البيشاوي ومحمد مؤنس، ط. رام الله، ٢٠٠٤م.
١٨٧. ماركوس بول، الأصول، ضمن كتاب" تاريخ اكسفورد للحروب الصليبية "، تحرير: جوناثان رايلي سميث، ت.قاسم عبد قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، ط. القاهرة،٢٠٠٧م.
١٨٨. مولر فيز (فولفغانغ)، القلاع أيام الحروب الصليبية، ت. محمد وليد

الجلاد، مراجعة. سعيد طيان، ط. دمشق، ١٩٨٤م.
١٨٩. ميخائيل زابوروف، الصليبيون في الشرق، ت. إلياس شاهين، ط. موسكو ١٩٨٦م.
١٩٠. ميشيل بالار، الحملات الصليبية والشرق اللاتيني من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر، ت. بشير السباعي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، ط. القاهرة، ٢٠٠٣م.
١٩١. نيكيتا أليسيف، السلطان نور الدين محمود بن زنكي (٥١١-٥٦٩هـ/١١١٨/١١٧٤م)، ت. سليم قندلفت، مراجعة: علي القيم، ط. دمشق، ١٩٩٨م.
١٩٢. هانس إبراهارد ماير، تاريخ الحروب الصليبية، ت. عماد الدين غانم، ط. كاليري ١٩٩٠م.
١٩٣. هايد، تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى، مراجعة: عز الدين فوده، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. القاهرة، ١٩٨٥م.
١٩٤. هنري برين، تاريخ أوربا في العصور الوسطى(الحياة الإقتصادية والإجتماعية)، ت. عطية القوصي، ط. القاهرة، ١٩٩٦م.
١٩٥. يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ت. عدنان محمود سلمان، المجلد الأول، مؤسسة فيصل للتمويل، أستنابول، ١٩٨٨م.
١٩٦. يوشع براور، الاستيطان الصليبي في فلسطين (مملكة بيت المقدس)، ت. عبد الحافظ البنا، ط. القاهرة ٢٠٠١م.
١٩٧. يوشع براور، عالم الصليبين، ت. قاسم عبده قاسم و محمد خليفة حسن، ط. القاهرة ١٩٩٩م.

المراجع الأجنبية:

198. A.J.Chruch.M.A, The Crusaders, " A Story of the war for the holy sepulcher", London, 1912.

199. Addison Esq, The Knights Templars, London, 1852.
200. Adrian Boas, Jerusalem in The Time of The Crusades, London, 2001.
201. Aharon Ben Ami, Institutional Lag and Neofunctions:(The Case of The Latin Kingdom of Jerusalem), in: Comparative Studies in society and history, Vol.7, No.4, Jul, 1965.
202. Alan Murray, The Crusades, An Encyclopedia, Vol. I, California, 2006.
203. Aman Asili Ya Nadhiri, Sarasins and Franks: Perceptions of self and The Other in $12^{th} - 15^{th}$ century Literature, Chapel Hill, 2009.
204. Archer and Charles L. Kingsford, The Crusades, The Story of The Latin Kingdom of Jerusalem, New York.
205. Attwater, The Penguin Dictionary of Saints, London, 1983.
206. August C. Krey, The First Crusade, London, 1921.
207. Baldwin, "Marshall", Raymond III of Tripoli and The Fall of Jerusalem (1140-1187), Princeton: Princeton University Press, 1936.
208. Benevenisti (Meron), The Crusaders in The Holy Land, Jerusalem, 1976.
209. Benjamin Kedar, Crusade and Mission, New York, 1984.
210. Bernard Hamilton, " Miles of Plancy and the fief of Beirut ", in **The Horns of Hattin**, Benjamin Z. Kedar (ed.), Jerusalem, 1992 .

211. Bernard Hamilton, The Leper King and His Heirs: Baldwin IV and The Crusader Kingdom of Jerusalem, Cambridge, 2000.
212. Carole Hillenbrand, The Crusades : Islamic perspectives, Edinburgh, 2000.
213. Charles E. Nowell, The old man of the mountain, in: Journal of Medieval Studies, vol,22.
214. Charles J. Rosebault, Saladin prince of Chivalry, New York, 1930.
215. Cherese Cartlidage, The Crusades, " Failed Holy Wars ", San Diego, 2002.
216. Christopher Tyerman, The Crusades, " A Very Short Introduction", Oxford, 2005.
217. Christopher Tyerman, The invention of the crusade,Toronto,1998.
218. Conder, The Latin Kingdom of Jerusalem, 1099 – 1291 A.D, London, 1897.
219. Corless Slack, Historical Dictionary of The Crusades, Oxford, 2003.
220. Cynthia Williams Resor, Richard I Takes the Cross: The Twelefth Century Culture of Crusade, University of Kentucky, 2002.
221. Dana Carleton & Raymond James, The Middle Ages, 395-1500, New York, 1928.

222. Dana Munro, The Popes and The Crusades, Proceedings of The American Philosophical Society, Vol. 55, No.5, 1916.
223. David Nicolle, Acre 1291, Bloody Sunset of The Crusader States, Oxford, 2005.
224. David Nicolle, Knight Hospitallerrs, Uxbridge, 2001.
225. David Nicolle, The Crusades, London, 2001.
226. David Nicolle, The Second Crusade, Disaster outside Damascus, Oxford, 2009.
227. Davis, " William of Tyre", in Barker (ed), Relations between East and West in The Middle Ages, Edinburgh, 1973.
228. Delaney, Dictionary of Saints, London, 1980.
229. Edbury and Rowe, William of Tyre Historian of the Latin East, Cambridge, 1988.
230. Edward Foord, The Byzantine Empire, London, 1911.
231. Ezra Cheaveland, A Genealogical History of The Noble and Illustrious Family of Courtenay, Oxford, 1735.
232. Feiling (Keith), A History of England, London, 1948.
233. forey, " The Military Order of St. Thomas of Acre", in E.H.R, Vol.92, No. 346(Jul.1977).
234. Frederic Duncalf, " The Councils of Piacenza and Clermont", in A History of the Crusades, (ed): by: Setton, Vol.I, London, 1969.
235. Frederic Duncalf, The Peasants Crusade, A.H.R, Vol. 26, No.3, Apr.1921.

236. Gibb, Notes on the Arabic Materials for the History of the Early Crusades, B.S.O.S., University of London, Vol. 7, No.4, 1935.
237. H. Daniel Rops, Cathedral and Crusades, Studies of the Medieval Church 1050-1350, London, 1957.
238. Hamilton, "Ralph of Domfront, Patriarch of Antioch(1135-1140)", in; Nottingham Medieval Studies , No.28, (1984).
239. Hamilton, The Latin church in the crusader states, Landon, 1980.
240. Harlod S. Fink, The Foundation of the Latin States, 1099-1118, In setton, The first hundred years, vol. I, London, 1969.
241. Heinrich Von Sybel, The History Literature of the crusades, London, 1861.
242. Helen A. Gaudette, The Piety, Power, Patronage of The Latin Kingdom of Jerusalem's queen Melisende, New York, 2005.
243. Helen Nicholason & David Nicolle, God's Warriors, Crusaders, Saracens, and the Battle for Jerusalem, Oxford, 2005.
244. Helene Wieruszowski, The Norman Kingdom of Sicily and the crusades, in setton: The Later Crusades, 1189-1311,Vol.II, London, 1969.
245. Henry Stebbin, The History of Chivalry and The Crusades,

Vol. II, London, 1830.

246. Hugh Clifton Griffith, The Second and Third Crusades, : Their Justification and goals as seem by the clergy, A Thesis, Michigan, 1980.

247. Hutton, Philip Augustus, London, 1896.

248. Indrikis Sterns, Crime and Punishment among The Teutonic Knights, Speculum, Vol. 57, No.1, Jan, 1982.

249. James A .Brundage, "Latin Jurists in the Levant, The legal elite of crusader states", in: crusaders and Muslims in Twelfth century Syria, Edited by: Maya Shatzmiller, New York, 1993.

250. James A .Brundage, Adhemar of puy: The bishop and his critics, Speculum, Vol.34, No.2, October, 1983.

251. James Kroemer, The Eschatology of Bernard of Clairvaux, Wisconsin, 2000.

252. James Lea Cate, The Crusade of 1101, in:- Vol.I, London, 1969.

253. James M. Powell, Anatomy of a Crusade, Philadelphia,1990.

254. Jennifer Ann Price, The Form and Substance of The Crusading vow. 1095-1216, Washington, 2005.

255. John Finlayson, "Richard, Coer de Lyon", Romance, History or Something in Between?, Studies in Philology, Vol.87, No.2(Spring1990).

256. John France, The Crusades and The Expansion of Catholic Christendom, 1000-1714, New York, 2005.

257. John France, Victory in The East, Cambridge, 1994.
258. John G. Rowe, Alexander III and The Jerusalem Crusade, An Overview of problems and failures, in: crusaders and Muslims in Twelfth century Syria, Edited by: Maya Shatzmiller, New York, 1993.
259. John Gordon Rowe, " Paschall II and The Relation between The Spiritual and Temporal powers in The Kingdom of Jerusalem", Speculum, Vol.32, No.3, Jul, 1957.
260. John Hugh Hill, Raymond of Saint Gilles in Urban's plan of Greek Latin Friendship, Speculum, Vol.26, No.2, Apr.1951.
261. John L, Lamonte, Feudal Monarchy In The Latin Kingdom Of Jerusalem (1100-1291) , New York 1970.
262. John La Monte, The Lordes of Le Puiset on The Crusades, Speculum, Vol.17, No.1, Jan.1942.
263. John Sommerfeldt, The Bernardine Reform and The Crusading Spirit, C.H.R., Vol.86, No.4, (Oct.2000).
264. Jonathan Phillips, The Crusades, 1095-1197, London, 2002.
265. Joseph Francais Michaud, History of The Crusades, New York, 1855.
266. Joseph Lessard, Hospitaller: A Tale of the Unknown Knight in the Third Crusade, " HYPERLINK "http://www.booklocker.com" www.booklocker.com , 2008.
267. Joshua Prawer, Social Classes in the Crusader states: The Minorities, in setton:- The Impact of the Crusades on the near

East, Vol. V, London, 1985.

268.——, The history of the Jews in the Latin Kingdom of Jerusalem, Oxford, 1988.

269.——, " The Venetians in Crusader Acre (Reconsideration)", In:- Cross Cultural Convergences in The Crusader period, New York, 1995.

270.——, “The Assise de Teneure and The Assise de Vente: A Study of Landed Property in the Latin Kingdom " , The Economic History Review, New series, Vol.4, No.1, 1951.

271. Kamal (T) , The Saljuqs Of Syria During The Crusades 463-549/1070-1154A.D , Berlin 1997.

272. Kedar, " The Patriarch Eraclius", in Kedar (B.Z), Mayer, and Smail (R.C), ed. Outremer Studies in the Crusading kingdom of Jerusalem, Jerusalem, 1982.

273. Kelly, Oxford dictionary of Popes, New York, 1996.

274. King, E,J, The Knight Hospitallers in The Holy Land, London, 1931.

275. Krey, " William of Tyre The making of an Historian in the Middle Ages", S, Vol. XVI, 1941.

276. L Abbe De Vertot, The History of the Knights Hospitallers of St. John of Jerusalem, Boston, 1757.

277. Luchaire, Achille, Histoire des institutions monarchiques de la France sous les premiers Capétiens (987-1180), Paris, 1891.

278. Lynda Garland, Byzantine Empresses, Women and Power in Byzantium AD 527-1204, New York, 1999.
279. Marawn Nader, Burgesses and Burgess Law in the Latin Kingdoms of Jerusalem and Cyprus (1099-1325), Cornwall, 2006.
280. Marshall Baldwin, Some Recent Interpretation of Pope Urban II's Eastren Policy, C.H.R, Vol.25, No.4, (Jan., 1940).
281. Mattew Spinka, Latin Church of the Early Crusades Latin Church of the Early Crusades, Church History, Vol.8, No.2, (Jun1939).
282. Mayer, Studies in the History of Queen Melisende of Jerusalem, D.O. Papers, vol.26, 1972.
283. Meade (Marion), Eleanor of Aquitaine: A Biography, London, 1977.
284. Michael Prestwich, Edward I, London, 1997.
285. Natasha Hodgson, Women, Crusading And the Holy Land in Historical Narrtive, Woodbridge, 2007.
286. Nersessian, The Kingdom of Cilician Armenia, in Setton, Vol. 2, London, 1969.
287. Nikolas Jaspert, The Crusades, Trans By. Phyllis Jestice, London, 2006.
288. Norah Lofts, Eleanor the queen: the story of the most famous woman of the middle Ages, New York, 1955.
289. Norman Daniel, The Arabs and Mediaeval Europe, London,

1975.

290. Olivia Remie Constable , " Funduq, Fondaco And Khan , in The Wake Of Christian Commerce And Crusade ", in , The Crusades from the Prospective of Byzantium and the Muslim World , Angeliki E. Laiou And Roy Parviz Mottahdeh, D.O. 2001.

291. Oman, The Byzantine Empire, London, 1892,1908.

292. Palmer A. Throop, Criticism of Papal crusade policy in old French and provencal, Speculum, Vol.XIII, No.4, October, 1938.

293. Palmer A. Throop, Criticism of The Crusade, Philadelphia, 1975.

294. Peter Charanis, Aim of the Medieval Crusades and How They were viewed by Byzantium, Church History, Vol. 21, No.2, Cambridge, Jun1952.

295. Peter W. Edbury, Looking back on the Second Crusade: Some Late Twelfth- Century English Perspectives, From: The Second Crusade and The Cistercians, Edited By: Michael Gervers, New York, 1992.

296. Peter Edbury, " The Ibelin Counts of Jaffa: A Previously Unknown Passage from the Ligages d'Outremer", English Historical Review, 89, (1974).

297. ——," Law and Custom in the Latin East: Les Letters dou Sepulcher", Mediterranean Historical Review, 10, 1995.

298.——, John of Ibelin and the Kingdom of Jerusalem, Woodbridge, 1997.

299.——, “Two Thirteen-Century Manuscripts Legal Texts from saint Jean d’ Acre" , Journal of Warburg and Courtauld Institutes, Vol.57, 1994.

300.——, Propaganda and Faction in the Kingdom of Jerusalem, " The Background to Hattin", , in: crusaders and Muslims in Twelfth century Syria, Edited by: Maya Shatzmiller, New York, 1993.

301. Piers D. Mitchell, Medicine in the Crusades: Warfare, Wounds, and The Medieval Surgeon, Cambridge, 2004.

302. Pirie Gordon. H, "The Reigning Prices of Galilee", in E.H.R, Vol. 27, No.107, Julie,1912.

303. Ralph Bailey Yewdale, Bohemond I Prince of Antioch, Princeton, 1917.

304. Ralph Johannes Lilie, Byzantium and The Crusader States 1096-1204, Berlin, 1988.

305. Read, The Templar, Marin (Sean), The Knights Templar, Wales,1988.

306. Regan, Saladin and the Fall of Jerusalem, London, 1987.

307. Richard (J), Le Conte de Tripoli Sous La Dynastie Toulousaine, Paris, 1945.

308.—, The Eastern Chruchs, In:- The New Cambridge Medieval History, Vol. IV, C. 1024-C.1198, Part. I, Edited

By:- David Luscombe And Riley Smith, Cambridge, 2004.

309. Riley Smith, Peace Never Established: The Case of The Kingdom of Jerusalem, In: The Royal Historical Society, Fifth Series, Vol.28, 1978.

310. ——, The Motives of the Earliest Crusaders and the Settlement of Latin Palestine, 1095-1100, E.H.R, Vol.98, No.389, Oct, 1983.

311. ————, The Feudal Nobility and the Kingdom of Jerusalem (1174-1277), London, 1973.

312. R.C.Smail, Crusading Warfare, 1097-1193, Cambridge, 1995.

313. R.C.Smail, Latin Syria and The West, 1149-1187, in: The Royal Historical Society, Fifth Series, Vol.19, 1969.

314. Robert Crawford, William of Tyre and Maronites, Speculum, Vol.30, No.2, (Apr1955).

315. Round (J.H), " Some English Crusaders of Richard I", in E.H.R, vol. 18, no.71, (Jul., 1903).

316. Sean Martin, The Knight Templar, Wales, 2004.

317. Sidney Painter, The Houses of Lusignan and Chatellerault 1150-1250, Speculum, Vol.30, No.3, (Jul.1955).

318. Sidney Painter, The Lords of Lusignan in The Eleventh and Twelfth Centuries, Speculum, Vol.32, No.1, (Jan.1957).

319. Sidney Painter, The Third Crusade : Richard and Philip Augustus, in setton: The Later Crusades, 1189-1311,Vol.II,

London, 1969.

320. Stanley Lane Poole, Saladin and The Fall of The Kingdom of Jerusalem, London,1898.

321. Steven Runciman, The First Crusade: Antioch to Ascalon, in Setton, Vol.I, London, 1969.

322. Stevenson W.B, The Crusaders in The East, Cambridge, 1907.

323. Susan B. Edgington, Medicine and Surgery in the Liver des Assises de la Cour des Bourgeois de Jerusalem, Al-Masaq, Vol. 17, No.1, London, March 2005.

324. Thomas C. Van Cleve, The fifth crusade, in setton: The Later Crusades, 1189-1311,Vol.II, London, 1969.

325. Thomas Keightly, The Crusaders or Scenes, Events, and Characters from the Times of the Crusades, Elibron Classics, www.elibron.com.

326. Virginia G. Berry, The Second Crusade, In setton, The first hundred years, vol. I, London, 1969.

327. Walker, On the increase of royal power in France under Philip Augustus, London, 1888.

328. Wallace Fleming, The History of Tyre, New York, 1915.

329. Walter Besant, Jerusalem, The City of Herod and Saladin, London, 1871.

330. Walter Porges, The clergy, The poor and noncombatants on the first crusade, Speculum, Vol.II, No.I, Jan, 1946.

331. Weir, (Alison), Eleanor of Aquitaine , London, 2000.
332. Zoe Oldenbourg, The Crusades, New York, 1967.

الدوريات العربية:

٣٣٣. إبراهيم القادري بوتشيش، " مجتمع الصليبيين في بلاد الشام من خلال الإسطوغرافيا الإسلامية المعاصرة للحروب الصليبية "، رؤية الآخر، التعارف والتعايش، مجلة التاريخ العربي، العدد: ١٧، ط. القاهرة، ٢٠٠١م.
٣٣٤. إبراهيم بن حمود المشيقح، " دراسة مقارنة لمشاهدات الرحالة عن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية في مدينة صور أثناء الحروب الصليبية (١١٢٤م/٥١٨هـ-١٢٩١م/ ٦٩٠هـ)، مجلة كلية الآداب، جامعة الزقازيق، العدد: ٢٤، ١٩٩٩م.
٣٣٥. أسامة زكي زيد، "ملكات بيت المقدس في القرن الثاني عشر الميلادي – القرن السادس الهجري"، مجلة كلية الآداب، جامعة طنطا، العدد الثامن، ١٩٩٥م.
٣٣٦. جمال زكي، " المؤرخ وليم الصوري في ميزان النقد التاريخي"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد:٨٥، السنة ٢٢، شتاء، ٢٠٠٤م.
٣٣٧. حاتم الطحاوي، "القانون البحري لمملكة بيت المقدس الصليبية، قراءة في مجموعة قوانين بيت المقدس"، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مجلد (٥٨)، عدد(٤)، أكتوبر ١٩٩٨.
٣٣٨. حسن أحمد البطاوي، " العلاقة بين الصليبيين في الشرق والوافدين الجدد من الغرب الأوربي(٤٩٢-٥٨٢هـ/١٠٩٩-١١٨٧م)، حوليات آداب عين شمس، المجلد ٣٣، أكتوبر-ديسمبر، ٢٠٠٥م.
٣٣٩. حسين عطية، " طبائع الفرنج في الحملات الصليبية في ضوء المصادر اللاتينية "، ضمن كتاب، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، ط. الأسكندرية، ٢٠٠٠م.
٣٤٠. ـــــ، " قوانين مملكة بيت المقدس الصليبية في ضوء المصادر الصليبية المعاصرة"، بحث مقدم للجنة الترقية".
٣٤١. ـــــ، " مجلس نابلس ٢٣ يناير ١١٢٠م وأحوال مملكة بيت المقدس

الصليبية "، حولية التاريخ الإسلامي والوسيط، المجلد الأول، الجزء الأول، ط. القاهرة، ٢٠٠٠-٢٠٠١م.

٣٤٢. ـــــ، " المسلمون في الإمارات الصليبية في بلاد الشام "، حولية كلية الآداب، جامعة عين شمس، المجلد: السابع والعشرون، العدد: الثاني، ط. القاهرة، ١٩٩٩م.

٣٤٣. رياض مصطفى شاهين، "هدنة الرملة والظروف المحيطة بها"، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد التاسع، العدد الأول، كلية الأداب، ط. غزة، ٢٠٠١م.

٣٤٤. سعيد عبد الفتاح عاشور، " ملامح المجتمع الصليبي في بلاد الشام "، مجلة المستقبل العربي، العدد: ١٠٢، ط. بيروت، ١٩٨٧/٨م.

٣٤٥. سهير محمد إبراهيم نعينع، " علاقات مصر التجارية بمدينة أمالفي في العصور الوسطى"، ندوة: طرق التجارة العالمية عبر العالم العربي على مر عصور التاريخ، منشورات إتحاد المؤرخين العرب، العدد(٨)، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٣٤٦. عمر كمال توفيق، " المؤرخ وليم الصوري"، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، م(٢١)، عام١٩٦٧م.

٣٤٧. قاسم عبده قاسم، " صورة المقاتل الصليبي في المصادر العربية "، (دراسة مقارنة عن فترة الحملات الثلاث الأولى من ١٠٩٧-١١٩٣م)، المجلة المصرية التاريخية، العدد: ٢٨، ط. القاهرة، ١٩٨١م.

٣٤٨. عبد المجيد بهيني، " أوضاع المسلمين تحت الإدارة الصليبية من خلال رحلة ابن جبير "، (النصوص – التوظيف – الواقع التاريخي)، مجلة التاريخ العربي، العدد: ١١، ط. القاهرة، ١٩٩٩م.

٣٤٩. محمد فوزي مصري رحيل، نهاية الصليبيين، (فتح عكا ٦٤٨-٦٩٠هـ/١٢٥٠-١٢٩١م)، عين للدراسات والبحوث الانسانية، ط. القاهرة، ٢٠٠٩م.

٣٥٠. محمد مؤنس عوض، " أضواء على مستعمرة البيرة الصليبية"، مركز بحوث

الشرق الأوسط، العدد العاشر، مارس ٢٠٠٢م.
٣٥١. ـــــــ، " بلدوين الأول (١١٠٠-١١١٨م)، وصلاح الدين الأيوبي (١١٧١-١١٩٣م)، ملك وسلطان من عصر الحروب الصليبية"، مجلة بحوث الشرق الأوسط، العدد الرابع والعشرون، جامعة عين شمس، القاهرة، مارس٢٠٠٩م.
٣٥٢. ـــــــ، " القرن الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين في تاريخ الصليبيين في الشرق، إتفاقات وإختلافات"، مجلة بحوث الشرق الأوسط، العدد الرابع والعشرون، جامعة عين شمس، القاهرة، مارس ٢٠٠٩م.
٣٥٣. ـــــــ، وليم الصوري مؤرخاً للقلاع الجنوبية لمملكة بيت المقدس الصليبية في المرحلة من ١١٣٧-١١٥٠م/٥٣٢-٥٤٥هـ، سلسلة دراسات شرق أوسطية، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، ط. القاهرة، ١٩٩٥م.
٣٥٤. محمود الرويض، محمد سالم الطراونة، " دور الأرمن في تأسيس إمارتي الرها وأنطاقية الصليبيتين (٤٩٠-٤٩١هـ/ ١٠٩٧ – ١٠٩٨م)"، حوليات آداب عين شمس، المجلد: ٣٠، يوليه – سبتمبر ٢٠٠٢م.
٣٥٥. مصطفى حسن محمد الكناني، " اتفاقية بين فليب أوغسطس ملك فرنسا و القومون الجنوي (١١٩٠م/٥٨٦هـ) "، مجلة كلية الآداب، جامعة أسيوط، العدد: ١١، ١٩٩٢م.
٣٥٦. ناجلا محمد عبد النبي، " المسلمون في مملكة بيت المقدس الصليبية "، مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة المنوفية، العدد: ٢١، ١٩٩٦م.
٣٥٧. نزيه شحاده، "بيروت تحت وطأة المواجهات الصليبية الإسلامية (١٠٩٧-١٢٩١م/ ٤٩٠-٦٩٠ هـ)"، مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة المنوفية، العدد: الثامن والثلاثون، يوليو١٩٩٩.

الرسائل العلمية:

٣٥٨. إبراهيم سعيد فهيم محمود، يافا ودورها في الصراع الصلبي الإسلامي (

١٠٩٩-١٢٩١م/٤٩٢-٦٩٠هـ)، رسالة ماجستير، ط. الأسكندرية، ١٩٩١م.
٣٥٩. أحمد عبد المجيد محمد، أحكام ولد الزنا في الفقه الإسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، ٢٠٠٨م.
٣٦٠. أحمد عبدالله أحمد، التجارة في الساحل الشامي في القرنين١٣،١٢م/٦،٧هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس، القاهرة،٢٠٠٦م.
٣٦١. أحمد فرج، الحملات الصليبية الفرعية على الشرق الأدنى الإسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ٢٠٠٦م.
٣٦٢. أسامة سيد علي أحمد، الساحل الشامي في القرن الثاني عشر الميلادي/ السادس الهجري، رسالة ماجستير، كلية الأداب، جامعة عين شمس، ط. القاهرة ١٩٩٢م.
٣٦٣. جرجس فام ميخائيل، الأحوال السياسية لمملكة بيت المقدس لصليبية وعلاقاتها الخارجية (١١٩١-١٢٩١م/ ٥٨١- ٦٩٠ هـ)، رسالة دكتوراه، جامعة الزقازيق، ١٩٨٩م.
٣٦٤. حجازي عبد المنعم عبد الحفيظ، السياسة الخارجية لمملكة بيت المقدس في عهد الملك عموري الأول (١١٦٣-١١٧٤م/٥٥٨-٥٦٩هـ)، رسالة دكتوراة، كلية الآداب، جامعة المنوفية، ٢٠٠٦م.
٣٦٥. حنان عبد الحميد محمد عبد الهادي، دور بيزه في العلاقات الصليبية الإسلامية في مصر والشام حتى نهاية الدولة الأيوبية (١٠٩٥-١٢٥٠م/ ٤٨٨-٦٤٨هـ)، رسالة ماجستير، ط. الأسكندرية ١٩٩٦م.
٣٦٦. سرور علي عبد المنعم علي، السياسة الداخلية والخارجية لمملكة بيت المقدس في عهد الملك فولك الأنجوي (١١٣١-١١٤٣م/٥٢٦-٥٣٨هـ)، رسالة دكتوراه، كلية البنات، جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠٠٠م.
٣٦٧. سعيد السيد علي فرغلي، آل كورتناي ودورهم في الصراع الإسلامي الصليبي، رسالة ماجستير، جامعة الأسكندرية، ١٩٩٢م.

٣٦٨. سهير محمد مليجي علي، المرأة الصليبية في بلاد الشام (١٠٩٨-١٢٦٨م)، رسالة دكتوراه، كلية البنات، جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠٠٢م.
٣٦٩. صبري ناصر حمد مكين، جودفري البولوني ودوره في العدوان الصليبي على بلاد المسلمين (أسيا الصغرى وبلاد الشام) (٤٨٨-٤٩٣هـ/١٠٩٥-١١٠٠م)، جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٩هـ.
٣٧٠. عبد السلام محمد زيدان، الدعوة للحروب الصليبية على بلاد الشام (١٠٩٥-١١٨٩م)، رسالة دكتوراه، أسيوط، ٢٠٠٤م.
٣٧١. على السيد على، المجتمع المسيحي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، رسالة ماجستير غيرمنشورة، القاهرة ١٩٧٩م.
٣٧٢. محمد عبد الله محمد مهيوب المقدم، الإغتيالات في بلاد الشام والجزيرة زمن الحروب الصيبية، رسلة ماجستير، ط. المنصورة، ٢٠٠٥م.
٣٧٣. محمد فوزي مصري رحيل، مملكة عكا الصليبية، دراسة في عوامل الإنهيار والسقوط (٦٤٨-٦٩٠ هـ/ ١٢٥٠-١٢٩١م)، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠٠٨م.
٣٧٤. ياسر كامل محمود، مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الرابع، (١١٧٤-١١٨٥م/٥٧٠-٥٨١هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة، أسيوط،٢٠٠٨م.

المواقع الالكترونية:-

375. http://www.study-in-germany.de/arabic/4.545.3.4202.html.
376. www.deremilitari.org.
377. http://fadilrammo.com/forum/showthread.php?p=5138

الفهرس